الأتقياء الأخفياء

كتبه
سعيد عبد العظيم
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار طيبة الخضراء
مكة المكرمة

قال رسول الله ﷺ

﴿ إن الله عز وجل يحب العبد التقيّ الخفيّ ﴾

[صحيح : أخرجه أحمد ومسلم]

الأتقياء الأخفياء

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

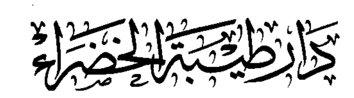

مكة المكرمة - العزيزية - بجوار الجامعة - ت: ٥٥٨٩٠٢٧ - ٥٥٨٩٧٨٠ - فاكس: ٥٥٦٢٩٨٦

المقدمة :

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[١] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[٣] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ،وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

عن عامر بن سعد أن أباه سعداً ، كان فى غنم له ، فجاء ابنه عمر ، فلما رآه قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب ، فلما انتهى إليه قال : يا أبت أرضيت أن تكون أعرابياً فى غنمك والناس يتنازعون فى الملك بالمدينة ، فضرب صدر عمر وقال : اسكت ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن الله عز وجل يحب العبد التقى الخفى** »[٤] .

---

(١) سورة آل عمران الآية « ١٠٢ » .
(٢) سورة النساء الآية « ١ » .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٧٠ ، ٧١ » .
(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم وأحمد .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كان يقول إذا قعد : إنكم فى ممر الليل والنهار فى آجال منقوصة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتى بغتة ، من زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة ، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع مثل ما زرع ، لا يُسبق بطئ بحظه ، ولا يُدرِكُ حريص ما لم يُقدر له ، فمن أعطى خيراً ، فالله أعطاه ، ومن وقى شراً ، فالله وقاه ، المتقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة .

إن **الأتقياء الأخفياء** قوم استقاموا على كتاب الله وعلى سنّة رسول الله ﷺ وكان تعاملهم مع الله فى عسرهم ويسرهم ومنشطهم ومكرههم ، ولذلك كرهوا الشهرة ، فعن حبيب بن أبى ثابت قال : خرج ابن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم : ألكم حاجة ؟ قالوا : لا ، ولكن أردنا أن نمشى معك . قال : إرجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وقال : لو تعلمون ما أعلم من نفسى حثيتم على رأسى التراب .

وكان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام ، وقال : ألك حاجة ؟ فإن كان لك حاجة قضاها ، فإن عاد يمشى معه قام فقال له ألك حاجة ؟ وقال عبد الله بن المبارك : كن محباً للخمول « أى الخفاء لا الكسل » كراهية الشهرة ، ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك ،هو خروجك من الزهد لأنك تجر إلى نفسك الثناء والمدحة .

وكان فضالة بن عبيد يقول : خصال ينفعك الله بهن ، إن استطعت أن تعرف ولا تُعرف فافعل ، وإن استطعت أن تسمع ولا تتكلم فافعل ، وإن استطعت أن تجلس ولا يُجلَس إليك فافعل . ولما قيل للإمام أحمد : جزاك الله عن الإسلام خيراً ، قال : بل جزى الله الإسلام عنى خيراً من أنا وما أنا ؟! .

لقد كانوا يخافون العجب على أنفسهم حتى قال أبو عبيدة - رضي الله عنه - إنى امرؤ من قريش وما منكم من أحمر ولا أسود يفضلنى بتقوى إلا وددت أنى فى مسلاخه .

وقال رجل يوماً لابن عمر : يا خير الناس ، أو ابن خير الناس ، فقال : ما أنا بخير الناس ، ولا ابن خير الناس ، ولكنى عبد من عباد الله ، أرجو الله ، وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .

قال مطرف بن عبد الله : لأن أبيت نائماً وأصبح نائماً أحب إلىّ من أن أبيت قائماً وأصبح معجباً .

قال الذهبى : لا أفلح - والله - من زكى نفسه أو أعجبته .

لقد حرص الأتقياء الأخفياء على الإخلاص فى العمل والصدق مع الله ، حتى قال أهل المدينة : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علىّ بن الحسين، ولما غسلوه وجدوا آثاراً سوداً فى ظهره من حماله جُرب الدقيق ليلاً لإعطائه لفقراء أهل المدينة ، وكان عمل الربيع كله سراً ، إن كان ليجيئ الرجل وقد نشر المصحف فيغطيه بثوبه ، وما رئى متطوعاً فى مسجد قومه قط إلا مرة واحدة ، وكان رحمه الله يقول : كل ما لا يبتغى به وجه الله عز وجل يضمحل .

وأتقى الخلق لله هو رسول الله ﷺ ثم بقية أولى العزم من الرسل ، نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى - عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام - ثم بقية المرسلين ، ثم أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وسائر العشرة المبشرين بالجنة ثم أصحاب بيعة الرضوان وبيعة العقبة ، وأهل بدر وأحد ثم سائر الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - ، وكل صحابى أفضل من كل من جاء بعده .

فعن عبد الله بن مسعود قال : أنتم أطول صلاة وأكثر اجتهاداً من أصحاب رسول الله ﷺ وهم كانوا أفضل منكم . قيل له : بأى شئ ؟ قال :

إنهم كانوا أزهد فى الدنيا وأرغب فى الآخرة منكم» .

وقد صح الخبر عن رسول الله ﷺ : [**خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**] (١) ، ثم سرعان ما تغير الحال وتبدل وأطلت الغربة برأسها وظهرت البدع ، وتطلع الناس إلى المال والجاه والسلطان ، وطلبوا الشهرة ، ولو على حساب دينهم ، وانبهروا بالمشاهير من الكفرة الفجرة ، وعز وجود الأتقياء الأخفياء ، وقد ورد عن الفضل بن عياض أنه قال : يا مسكين أنت مسئ وترى أنك محسن وأنت جاهل وترى أنك عالم ، وتبخل وترى أنك كريم ، وأحمق وترى أنك عاقل ، أجلك قصير ، وأملك طويل . قال الذهبى أى والله صدق ، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم ، وآكل للحرام وترى أنك متورع ، وفاسق وتعتقد أنك عدل ، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله .

لقد انخدعت الكثرة بما عليه أهل الشرق والغرب ، من بهرج وزخرف وزينة ، وشائنهم فى ذلك كما قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٧ ﴾ (٢) ، فتباعدوا بذلك عن معانى الكرامة الحقيقية ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٣) . وصاروا راضين بالدنيا عن الآخرة مؤثرين للحطام الفانى على ما عند الله تعالى ، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول : تفقهوا قبل أن تسودوا ، وقال سفيان : لأن الرجل إذا فقه لم يطلب السؤدد ، أى لم يطلب الرياسة ، والتى قد تكون خزياً وندامة ووبالاً على صاحبها يوم القيامة إلا من أخذها بحقها وأدى حق الله فيها ، فما أحرانا اليوم، أن نعود لسيرة هؤلاء الأتقياء الأخفياء ، ونطالع أقوالهم وأفعالهم .

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى وصححه الألبانى .
(٢) سورة الروم الآية « ٧ » .
(٣) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .

فكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

لقد جربنا كل سبيل فما جنينا إلا التعاسة والشقاء والنكد ، ولم يبق إلا أن نعود لمنهج الأنبياء والمرسلين ومن تابعهم بإحسان إلى يوم الدين ، عودة لا على سبيل التجريب ولكن على سبيل السمع والطاعة لأمر الله ، والتأدب مع شرعه سبحانه ، فما يليق بالمخلوق أن يتعدى حكمه جلا وعلا ، أو أن يضع الأهواء والأعراف ووساوس شياطين الإنس والجن في محل الدين الذى رضيه تعالى للعالمين .

لابد من عودة مخلصة صادقة لمعالم الهدى والتقى إصلاحاً للظاهر والباطن والسر والعلانية ، لابد من العمل بطاعة الله على نور من الله راجين ثواب الله ، وترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله ، مع ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس ومحاسبة النفس على مثاقيل الذر .

لابد من تربية النفس ومجاهدتها طلباً لسعادة الدارين ، والسعي الحثيث لإقامة الدنيا على أساس من دين الله ، بحيث يشمل ذلك جميع نواحي الحياة ، فما سعدت الدنيا بمثل تقوى الله تعالى ، وأن نعلم أن ذلك لن يتم إلا بالله ، فهو سبحانه المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم إن نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفه عين ، ولا تكلنا إلى أحد من خلقك ، فإنك أكرم مسئول وأعظم مأمول ، وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

كتبه

سعيد عبد العظيم

الشهرة ومشتقاتها

الشهرة معناها الانتشار والظهور ، وهى ضد الاستتار والخفاء .

قال فى المصباح المنير :وشهرت الحديث شهراً وشهرة أفشيته فاشتهر . وقال فى مختار الصحاح : الشهرة وضوح الأمر ، ويقال لفلان فضيلة اشتهرها الناس ويكثر على ألسنة الناس قولهم « فلان أشهر من نار على علم » ويقولون فلان شهَّر بفلان إذا أشاع عليه قالة السوء ونسب النقائص له ، وقيل عن الشهر شهراً لاشتهاره بين الناس ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية « فالشهر ما اشتهر بين الناس وسمى به الهلال لوضوحه وشهرته . وجمعه شهور وأشهر قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ (١) وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (٢) وهذه الأشهر الأربعة هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وأشهرنا أى أتى علينا شهر قال ابن السكيت: أشهرنا فى هذا المكان أقمنا فيه شهراً ، وقال ثعلب : أشهرنا دخلنا فى الشهر ، ومن شروط صحة عقد الزواج الإشهار ويقصد به الإعلان بحيث يخرج عن أن يكون نكاح سر ويكفى هذا عند مالك وأصحابه ، وقد اشترط الشافعى وأبو حنيفة شهادة الرجلين على الزواج فصاعداً وإلا فُسخ العقد ويخرج بذلك أيضاً عن حد السر ويشتهر أمر الزواج .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٩٧ » .
(٢) سورة التوبة الآية « ٣٦ » .

وفى كتاب تلبيس إبليس : أن ابن عمر رأى على ولده ثوباً قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا فإن هذا الثوب شهرة . ونقل عن بريدة أنه قال : شهدت مع رسول الله ﷺ فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقال حتى رأى مكانى وأتيت وعليَّ ثوب أحمر فما علمت أنى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم منه للشهرة ، وقال سفيان الثورى كان يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم ، والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستذل ، وقال معمر : عاتبت أيوب على طول قميصه فقال : إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره . وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ، ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً ، وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب أنه رأى حلة سيراء تباع عند باب المسجد فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك فقال رسول الله ﷺ : [**إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة**] [1] ، فما أنكر عليه ذكر التجمل بها وإنما أنكر عليه لكونها حريراً . أ . هـ .

أخرج أبو داود وابن ماجة عن ابن عمر مرفوعاً [**من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**] « وفى رواية » [**ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله** – وزاد أبو عوانه – **ثم تلهب فيه النار**] [2] ، قال ابن رسلان : إنما كان الوعيد لأنه لبس ثوب شهرة فى الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره فيلبسه الله يوم القيامة ثوباً تشتهر به مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له ،

---

(١) **صحيح** : متفق عليه .
(٢) **صحيح** : رواه أبو داود وابن ماجة وصححه الألبانى .

والعقوبة من جنس العمل أ . هـ والإنسان قد يشتهر بحيث يتميز على أقرانه ويسبق أمثاله ، مما يؤدى لظهور أمره وانتشاره وهذا قد يحدث بصفة خلقية أودعها الله فيه كالقوة والطول والجمال ، أو بأمر كسبى كأساليب الغش والخداع السياسى والمعانى التى يشتهر بها الناس ، منها ما هو صالح ومنها ما هو قبيح .

السبق والمنافسة

المنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة والذى يدل على مشروعيتها قوله تعالى ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ (٢) وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها ، والمنافسة قد تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة ، وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة ، والمنافسة بدل الحسد ، قال الفضل بن العباس لما أراد هو والمطلب بن ربيعة أن يأتيا النبى ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة فقال لهما علىّ - رضي الله عنه - لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقال له : ما هذا منك إلا نفساة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك (٣) ، أى هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجه إياك ، وفى الحديث [**لا حسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس**] (٤) ، وفى حديث أبى كبشة الأنمارى قال : [**مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لى مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً**

---

(١) سورة المطففين الآية « ٢٦ » .
(٢) سورة الحديد الآية « ٢١ » .
(٣) **صحيح** : رواه مسلم .
(٤) **صحيح** : متفق عليه .

فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء] [(١)] فذمه النبى ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ما له ، ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة ، وإن كانت من الفضائل كإنفاق المال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها ، وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة . والحسد المشروع كما فى الحديث [**لا حسد إلا فى اثنتين**] ، يطلق عليه اسم الغبطة إذ ليس فيه تمنى زوال النعمة ولا كراهتها ويرجع إلى إرادة المساواة وللحوق به فى النعمة كمن يحب الدار الحسنة أو المرأة الجميلة أو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره . والسبق يحدث فى معنى يتعلق بالصفات أو الزمان أو المكان فقد يحدث فى علم أو سن أو مكانة أو رياضة ويقول النبى ﷺ : [**لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل**] والمراد من السَّبق فى الحديث هنا ما يوضع رهناً ويأخذه الفائز فى سباق أو رماية ، وهذا الرهن يضعه أحد المتسابقين أو تضعه الحكومة أو جمعية خيرية أو بعض الأفراد المحسنين وذلك ليخلو من كل شبهة ويتمحض للتشجيع الخالص الذى لا يراد به إلا الترغيب فى الإعداد للجهاد . وفى الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية «و يجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مغرة ، وظاهر كلام أبى العباس لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى حرمة إذا لم يكن فيه مصلحة راجحة لأنه يكون سبباً للشر والفساد وما ألهى وشغل عن ما أمر الله به فهو منهى عنه ،

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به على حق شرعى فكله حرام ، وروى الإمام أحمد والبخارى ومسلم « أن عائشة رضى الله عنها وجوار كُنَّ معها يلعبن بالبنات - وهن اللعب والنبى ﷺ يراهن - فيرخص فيه للصغار مالا يرخص فيه للكبار . والصراع والسبق بالأقدام ونحوهما طاعة إذ قصد به نصر الإسلام ، وأخذ السبق عليه أخذ بالحق فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما ينتفع به فى الدين كما فى مراهنة أبى بكر - رضي الله عنه - وهو أحد الوجهين فى المذهب ، قلت وظاهر ذلك : جواز الرهان فى العلم وفاقاً للحنفية لقيام الدين بالجهاد والعلم والله أعلم (*) . أ . هـ .

(*) راجع كتاب « الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية » ، دار الإيمان .

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ﴾ (١)

قال أبو منصور البغدادى التميمى : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ، ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة ، ثم البدريون ، ثم أصحاب أُحد ، ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، وقال القرطبى فى تفسيره « لا خلاف أن أول السابقين من المهاجرين أبو بكر الصديق قال ابن العربى : السبق يكون بثلاثة أشياء الصفة وهو الإيمان والزمان والمكان وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قوله ﷺ فى الصحيح [**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بَيْدَ أنهم أوتو الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد**] (٢) ، فأخبر النبى ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه لا نعترض عليه ولا نختار معه ولا نبدل بالرأى شريعته كما فعل أهل الكتاب وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، ثم نقل عن ابن خويز منداد قال : « تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة فى علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك فى العطاء فى المال والرتبة فى الإكرام وفى هذه المسألة خلاف بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما واختلف العلماء فى تفضيل السابقين بالعطاء على غيرهم فروى عن أبى بكر الصديق – رضي الله عنه – أنه كان لا يفضل بين الناس فى العطاء بعضهم على بعض

---

(١) سورة التوبة الآية « ١٠٠ » .

(٢) **صحيح** : متفق عليه .

بحسب السابقة وكان عمر يقول له أتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له ؟ فقال أبو بكر : إنما عملوا لله وأجرهم عليه وكان عمر يفضل فى خلافته ثم قال عند وفاته : لئن عشت إلى غد لألحق أسفل الناس بأعلاهم فمات من ليلته والخلاف إلى يومنا هذا على هذا الخلاف أ . هـ .

[لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه] (١)

وهذا الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ يرد على شبهة قوية تتعلق بالأخوة الإيمانية وتحقيقها ونحتاج فى ذات الوقت إلى الجمع بينه وبين ما ذكرناه عن السبق والمنافسة ، ففى هذا الحديث يبين النبى ﷺ أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من المحامد الدينية والدنيوية ويكره ما يكره لنفسه ، قال عبد الله بن رواحه وأبو الدرداء : الإيمان كالقميص يلبسه الإنسان تارة ويخلعه تارة أخرى ، وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال : [**من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر**] ويأتى إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه وفيه أيضاً عن أبى بكر – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : [**يا أبا ذر أراك ضعيفاً وانى أحب لك ما أحب لنفسى لاتتأمرن على اثنين ولا تولين مال يتيم**] (٢) وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف وإنما كان يتولى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى

(١) **صحيح** : رواه البخارى ومسلم .
(٢) **صحيح** : رواه مسلم وغيره .

طاعته وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم ، وكان محمد ابن واسع يبيع حماراً له فقال له رجل أترضاه لي ؟ قال لو رضيته لم أبعه . وهذه إشارة منه إلى أن لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه وفي حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : [**مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**] [(١)] .

« قال ابن رجب » وهذا يدل على أن المؤمن يسوءه ما يسوء أخاه المؤمن ويحزنه ما يحزنه .

وحديث أنس الذى نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله إنما يأتى من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد ، فإن الحسد يقتضى أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد فى خير أو يساويه فيه لأن يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم،والإيمان يقتضى خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه من شئ ، وقد مدح الله تعالى فى كتابه من لا يريد العلو فى الأرض ولا الفساد فقال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلا فَسَاداً ﴾ [(٢)] إلى أن قال عكرمة وغيره من المفسرين فى هذه الآية : العلو فى الأرض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذى سلطانها والفساد والعمل بالمعاصى ثم قال وقد ورد ما يدل على أنه لا يأثم من كره أن يفوقه من الناس أحد فى الجمال فخرج الإمام

---

(١) **صحيح** : خرجاه فى الصحيحين .
(٢) سورة القصص الآية « ٨٣ » .

أحمد رحمه الله والحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : [أتيت النبي ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فأدركته وهو يقول : « يارسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أحداً من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغي ؟ فقال : **لا ليس ذلك بالبغي ولكن البغي من بطر أو قال سفه الحق وغمط الناس**] [(١)] ، قال : « ومن هنا قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل ما جاء به وإن كان صغيراً فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبى قبول الحق تعاظماً عليه فهو متكبر وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم وذلك يحصل من النظر إلى النفس بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص » .

قال بعض الصالحين من السلف : أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصي الله مقتوا أعمالهم ، وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم وأشفقوا على أبدانهم من النار ، وأما قوله عز وجل ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [(٢)] فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمني الرجل نفس ما أعطى أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه وفسر بتمني ما هو ممتنع شرعاً أو قدراً كتمني النساء أن يكن رجالاً أو يكون لهن مثل للرجال من الفضائل الدينية كالجهاد ، والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل إن الآية تشمل ذلك كله ، ومع هذا كله فينبغي للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية ، ولهذا أمر أن ينظر في الدين

---

(١) **صحيح** : رواه أحمد وأصله عند مسلم .
(٢) سورة النساء الآية « ٣٢ » .

إلى من هو فوقه وأن ينافس في طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى : ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) ﴾ [1] ولا يكره أن أحداً يشاركه في ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه ويحثهم على ذلك وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان أ . هـ .

---

(١) سورة المطففين الآية ، ٢٦ .

بعض صور الشهرة

أولاً : الشهرة بالعلم والصلاح :

أودع ربنا جل وعلا فى العباد عقولاً وركب فيهم فطراً ولم يكتف سبحانه بذلك بل أنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل ليحيى من حى عن بينه ويهلك من هلك أيضاً عن بينة ، وقد قام الصراع منذ اليوم الأول الذى خلق فيه آدم بين آدم وإبليس من جهة ثم بين بنى آدم وبين إبليس بعد ذلك من جهة أخرى وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [1] وافترق العباد إلى مؤمن وكافر وقد قام بإزاء الطريق المستقيم ، الذى سار فيه الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحين جاهليات كثيرة ومتنوعة وكلها تلتقى فى الكفر برب العالمين والمخالفة لهذا الصراط المستقيم ، ولذلك خط النبى ﷺ خطاً وخط عن يمينه وشماله خطوطاً وأشار للخط الذى فى الوسط وقال هذا الصراط المستقيم وللخطوط التى عن اليمين والشمال وقال هذه سبل على رأس كل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [2] واقتضت حكمة الله جل وعلا أن يحدث تدافع وأن يتم صراع بين الحق والباطل قال تعالى : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ [3] وقال : ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

---

(١) سورة فاطر الآية « ٦ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ١٥٣ » .
(٣) سورة البقرة الآية « ٢٥١ » .

بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [(١)] وكتب سبحانه النصر لعباده المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ [(٢)] وقـال : ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ [(٣)] وقـال أيضـاً : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [(٤)] وقد ابتدت البشرية بنبى مكلم فلم تتطور العقيدة ، والدين الذى ارتضاه ربنا للعالمين من لدن آدم حتى قيام الساعة هو الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾ [(٥)] ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [(٦)] ومرتبة النبوة التى كان عليها آدم هى من أعلى مراتب الهداية وقد أوصلها الإمام ابن القيم إلى عشر مراتب .

---

(١) سورة الحج الآية « ٤٠ » .
(٢) سورة غافر الآية « ٥١ » .
(٣) سورة المجادلة الآية « ٢١ » .
(٤) سورة الأعراف الآية « ١٢٨ » .
(٥) سورة آل عمران الآية « ١٩ » .
(٦) سورة آل عمران الآية « ٨٥ » .

مراتـب الهدايـة

المرتبة الأولى :

مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه وهذه أعلى مراتبها كما كلم موسى بن عمران – صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه – .

قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ (١) ، وقد أخبر سبحانه فى كتابه أنه ناداه وناجاه وقال له أبوه آدم فى محاجته [**أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوارة بيده**] (٢) وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه ولذلك يسمى « بكليم الرحمن » وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (٣) ففرق بين تكليم الوحى والتكليم بإرسال الرسول والتكليم من وراء حجاب .

المرتبة الثانية :

مرتبة الوحى المختص بالأنبياء ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ (٤) وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ فجعل الوحى فى هذه الآية قسماً من أقسام التكليم وجعله فى آية النساء قسيماً للتكليم « أى نظيراً له » .

---

(١) سورة النساء الآية « ١٦٤ » .
(٢) **صحيح** : جزء من حديث متفق عليه .
(٣) سورة الشورى الآية « ٥١ » .
(٤) سورة النساء الآية « ١٦٣ » .

المرتبة الثالثة :

إرسال الرسول الملكى إلى الرسول البشرى فيوحى إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه ، فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم ثم هذا الرسول الملكى قد يتمثل للرسول البشرى رجلاً يراه عياناً ويخاطبه ، وقد يراه على صورته التى خلق عليها وقد يدخل فيه الملك ويوحى إليه ما يوحيه ثم يفصم عنه أى يقلع والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة :

مرتبة التحديث « أى الإلهام الخاص » وهذه دون مرتبة الوحى الخاص وتكون دون مرتبة الصديقين كما كانت لعمر بن الخطاب – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – كما قال النبى ﷺ : [**لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فإن يك فى أمتى فعمر بن الخطاب**] [(١)] ، قال ابن القيم : « سمعت شيخ الإسلام تقى الدين بن تيمية رحمه الله يقول : جزم بأنهم كائنون فى الأمم قبلنا وعلق وجودهم فى هذه الأمة بأن الشرطية مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ولا صاحب كشف ولا منام فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها ، والمُحدَّث « بتشديد وفتح الدال ، إسم مفعول » هو الذى يحدث فى سره وقلبه بالشئ فيكون كما يحدث به قال ابن تيمية والصديق أكمل من المحدث لأنه استغنى بكمال صِدّيقِيَّتِه ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف ، فإنه قد سلم قلبه كله سره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى

---

(١) **صحيح** : رواه البخارى ومسلم .

به عما فيه « أى عن الإلهام النفسى الذاتى » قال : وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول فإن وافقه قبله وإلا رده فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث ، قال : وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثنى قلبى عن ربى ، فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عن من ؟ عن شيطانه أو عن ربه ؟ فإذا قال : حدثنى قلبى عن ربى كان مسنداً الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به وذلك كذب ، وقال : ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوه به يوماً من الدهر وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك بل كتب كاتبه يوماً « هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال لا . امحه واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن عمر والله ورسوله منه برئ » وقال فى الكلالة « هو الميت الذى لا والد له ولا ولد » أقول فيها برأيى فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان » فهذا قول المحدث بشهادة الرسول ، وأنت ترى الاتحادى والحلولى والإباحى والشطاح والسماعى : مجاهر بالقحة والفرية يقول : حدثنى قلبى عن ربى ، فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين ، واعط كل ذى حق حقه ولا تجعل الزغل والخالص شيئاً واحداً . أ . هـ .

المرتبة الخامسة :

مرتبة الإفهام قال الله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [١] فذكر هذين النبيين الكريمين : فأثنى عليهما بالعلم

---

(١) سورة الأنبياء الآيات « ٧٨ ، ٧٩ » .

والحكم وخص سليمان بالفهم فى هذه الواقعة المعينة وقال على بن أبى طالب وقد سئل « هل خصكم رسول الله ﷺ بشئ دون الناس ؟ فقال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فيما يؤتيه الله عبداً فى كتابه وما فى هذه الصحيفة وكان فيها العقل وهو الديات وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر ، وفى كتاب عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما والفهم فيما أوتى إليك « فالفهم نعمة من الله على عبده ونور يقذفه الله فى قلبه يعرف به ويدرك ما لا يدركه غيره ولا يعرفه ، فيفهم من النص ما لا يفهمه غيره مع استوائهما فى حفظه وفهم أصل معناه ، فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية وفيه تفاوتت مراتب العلماء حتى عد ألف بواحد ، فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① ﴾ [(1)] وما خص به ابن عباس من فهمه منها : أنها نعى الله سبحانه نبيه إلى نفسه وإعلامه بحضور أجله وموافقة عمر له على ذلك وخفائه عن غيرهما من الصحابة ، وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سناً ، وأين تجد فى هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس فيحتاج مع النص إلى غيره ولا يقع الاستغناء بالنصوص فى حقه وأما فى حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها .

المرتبة السادسة :

مرتبة البيان العام وهو تبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده

(١) سورة النصر الآية « ١ » .

وأعلامه ،وهذه المرتبة هى حجة الله على خلقه التى لا يعذب أحداً ولا يضله إلا بعد وصوله إليها ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ (١) فهذا الإضلال عقوبة منه لهم حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى ، وما أضل الله سبحانه أحداً قط إلا بعد هذا البيان وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات فى هذا الباب وعلمت حكمة الله فى إضلاله من يضله من عباده ، والقرآن يصرح بهذا فى غير موضع كقوله : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (٢) وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة وبيان بالآيات المشهودة المرئية ، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله وصدق ما أخبرت به عنه ، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر فى آياته المشهودة عليهم ويحضهم على التفكر فى هذه وهذه . وهذا البيان هو الذى بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم وبعد ذلك يضل الله من يشاء قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) ﴾ (٣) فالرسل تبين والله هو الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء بعزته وحكمته .

المرتبة السابعة :

البيان الخاص : وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة ، وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والإجتباء وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا

---

(١) سورة التوبة الآية « ١١٥ » .
(٢) سورة الصف الآية « ٥ » .
(٣) سورة إبراهيم الآية « ٤ » .

تتخلف عنه الهداية البتة قال تعالى : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [(١)] وقال : ﴿ إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [(٢)] .

المرتبة الثامنة :

مرتبة الإسماع : قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٣)] وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [(٤)] وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ ، فإن ذلك حاصل لهم وبه قامت الحجة عليهم ولكن ذاك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب ، فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود ، والمراد هو حظ القلب وأثبت لهم سماع الألفاظ الذى هو حظ الأذان فى قوله : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ [(٥)] وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه أو تمكنه منها ، وأما مقصود السماع وثمرته والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه بل يخرج السماع قائلاً للحاضر معه ﴿ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [(٦)] والسماع ثلاث مراتب : سماع الأذن وسماع القلب وسماع القبول والإجابة .

---

(١) سورة النحل الآية « ٣٧ » .
(٢) سورة القصص الآية « ٥٦ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٢٣ » .
(٤) سورة فاطر الآيات « ٢٢ - ٢٣ » .
(٥) سورة الأنبياء الآية « ٢ » .
(٦) سورة محمد ﷺ الآية « ١٦ » .

المرتبة التاسعة :

مرتبة الإلهام : قال تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ ﴾ (١) وقال النبى ﷺ لحصين بن الخزاعى لما أسلم « قل : اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى » قال ابن القيم : التحديث أخص من الإلهام ، عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذى حصل له به الإيمان فأما التحديث فالنبى ﷺ قال فيه : [**فإن يك فى أمتى أحد فعمر**] (٢) يعنى من المحدثين ، فالتحديث هو إلهام خاص وهو الوحى إلى غير الأنبياء ، أما من المكلفين كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾ (٤) وأما من غير المكلفين كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ﴾ (٥) فهذا كله وحى وإلهام وكل واحد من الفراسة ، والإلهام ينقسم إلى عام وخاص ، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر ، وعام كل واحد قد يقع كثيراً وخاصة قد يقع نادراً ، والفراسة تتعلق بنوع الكسب والتحصيل « أى بتعليم وتدريب وخبرة » ، وأما الإلهام فموهبة مجردة « أى هبة من الله تعالى » لا تنال بكسب البتة .

المرتبة العاشرة :

من مراتب الهداية : الرؤيا الصالحة وهى من أجزاء النبوة كما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : [**الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة**] وفى رواية أنها جزء من سبعين جزءاً . أ . هـ باختصار من كلام ابن القيم .

---

(١) سورة الشمس الآيات « ٧ ، ٨ » .
(٢) **صحيح** : رواه البخارى ومسلم .
(٣) سورة القصص الآية « ٧ » .
(٤) سورة المائدة الآية « ١١١ » .
(٥) سورة النحل الآية « ٦٨ » .

العظماء مائة أعظمهم محمد ﷺ !!

هذا اسم لكتاب ترجمة الكاتب الوجودى أنيس منصور ، وانبهر به كثيراً وخصوصاً وقد وضع مؤلفه رسول الله ﷺ على رأس العظماء المائة ، ولكن لو نظرنا فى الكتاب وتأملنا فيه لوجدنا أن مرتبة عيسى - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - جاء فى المرتبة الثالثة بعد اينشتاين ، ولا تجد فى الكتاب بعد ذلك ذكراً لمعظم الأنبياء والصحابة ومن جاء بعدهم من العلماء والصالحين ، بينما امتلأ الكتاب بالعلماء الماديين والأدباء والفنانين ، وهذا ما يجعلنا نرفض الكتاب ونذمه ونصفه بأنه صورة من صور الطغيان المادى المعاصر ، وإلا فالترتيب والتقديم والتأخير بين البشر لا يتم على أساس الأهواء أو النظرات المادية الطاغية وإنما يُرجع فيه إلى ما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

فاضل ربنا بين خلقه :

وقد خلق الله الخلق وفاضل بينهم : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾(١) وقد اختار من أرضه مكة ، واختار من الشهور شهر رمضان ، ومن الليالى ليلة القدر ، ومن الأيام عرفة ، ومن الأسبوع يوم الجمعة ، وفاضل الله بين الملائكة فاختار منهم الذين يحملون رسالته إلى رسله وأنبيائه ، واصطفى الله من بنى آدم الأنبياء ، فالأنبياء أفضل الخلق ، وأفضل الأنبياء الرسل : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) ﴾(٢) .

(١) سورة القصص الآية « ٦٨ » .
(٢) سورة الحج الآية « ٧٥ » .

تفضيل الأنبياء على غيرهم :

وقد أجمعت الأمة على تفضيل الأنبياء على غيرهم من الصديقين والشهداء والصالحين ، ويدل على تفضيلهم قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) ﴾ [(١)] .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضل هذه الأمة بعد نبيها ﷺ :

وقد أخبر الرسول ﷺ أنه : [**ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر**] [(٢)] ، وهذا يدل على أن الأنبياء والمرسلين أفضل الخلق وأن أفضل رجل بعدهم أبو بكر الصديق ، وشبيه بهذا قول رسول الله ﷺ في أبي بكر وعمر : [**هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين**] [(٣)] ، وقد رتب الله عباده السعداء الذين أنعم الله عليهم أربع مراتب ، قال تعالى : ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (٦٩) ﴾ [(٤)] فأول هذه المراتب وأعلاها الأنبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ، والنبوة لا

---

(١) سورة الأنعام الآيات « ٨٣ - ٨٦ » .
(٢) **حسن** : أخرجه عبد بن حميد والخطيب وغيرهما .
(٣) **صحيح** : رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني .
(٢) سورة النساء الآية « ٦٩ » .

ينالها العبد بكسب أو اجتهاد : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (١) وأفضل الأنبياء الرسل وأفضلهم أولو العزم ، وهم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ وهو أفضلهم – عليهم جميعاً الصلاة والسلام – وإذا تأملنا فى سيرة أنبياء الله ورسله رأيناهم أبر الناس قلوباً وأعمقهم علماً وأحضرهم بديهة وأشدهم تحملاً وأرقهم طباعاً ، فلا عجب أن يختارهم الله ليكونوا أمناء وحيه والعاملين على إقامة دينه ، فهم القمم السامقة التى تعجز النفوس عن أن تبلغ مداها .

ضلال من فضل الأئمة والأولياء على الأنبياء :

وقد ضلت الشيعة فى تفضيلها الأئمة على الأنبياء ، وسفهت بعض المتصوفة فى زعمهم أن الولاية أفضل من النبوة ، وهؤلاء وأولئك خالفوا الكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة المعتبرين ، ولقد فضل الله بعض النبيين والرسل على بعض فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ (٣) ، وقد ذُكر أولوا العزم الخمسة فى قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﴾ (٤) ، وقال : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (٥) ، وفى الحديث : [**أنا**

(١) سورة الأنعام الآية « ١٢٤ » .
(٢) سورة الإسراء الآية « ٥٥ » .
(٣) سورة البقرة الآية « ٢٥٣ » .
(٤) سورة الأحزاب الآية « ٧ » .
(٥) سورة الأحقاف الآية « ٣٥ » .

سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبى يومئذ ، آدم فمن سواه ، إلا تحت لوائى ، وأنا أول شافع ، وأول مشفع ، ولا فخر] [(١)] .

من سبقنا بالزمان سبقناه بالإيمان والعبرة بمن صدق :

وقد نص القرآن على تفضيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فقال سبحانه : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠) ﴾ [(٢)] وأفضل هؤلاء الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة ، ثم البدريون ثم أصحاب أُحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية ، وأولهم إسلاماً أبو بكر من الرجال ، ومن النساء خديجة ، ومن الصبيان علىّ ، ومن الموالى زيد بن حارثة ، ومن العبيد بلال .

قال ابن العربى : السبق يكون بثلاثة أشياء ، الصفة وهو الإيمان والزمان والمكان وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات لقول النبى ﷺ : [**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم** [(٣)] **الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد**] [(٤)] . فمن سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والاحتمال لوظائفه ، لا

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى وأحمد وغيرهما ، وصححه الألبانى .
(٢) سورة التوبة الآية « ١٠٠ » .
(٣) يوم الجمعة .
(٤) **صحيح** : متفق عليه .

نعترض عليها ولا نختار ولا نبدل بالرأى شريعته كما فعل أهل الكتاب ، وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

إن أكرمكم عند اللـــه أتقاكم :

فأفضل الناس بعد الأنبياء والمرسلين أبو بكر فعمر فعثمان فعلى فسائر العشرة المبشرة بالجنة ، وكل صحابى أفضل من كل من جاء بعده ، كما قال الإمام النووى . قال : قال النبى ﷺ : [**دعوا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أُحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**] ، وأكبر التابعين الفقهاء السبعة من أهل المدينة ، وأفضل التابعين على وجه العموم والجملة أويس بن عامر القرنى ، وأفضلهم علماً سعيد بن المسيب ، وسيدتا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن .

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : [**خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**] (١) ، فهؤلاء هم أفضل الناس علماً وعملاً واعتقاداً ، ونحن عندما نقدم هؤلاء الأفاضل ننزل على أمر ربنا فى التفضيل والتعظيم ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤) ﴾ (٢) ، وفى ذات الوقت لا ننكر قيمة العلم المادى التجريبى الذى فيه منفعة حقيقية للبشر كالكهرباء والذرة ... ولكن لا يجوز تقديم هذه العلوم ولا أهلها على علوم الهداية ولا على الأنبياء والمرسلين .

سفهت العقول عندما قدمت الفنانين على الأنبياء !!! :

وإذا كان هذا هو قولنا فى العلم المادى النافع فقولنا أشد بالنسبة للفنانين

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى ، وصححه الألبانى .
(١) سورة الملك الآية « ١٤ » .

كالرسامين والشعراء والموسيقيين والمغنيين والراقصين ، وكذلك الكتاب والأدباء من الملاحدة والمنحرفين ، فكيف يوصف هؤلاء بوصف العظماء ؟!! وانبهار الكثرة بهم وذيوع صيتهم وشهرتهم لا عبرة بها ولا التفات لها : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) ، فالحق والخير لا يعرف بكثرة ولا بقلة . فاعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . ولابد من الحذر المتأكد من أوصاف العظمة والشجاعة والقيادة التى يصف بها الأعداء أحياناً رسول الله ﷺ ، إذ هم كثيراً ما يفصلونها عن معنى النبوة والرسالة التى ينكرونها وهم بذلك يدسون السم فى العسل للأغرار ، فانتبهوا رحمكم الله .

وخلاصة القول أن من أعظم أسباب بقاء الذكر الجميل الدعاء وتحقق الإنسان بالعلم النافع والعمل الصالح وتقييض من يساعد ويساهم فى اشتهار الحال كطلبة علم كما حدث مع الأئمة الأربعة ، أو بكتاب متداول مشهور ككتاب أبى بكر بن مجاهد مما ساعد على اشتهار القراء السبعة ، وقد تكون الخصومة والعداوة سبباً فى اشتهار أمر الإنسان ، كما حدث مع كفار قريش مع رسول الله ﷺ فى بداية الدعوة فقد وقفوا على مشارف الطرق يحذرون الناس من رسول الله ﷺ ، وربنا جل وعلا قد يخدم هذا الدين بالرجل الفاجر . وكما ترى فالأمر كله يعود إلى الأخذ بالأسباب الشرعية متى وجدت وتفويض الأمر كله لله وأن تعلم أن الأمور تجرى بقدر وأن الفضل كله بيد الله .

---

(٢) سورة الأنعام الآية « ١١٦ » .

ميكافيللى أحد صناع الشهرة الزائفة

ولد هذا الخبيث عام ١٤٦٩م وتوفى عام ١٥٢٧م . وقد أودع تعاليمه الخربة كتابه « الأمير » الذى يحرص رجال السياسة والحكم على التتلمذ عليه والاهتداء بهديه ، وقد وصلت به الجرأة إلى تنبيه الناس إلى نبذ الفضائل عند الاقتضاء ، وتحت عنوان (كيف يكون وفاء الأمير) يقول ما نصه :

لا ينبغى للأمير الحذر أن يحفظ العهود إذا كانت ضد مصلحته وما دامت الأسباب التى دعت للوعد قد انقضى عهدها (المقصود بالأمير حاكم المقاطعة) إذا كان الناس كلهم أخياراً ، فإن القاعدة التى ذكرتها تكون لاشك سيئة ولكنهم أشرار ولن يحفظوا لك عهداً فلست مضطراً لحفظ عهودهم ، ثم إن الأمير لا يفقد حيلة شرعية يركن إليها إذا لم يف بوعده ، وأن الأمثال فى هذا الباب كثيرة تثبت أن السلم قد تزعزع مراراً وأن الوعود قد نسيت تكراراً بأمراء لا وفاء لهم وأن الذين استطاعوا من الأمراء تقليد الثعلب قد فازوا وانتصروا ولكن من الضرورى أن يخفى الرجل هذه الخليقة وأن يكون ماهراً فى فن التظاهر بغير شعوره ثم أن الناس من البساطة بمكان وهم أصحاب حاجات وصاحبها أرعن مطيع فلا يعدم الخادع فريسته .

ثم يقول ميكافيللى بعد ذلك بقليل ما نصه : ليس من الضرورى أن يتصف الأمير حقيقة بكل الفضائل التى سبق الكلام عليها ولكن من الضرورى أن يذاع عنه الاتصاف بها ، وإننى أجسر فأقول : إن الاتصاف بكل تلك الفضائل خطر ولكن الظهور بالتحلى بها نافع ، إنه من الخير لك أن تظهر بالتقوى والأمانة وحب الإنسانية والدين والإخلاص وأن تكون فى الواقع

كذلك ، ولكن ينبغى أن تكون منتبهاً بحيث إذا اضطررت للتحول إلى الصفات الأخرى كان ذلك بدون مشقة وينبغى العلم بأن الأمير لاسيما الحديث لا يمكنه ممارسة كل تلك الخلال الموصوفة بالحسن لدى الرجال ، لأنه يكون فى أغلب الأحيان مضطراً للاحتفاظ بالملك فيعمل ضد الإيمان والإحسان والإنسانية والدين لذا ينبغى أن يكون له عقل سهل التحول والإنتقال حسبما يقتضيه تقلب الأحوال وألا يترك صنع الخير ما استطاع وأن يكون قادراً على صنع الشر إذا احتاج لذلك وينبغى للأمير ألا يحرك لسانه بكلمة لا تدل على أنه متحل بالخلال الخمس السالفة الذكر فلا يرى فيه الرائى ولا يسمع منه السامع إلا الأمانة والعفة والتقوى وحب الإنسانية ، وأهم تلك الصفات صفة التقوى لأن الرجال يحكمون عادة بالنظر لا بالخبرة وكل الناس ترى فيك مظاهرك وقليلون يلمسون حقيقتك ، وهؤلاء القليلون لا يستطيعون أن يقاوموا الكثيرين المحتمين بسلطة الأمير . فليعش الأمير وليحافظ على عرشه دون النظر فى الوسائل فإنها ستبقى على الدوام معتبرة شريفة يمدحها الكل لأن العامة مأخذون بالظواهر وبنتائج الأشياء والعالم لا يشمل إلا العامة والقليلون من الخاصة لا يظهرون إلا عندما يضل الكثيرون أ . هـ .

فالغاية عنده تبرر الوسيلة ، والدين لديه مطية ووسلية للمحافظة على الحكم فحسب ، وأقواله لا تحتاج لتعليق كثير فهى تدل على عدم إيمان بالله ولا باليوم الآخر ، ثم لا تغفل الفارق الكبير بين رجال السياسة ورجال الدين وإلا فرجل الدعوة قد يقف فى مواطن الهداية حتى وإن كلفته نفسه كصاحب [يس] الذى أتى من أقصى المدينة يسعى قال : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي

فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) ﴾ [1] فأخذوه وعاجلوه بالقتل فنصحهم ميتاً كما نصحهم حياً قال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [2] .

كيف صنعوا المشاهير ببلادنا

كمثال - والأمثلة كثيرة لا تنحصر - انظر لما حدث فى ثورة سنة ١٩١٩م فقد أبرق اللورد اللنبى إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول (بعد تحريه شهراً وبعد تغيير انجلترا لمندوبها فى مصر) .

(١) الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته .

(٢) أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة ، فخرج سعد ليصرف الثورة من دينية إلى وطنية تنادى بتحرير التراب ويشترك فيها الجميع ، وقال قولته المشهورة : الدين لله والوطن للجميع ، وكأن التراب بذلك أهم على صاحب الثورة من دينه ، وكان ما كان بعد ذلك من رفع شعار الوطنية كبديل عن كلمة الإسلام وليصبح بذلك سهماً من جملة السهام المسمومة التى أطلقت على جسم هذه الأمة لإبعادها عن دينها وعن إسلامها .

وقد كتبت المصور يوم وفاة سعد زغلول تقول : وقد شارك البنائين الأحرار الماسون فى تشييع جنازة الزعيم الكبير ، وكان رحمه الله قطب من

---

(١) سورة يس الآيات « ٢٠ ، ٢٢ » .
(٢) سورة يس الآيات « ٢٦ ، ٢٧ » .

أقطاب الماسونية . ونشرت المقطم يوم الجمعة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧ (حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم) فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضواً كبيراً وفضلاً كثيراً وذخراً وفيراً كانت تعتز بفضله ، وستقام حفلة جنائز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد أ . هـ .

والأمر لا يدعوا للتعجب فهو قبل موته كان يقول : خسرنا كل شئ وكسبنا صداقة الإنجليز . وقال أيضاً : الإنجليز خصوم شرفاء معقولون .

وقد بين جورج كيرك مؤلف كتاب [موجز تاريخ الشرق الأوسط] أن القومية العربية ولدت فى دار المندوب السامى البريطانى ، وأظهر كيف أقامت أمريكا زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية وما حدث من انقلابات من أجل ذلك .

ومن الأمثلة أيضاً : مصطفى كمال أتاتورك الذى وصف بالبطولة وأنه محرر الشعب التركى من سلطة السلاطين واتخذ مثالاً يحتذى لكثير من الثورات فى البلاد العربية حتى أن شوقى بعد الإنتصار المدبر على الإنجليز أنشد يقول :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب ... يا خالد الترك جدد خالد العرب

ولكن ما لبث أن ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتى فى الآذان وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية على الشعب التركى ونزع الحجاب ، ثم ظهرت الوثائق التاريخية فأثبتت عمالته للإنجليز وصلته بالماسونية حتى أنه عندما حضرته الوفاة استدعى السفير الإنجليزى وطلب منه أن يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة ، وقد كان أتاتورك من يهود الدونمة وقدمت عائلته من المغرب وأخذ يترقى فى الجيش

التركى ، وأحكمت خطة التلميع والإشهار بإنسحاب انجلترا أمامه ليرجع بعد ذلك بصورة البطل المنتصر ويتمم الدور المطلوب منه بإلغاء الخلافة .

وفى محيط المرأة حدث نوع من الإشهار لبعض النسوة لجرأتهن على دين الله ولتحللهن من شرع الله ، وقد ركزت الجهات المشبوهة دوماً على دور المرأة ودعوتها للاختلاط بالرجال وخلع الحجاب والتحلل الذى يطلقون عليه اسم [حرية المرأة والتحرر] ومن جملة النماذج السيئة المشهورة هدى شعراوى التى أسست الاتحاد النسائى المصرى سنة ١٩٢٣م وكانت أول امرأة تسافر بلا محرم إلى أوروبا وحضرت أول مؤتمر دولى نسائى عقد فى روما سنة ١٩٢٣ والمؤتمر الثانى سنة ١٩٢٤م ولما وصلت من هناك نزعت الحجاب أمام الجماهير هى وسيزا نبراوى سكرتيرتها وداستاه بأقدامهما . وكذلك أمينة السعيد التى قضت عمرها تصرخ بحرية المرأة وتعتدى على الإسلام وآدابه وأحكامه .

وخلاصة القول أن نعلم أن : صناعة هولاء المشاهير المزيفين وإبراز أفكارهم وآرائهم وإضفاء الهالة حولهم ليكونون قدوة وقادة للناس إنما تتولاه فى الأعم الأغلب أجهزة ودوائر مشبوهة ، ويلعب أعداد الإسلام والمسلمين بصفة خاصة دوراً كبيراً فى ذلك ، فاليهودية العالمية وما يتبعها من مؤسسات وهيئات وأندية كالروتارى والليونز ونحوهما تسعى لجذب الشخصيات الهامة سواء كانت سياسية أو فكرية أو فنية لتكون بمثابة الأداة لها لترويج أفكارها ثم تسلط الأضواء عليهم ويكفى أن تنظر للسيل الجرار من المجلات التى تركز على حياة الفنانين والفنانات مثل [الشبكة – الموعد – سمر – غرام – الفتاة الشرقية] وماذا يُراد من ورائها إلا تحطيم وهدم هذه الأمة وإشهار كل ساقط وساقطة ، ولقد كان عدد كبير من فنانى مصر المشهورين أعضاء فى المحافل الماسونية .

آفـــات الشهـــرة

الطريق إلى الشهرة طريق محفوف بالمخاطر لا ينفك عن كثير من الآفات التى قد تصل بالإنسان إلى أن يبيع دينه لنيل شهرة زائفة أو هالة كاذبة ، والمضرة قد لا تقتصر على شخصية بل هى كثيراً ما تنسحب إلى غيره ومن هنا ورد الحث على التواضع وترك حب الظهور ، فعن أبى هريرة مرفوعاً [**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**] (١) وقال الحافظ : « فيه ترك حب الرئاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع » وإليك بعض الآفات التى تتعلق بالشهرة لتكون منها على حذر :

(١) إرادة الإنسان بعمله الدنيا :

وهذه صورة من صور الشرك ، وفيها يستخدم الإنسان دينه لنيل مآرب الدنيا كالذى يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك ، ولذلك سماه النبى ﷺ عبداً ففى الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : [**تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطى رضى وإن لم يُعط سخط تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه ، مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقة كان فى الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع**] (٢) ، وإذا شيك فلا انتقش : أى إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش ، وقال الطيبى : المعنى أنه إذا وقع فى البلاء لا يترحم عليه ، فإنَّ من وقع فى البلاء إذا ترحم له الناس

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم وأحمد .
(٢) **صحيح** : رواه البخارى

ربما هان الخطب عليه ويتسلى بعض التسلى ، وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء أو شماتتهم وهؤلاء رضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله ، وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده ، وهذه الأمور نوعان، فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه يكون المال عنده يستعمله فى حاجته بمنزلة حماره الذى يركبه وبساطه الذى يجلس عليه من غير أن يستعبدوه فيكون هلوعاً . ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغى أن لا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها وربما صار بالإضافة لذلك معتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لغير الله وهذا من أحق الناس بقول النبىﷺ : **تعس عبد الدنيار وتعس عبد الدرهم** ... وعبد الله من يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله فهذا هو الذى استكمل الإيمان ، ثم قال : **طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه** « وهو المجاهد فى سبيل الله » قال بعضهم : قيل إن هذه إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث لا يبتغى مالاً ولاجاهاً عند الناس ، بل يكون عند الله وجيهاً ولم يقبل الناس شفاعته ويكون عند الله شفيعاً مشفعاً . وفى تفسير قوله تعالى ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥)** ﴾ [١] قال ابن عباس : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا** ﴾ ، أى

(١) سورة هود الآية « ١٥ » .

ثوابها أى مآلها وزينتها ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ ﴾ نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور فى الأهل والمال والولد ﴿ وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ﴾ لا ينقصون .

﴿ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا ﴾ قال بعض المفسرين : وحبط فى الآخرة ما صنعوا وصنيعهم يعنى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة وإنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا ﴿ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أى كان عمله فى نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لوجه الله والعمل الباطل لا ثواب له . وسبيل النجاة والسلامة أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله ، بل ولك فى سلف الأمة أسوة وقدوة فقد كانوا وعلى الرغم من تقواهم وإخلاصهم يقول الواحد منهم : لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة لكان فرحى بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب وذلك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [1] .

بقى أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرض الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما ، وقد قال بعضهم القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله .

(٢) الريــــاء :

فطالب الشهرة يعمل ليراه الناس ويعظموه ويرى أنه لن يتحصل على الشهرة ولن يحافظ عليها إلا بالرياء والعمل لأجل المدح والجلالة فى أعين

---

(١) سورة المائدة الآية « ٢٧ » .

الناس ، وهذا صنف خاسر كسابقه إذ لا يقبل الله من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغي به وجهـه ، فعن أبى هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال الله تعالى : [**أنا أغنى الشركاء عن الشرك عن عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه**] [١] . فالمرائى قصد بعمله الله تعالى وغيره وجعل الله شريكاً فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغنى على الإطلاق والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه . وفى روايـة ابن ماجـه وغيـره « **فأنا منه برئ وهـو للـذى أشـرك** » كحال المنافقين فى صلاتهم ﴿ **وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ** ﴾ [٢] وكذلك وصف الله الكفار بالرياء فى قوله : ﴿ **وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ** ﴾ [٣] فلا ثواب إلا لما خلصت فيه النية لله تعالى . والفرق بين الرياء والسمـعـة : أن الرياء هو العمل لرؤية الناس ، والسمعة العمل لأجل مسامعهم . فالرياء يتعلق بحاسة البصر والسمعة بحاسة السمع ويدخل فيه أن يخفى عمله لله تعالى ثم يحدث به الناس ، وفى حديث شداد بن أوس مرفوعاً : [**من صلى يرائى فقد أشرك ومن صام يرائى فقد أشرك ومن تصدق يرائي فقد أشرك وإن الله عز وجل يقول : أنا خير قسيم لمن أشرك بى . فمن أشرك بى شيئاً فإن جسده وعمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به أنا عنه غنى**] [٤] وحديث الضحاك بن قيس مرفوعاً : [**إن الله عز وجل يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معى شريكاً فهو لشريكى يا أيها الناس أخلصوا أعمالكم لله عز وجل فإن الله لا يقبل من**

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم .
(٢) سورة النساء الآية « ١٤٢ » .
(٣) سورة الأنفال الآية « ٤٧ » .
(٤) رواه أحمد وفى سنده ضعف .

الأعمال إلا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منه شئ ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم فإنه لوجوهكم وليس لله منه شئ] (١) وحديث أبى أمامة الباهلى أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله : [**لا شيء له**] فأعادها عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله : [**لا شيء له**] ثم قال : [**إن الله لا يقبل من العمل إلا ماكان له خالصاً وابتغى به وجهه**] (٢) أما لو خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شئ من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية . وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ [**إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثى أجرهم فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم**] (٣) ، وقال الإمام أحمد : التاجر والمستأجر والمكارى أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم فى غزواتهم ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره . وقال أيضاً فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس . وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ نية الرياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير خلاف وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجاز على أصل نيته ؟ فى ذلك اختلاف بين العلماء من السلف حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبرى ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروى عن الحسن البصرى وغيره ، ويستدل لهذا القول بما أخرجه أبو داود فى مراسيله عن عطاء الخراسانى أن رجلاً قال : يا رسول الله إن بنى سلمة كلهم يقاتل فمنهم من

---

(١) رواه البزار وابن مردويه والبيهقى بسند ، وقال النذرى : لا بأس به .
(٢) **حسن** : رواه داود والنسائي بإسناد جيد ، وحسنه الألبانى .
(٣) **صحيح** : رواه مسلم .

يقـاتل للدنيا ومنهم من يقـاتل نجدة ومنهـم من يقـاتل ابتغـاء وجه الله ، قـال : كلهم إذا كـان أصل أمره أن تكون كلمـة الله هى العليا » وذكـر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو فى عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحـج ، فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئـة عليه ويحتاج إلى تجديد نية .

فـأمـا إذا عـمل العـمل لله خـالصـاً ثم ألقى له الثناء الحـسن فى قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره ، وفى هذا المعنى جاء حديث أبى بكر عن النبى ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه فقال : [**تلك عاجل بشرى المؤمن**] [1] ، وروى مسلم فى صحيحه حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار : المقاتل ليقـال جرىء والمتعلم ليقال عالم والمتصدق ليقال جواد .

وعن أبى سعيد مرفوعاً : [**ألا أخبركم ما هو أخوف عليكم عندى من المسيـح الدجـال ؟**] قـالوا بلى . قـال : [**الشرك الخفى يقوم الرجل فيـصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل**] [2] .

قال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجال ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ومـا لى إلا الله وأنت ، وأنا مـتـوكل عليك ولولا الله وأنت لم يكن كـذا وكـذا ، وقد يكون هذا شركاً بحسب حال قـائله ومقـصـده » أ . هـ ، وضد الشرك الأصغر التوحيد والإخلاص وهو إفراد الله بالعبادة باطناً وظاهراً ، والرياء

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم .

(٢) **حسـن** : رواه ابن ماجه والبيهقى وحسنه البوصيرى فى الزوائد ، وكذا الألبانى .

أن يكون ظاهره خيراً من باطنه ، ومعلوم أن حب الرياسة والجاه عند الناس هو الحامل له على الرياء ، قال الطيبى : وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع فى المعاصى الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده ، فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه فى المحافل فأصابت النفس فى ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته ، وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التى تعمى عن دركها العقول الناقدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين ، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ولذلك قيل : آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرساة . أ . هـ .

وكان حذيفة يتعوذ بالله من خشوع النفاق فلما قيل له وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يرى البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع ، ولما رأى عمر شاباً قد طأطأ رأسه قال له : يا ابن أخى ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب .

(٣) الكبـــر :

والتكبر يحدث بالعلم والمال والجمال والحسب والنسب والرياضة ، وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة وفى الحديث : [**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر** ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله

ـــسا فقال : **إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس]** [(١)] ، وبطر الحق أى ، الاستنكاف عن قبوله ورده والنظر إليه بعين الاستصغار وذلك للترفع والتعاظم ، ومعنى غمط الناس : إزدراؤهم واحتقارهم .

قال تعالى : ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾ [(٢)] ، وقال سبحانه : ﴿ **كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ** ﴾ [(٣)] ، وقال : ﴿ **إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾ [(٤)] ، وقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [(٥)] وقال ﷺ : [**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر**] [(٦)] وقال النبى ﷺ : [**لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً**] [(٧)]وقال النبى ﷺ : **يقول الله تعالى** : [**الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى**] [(٨)] وعيب على من خرج من مجرى البول مرتين أن يتكبر .

وقال المأمون : ما تكبر أحد إلا لنقص وجده فى نفسه ولا تطاول إلا لوهن أحس من نفسه وقيل من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ، ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون حده ، وقال ابن المعتز : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ويرفع حقيراً وليس بفاعل .

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم .
(٢) سورة الأعراف الآية « ١٤٦ » .
(٣) سورة غافر الآية « ٣٥ » .
(٤) سورة النحل الآية « ٢٣ » .
(٥) سورة غافر الآية « ٦٠ » .
(٦) **صحيح** : رواه البخارى .
(٧) **صحيح** : رواه البخارى .
(٨) **صحيح** : رواه مسلم بنحوه .

يا مُظهر الكبر إعجاباً بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريبُ
لو فكر الناس فيما فى بطونهم ... ما استشعر الكبر شبانٌ ولا شيب
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سمك ... والعين مرفوضة والثغر ملعوب
يا ابن ادم ومأكول التراب غداً ... أقصر فإنك مأكول ومشروب

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك ، وروى عن عمر أنه نادى : الصلاة جامعة . فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال : أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل اليوم وأى يوم ؟ فقال عبد الرحمن بن عوف : والله يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قصرت بنفسك فقال عمر : ويحك يا ابن عوف إنى خلوت بنفسى فقالت : أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها نفسها .

وجاء أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيوف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى السراج فأصلحه فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه ، قال : أفأنبه الغلام ؟ فقال : هى أول نومة نامها فقام وملأ المصباح زيتاً فقال الضيف : قمت أنت يا أمير المؤمنين فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص منى شئ وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . فمن طلب التواضع فليقتد برسول الله ﷺ فلقد كان أعظم خلق الله فى الدنيا والدين . وعن أنس أن ناساً قالوا : يارسول الله يا خيرنا وسيدنا وابن سيدنا .

فقال : [**يا أيها الناس لا يستهونكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله**] . وعن ابن مسعود قال : أتى النبى رجل يكلم فأرعد « ارتعدت فرائصه » فقال له النبى ﷺ : [**هون عليك فلست بملك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد**] (١) . وسأل عمر رجلاً فقال له من سيد قومك ؟ فقال : أنا ، قال له عمر : كذبت لو كان كذلك لم تقله . وقال الشافعى : أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله ، وقال الفضيل بن عياض : رأس الأدب معرفة الرجل قدره . ولما قيل للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ : أنت أكبر أم رسول الله ؟ قال : هو أكبر منى وأنا أسن منه « وكان أكبر من رسول الله ﷺ سناً » وقيل لأبى وائل : أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم ؟ قال : أنا أكبر منه سناً وهو أكبر منى عقلاً ، قيل لعبد الله بن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبر على المتكبرين ، وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن ذروة وأنصف عن قوة . وكانوا يقولون : لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإن ظن أنه قد علم فقد جهل . وإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً ، فاعفوا يعزكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله .

(٤) العجب والغرور :

فالتفرد والامتياز قد يصيب الإنسان بحالة من حالات العجب والغرور وهذه من جملة الآفات المهلكات قال تعالى : ﴿ **وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا** ﴾ (٢) ، وقال النبى ﷺ [**ثلاث منجيات وثلاث مهلكات**

---

(١) **صحيح** : رواه ابن ماجه وصححه الألبانى .
(٢) سورة التوبة الآية « ٢٥ » .

فأما المنجيات فتقوى الله فى السر والعلانية والقول بالحق فى الرضا والسخط والقصد فى الغنى والفقر وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه وهى أشدهن] [١]، وقال النبى ﷺ : [بينما رجل يتبختر فى بردين وقد أعجبته نفسه خسـف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يـوم القيامة] ولذلك قال تعالى : ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ [٢] وقال سبحانه : ﴿ لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ ﴾ [٣] والمن وليد العجب وهذا واضح من قول قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ [٤] ومن قول صاحب الجنتين ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ [٥] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [٦] وقال ﷺ : [إن الله أذهب عنكم عيبة الجاهلية - أى عجبها وكبرها - كلكم لآدم وآدم من تراب] [٧] وقال فى خطبة الوداع : [أيها الناس إن ربكم واحـد وإن أباكم واحـد كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربى على عجمى ولا لعجمى على عربى ولا أحمر على أبيض ولا أبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى اللهم بلغت اللهم فاشد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب] . وقال تعالى : ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً (٣٧) ﴾ [٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [٩] .

---

(١) **حسن** : رواه البيهقى وهو حسن لطرقه كما قال الألبانى .
(٢) سورة النجم الآية « ٣٢ » . (٣) سورة البقرة الآية « ٢٦٤ » .
(٤) سورة القصص الآية « ٧٨ » . (٥) سورة الكهف الآية « ٣٤ » .
(٦) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .
(٧) **حسن** : رواه أحمد وأبو داود عن أبى هريرة وحسنه الألبانى .
(٨) سورة الإسراء الآية « ٣٨ » . (٩) سورة لقمان الآية « ١٨ » .

وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه . وقال النبى ﷺ : [**لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب العجب**] (١) .
ولما قيل لعائشة رضى الله عنها « متى يكون الرجل سيئا .قالت : إذا ظن أنه محسن . وقال عليّ أصعب ما على الإنسان معرفة نفسه . إذا أعجب الإنسان بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنبه فقد استحكمت هلكته . وقيل لعامر بن مرة الزهرى : من أحمق ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس . وقيل لحمسه بن رافع : من أحـق الناس بالمقت ؟ قال الفقير المحتال والضعيف الصوال والغنى القوال . وقـال النبى ﷺ [**ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا : ولا أنت يارسول الله قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته**] (٢) . وحكى أن مطرف بن عبـد الله الشخير نظر إلى المهلب بن أبى صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشى بالخيلاء فقال يا عبد الله : ما هذه المشية التى يبغضـها الله ورسوله فقال المهلب : أما تعرفنى ؟ فقال بلى أعرفك : أولك نطفة مذرة وآخر جيفة قذرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة . فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعراً فقال :

عـجـبت من مـعـجب بصـورته ... وكـــان بـالأمس نطفـــة مـــذرة
وفى غــد بعــد حـــسن صـــورته ... يصـيـر فى اللحـد جيـفـة قـذرة
وهو على تيـــهـــه ونخـــوته ... مــا بين ثوبيــه يحـمل العــذرة

ومن أقوى أسباب الإعجاب كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً والتملق خديعة وملعباً .

---

(١) ضعيف : رواه البزار ، وابن حبان وضعفه العراقى .
(٢) **صحيح** : متفق عليه .

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۝٢ ﴾ (١)

قال القرطبى « أى شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم فى المقابر . وقيل ألهاكم أنساكم ، التكاثر أى من الأموال والأولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة : أى التفاخر بالقبائل والعشائر ، وقال الضحاك : أى ألهاكم التشاغل بالمعاس والتجارة ، وقال مقاتل وقتادة وغيرهما نزلت فى اليهود حين قالوا : نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً ، وقال ابن عباس ومقاتل والكلبى نزلت فى حيين من قريش : بنى عبد مناف وبنى سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف فى الإسلام فقال كل حى منهم نحن أكثر سيداً وأعز عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عائد فكثر بنو عبد مناف سهماً ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم سهم فنزلت ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ بأحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالأموات . وعن قتادة قال : كانوا يقولون نحن أكثر من بنى فلان ونحن أعد من بنى فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم » .

قال القرطبى: « قلت الآية تعم جميع ما ذكر وغيره » وفى صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ ﴾ قال : [**يقول ابن آدم : مالى مالى وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت أما ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**] (٢) ، وروى البخارى عن ابن شهاب أخبرنى أنس بن

---

(١) سورة التكاثر الآيات « ١ ، ٢ » .

(٢) **صحيح** : رواه مسلم .

مالك أن رسول الله ﷺ قال : [**لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب**] [١] ، قال ثابت عن أنس عن أبى:كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ① ﴾ قال ابن العربى : وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهلّوا والحمد لله على المعرفة ، وقال ابن عباس قرأ النبىﷺ ﴿ **أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ** ① ﴾ قال تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها فى الأوعية . أ . هـ . وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : [**أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستقساء بالنجوم والنياحة على الميت ، وقال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من نار**] [٢] ، والفخر بالأحساب أى التشرف الآباء والتعاظم بعدّ مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم وذلك جهل عظيم إذ لا شرف إلا بالتقوى كما قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا** ﴾ [٣] وقال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ** ﴾ [٤] فالناس مؤمن تقى أو فاجر شقى وكلهم لآدم وآدم من تراب قال رسول الله ﷺ : [**ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن**] [٥] .

---

(١) **صحيح** : رواه البخارى مسلم .
(٢) **صحيح** : رواه أحمد وأصله عند مسلم .
(٣) سورة سبأ الآية « ٣٧ » .
(٤) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .
(٥) **حسن** : رواه أبو داود عن أبى هريرة مرفوعاً ، وحسنه الألبانى .

(٥) الحســـد :

فحب الرياسة وطلب الجاه من أعظم أسباب الحسد وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظر فى فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له فى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده ، وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة الرسول ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم وجاههم رغم أن البشارة به موجودة فى كتبهم التى بين أيدهم ويتعبدون بقراءتها .

والحسد من أعظم المهلكات وهو كبيرة من الكبائر وفى الحديث [**لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس**] [١] ، وفى حديث أبى كبشة الأنمارى قال : [**مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لى مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء**] [٢] ، والفارق كبير بين الغبطة

---

(١) **صحيح** : متفق عليه .

(٢) رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح .

والحسد ، فالغبطة ليس فيها تمنى زوال النعمة ولا كراهتها وترجع إلى إرادة المساواة واللحوق به فى النعمة ، وليكن معلوماً أن فتنة الجاه أعظم من فتنة المال ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة ، فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى الإنسان لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته فى القلوب عنده وزن ولا يتم الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع . فالكمال محبوب ولذيذ وكل ما يدل عليه ويؤكده قد تتطلع إليه النفوس ، ولذلك فالنفس تحب المدح والثناء وترتاح به وتنفر من الذم وتبغضه ، ولذلك عرف أبو حازم الزهد بقوله : « أن يكون مادحك وذامك فى الحق سواء وأن يكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يد نفسك » .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى مجموع الفتاوى : « ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل فى الظالمين نفعه الله بتقواه كما جرى لزينب بنت جحش – رضى الله عنها – فإنها كانت هى التى تسامى عائشة من أزواج النبى ﷺ وحسد النساء بعضهن لبعض غالب لا سيما المتزوجات بزوج واحد فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها ، وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين فى رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر ويكون بين النظراء لكراهة أحدهم أن يفضل الآخر عليه كحسد أخوة يوسف وكحسد ابنى آدم أحدهما لأخيه فإنه حسده ليكون الله تقبل قربانه ولم يتقبل قربان هذا ، فحسده على ما فضله الله من الإيمان والتقوى – كحسد اليهود للمسلمين – وقتله على ذلك ولهذا قيل أول ذنب عصى الله به ثلاثة الحرص والكبر والحسد ، فالحرص من آدم والكبر من إبليس والحسد من ق
حيث قتل هابيل ، وفى الحديث : [**ثلاث لا ينجو منهن أحد** : ا

والظن والطيرة وسأحدثكم بما يخرج من ذلك إذا حسدت فلا تبغض وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض] [(١)] .

(٦) تقديم المفضول على الفاضل بسبب الشهرة :

التقديم والتأخير يجب أن يكون وفق الموازين الشرعية التى جاءت فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ ولا تصلح الشهرة وحدها ضابطاً لذلك والإخلال بهذا المعنى يترتب عليه كثير من المخالفات الشرعية منها محبة ذوى الفسق والفجور وتقديمهم لشهرتهم على ذوى الصلاح والتقى من المغمورين فنجد البعض يتباهى برؤية بعض المغنين أو الراقصين أو الممثلين أو سماعهم أو حفظ سيرتهم وأخبارهم بينما هو لا يعبأ بعلماء الأمة وصالحيها بل ولم يحفظ شيئاً من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ، فلا هو يعرف كيف يوحد ربه ولا كيف يصلى وما الذى تصلح به الصلاة وما الذى تبطل به . والأمر لا يقتصر على ذلك فالبعض يقدم المقبورين كالسيد البدوى بشهرتهم على صحابة النبى ﷺ وذلك فى الحب والتعظيم ومعلوم أن كل صحابى أفضل من كل من جاء بعده ، ويحدث هذا التقديم المغلوط أيضاً فى الإمامة وطلب العلم فيترك الناس الأخذ ممن كملت أهليته ويذهبون للمشاهير حتى وإن كانوا مفضولين أو على بدعة ، يقول الماوردى فى كتابه أدب الدنيا والدين « وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء ، إذا كان النفع بغيرهم أعم إلا أن يستوى النفعان فيكون عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى لأن الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر

---

(١) رواه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة ، وفى سنده ضعف .

وقد قال الشاعر :

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله

وإن صانك العلم الذى قد حملته أتاك من يجتنيه ويحمله

أى صانك عن المطامع الدنية والوقوف فى مواقف الريب .

وهكذا فأنت ترى أن الشهرة تقتضى تصرفات غير مشروعة أحياناً وتجعل الإنسان يقصر فى الخير إذا لم يتحقق له ما يريد وقد يؤدى التنافس عليها إلى أنواع من الشرور والخصومات عدا عن كونه قد يؤثر فى أصل النية فيحبط العمل وقد تفضى الشهرة بالناس إلى تقديس المشهورين وتقليدهم تقليداً أعمى وبالتالى فلا بد من وقفة تحاسب فيها نفسك وتجردها لله عز وجل .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم وتهيئوا للعرض الأكبر ، يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية فحرى بك أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وأن تحاسب نفسك هذه المحاسبة فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً منه زاد عطشاً حتى يقتله ، ولو فكر الطامع فى عاقبة الدنيا لقنع ، ولو تذكر الجائع فضول مآلها لشبع ، فأنت من الشباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم ومن الوجود إلى العدم ، وكان ميمون ابن مهران يقول : يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا ابيض قالوا الحصاد ، فنظر إلى الشباب فقال : إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد وقبيح بالشباب تأخير التوبة وأقبح منه تأخير الشيوخ فخذ من صحتك لمرضك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك وكن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وقل لنفسك :

ألا يا نفس ويحك ساعـدينى   بسـعى منك فى ظلم الليـالى
لعلك فى القيـامـة أن تفـوزى   بطيب العيش فى تلك العلالى

وتحسس قلبك فالقلب ملك مؤمر وقد قال النبى ﷺ : [**ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسـد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله**] (١)
ولا يسلم من عذاب الله إلا من أتى ربه بقلب سليم ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ

(١) **صحيح** : رواه البخارى ومسلم .

(٨٨) إلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٩) ﴾ [١] واحذر أن تكون من أصحاب القلوب الميتة فصاحب هذا القلب يتبع كل شيطان مريد الدنيا ، تسخطه وترضيه إن أحب أحب لهواه وإن أبغض أبغض لهواه وإن منع منع لهواه ، فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه ، واقف مع شهواته ولو كان فيها سخط ربه وغضبه ، فيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والعجب والكبر وحب العلو والفساد فى الأرض والرياسة ماهو مادة هلاكه وعطبه . فإن تنج من هذه الآفات تنج من ذى عظيمة ، وقد قال النبى ﷺ : [**تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مرباد كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه وقلب أبيض لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض**] [٢] ، « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره « ضعيف ومعناه صحيح » وتمامه : وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط ، فمن قوى يقينه علم أن الله وحده هو النافع والضار وأنه لا معول إلا على رضاه وليس لسواه من الأمر شئ كائناً ما كان فلا يهاب أحداً ولا يخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى : ﴿ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [٣] « وإن تحمدهم

---

(١) سورة الشعراء الآيات « ٨٨ ، ٨٩ » .
(٢) **صحيح** : رواه مسلم .
(٣) سورة الأحزاب الآية « ٣٩ » .

على رزق الله » لا ينافى ذلك حديث [**من لا يشكر الناس لا يشكر الله**] (١) لأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق ، وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : [**من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**] (٢) وقال ابن رجب : فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب ؟ أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ؟ إن هذا لشئ عجاب ، وما أحسن ما قيل :

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذى فوق التراب تراب

وفى الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على رضى الله وأن العقوبة قد تكون فى الدين عياذاً بالله من ذلك فإن المصيبة فى الدين أعظم من المصيبة فى الأموال والأبدان وفيه شدة الخوف على عقوبات الذنوب لا سيما فى الدين فإن كثيراً من الناس يفعل المعاصى ويستهين بها ولا يرى أثراً لعقوبتها ولا يدرى المسكين بم أصيب فقد تكون عقوبته فى قلبه كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٣) ، اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، واعلم أن الناقد بصير والعقبة كئود والحمل ثقيل والسفر طويل فخفف ظهرك من المعاصى والأوزار .

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى وغيره وصححه الألبانى .
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه .
(٣) سورة التوبة الآية « ٧٧ » .

روى عن علىّ رضي الله عنه أنه قال : ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت إليه فرفع الناس رؤوسهم تعجباً فقال : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [(١)] وفى خطاب ينصح فيه ابنه الحسن قال : يا بنى اجعل لنفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما فى يدك أحب إليك من طلب ما فى يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام، وجد فى الحصول على معاشك » ، وكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص يقول : إن الله إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، وأعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك ، فأعط كل ذى حق حقه وإذا عرفت فالزم فليس لك إلا أن تتابع صراط الله المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفقياً ، وهؤلاء لم يبحثوا عن شهرة زائفة كاذبة وإنما أخلصوا العبودية لله فى أقوالهم وأفعالهم فرفع ربنا ذكرهم وأعلى أثرهم وجعل العاقبة لهم فازدادوا تواضعاً لربهم ومعرفة بحقه وشكراً لفضله ، وإياك أن تكون ممن يتابع السبل المعوجة طلباً لشهرة الندامة والحسرة فتبيع دينك بدنيا غيرك ويغرك بالله الغرور وتكون قد أخذتها من حرام ووضعها فى حرام وتمتلئ نفسك بعد ذلك غروراً وكبراً

---

(١) سورة الإسراء الآية « ٧ » .

ورياء وعجباً ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (٥٤) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ (٥٥) أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (٥٦) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) ﴾ (١) وتذكر حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمك بأنك بعت كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذا لم تبع ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا أياماً قصيرة ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠) ﴾ (٢) .

وعن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ أن موسى عليه السلام سأل ربه : [**ما أدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجئ بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له أدخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذو أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله ، فقال فى الخامسة رضيت رب فيقول : هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال : رب فأعلاه منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر**] (٣) .

---

(١) سورة الزمر الآيات « ٥٤ – ٥٨ » .
(٢) سورة مريم الآيات « ٣٩ – ٤٠ » .
(٣) **صحيح** : رواه مسلم .

نصائح هامة وغالية
بين يدى موضوع الأتقياء الأخفياء

النصيحة الأولى : تعريفات هامة :

قال رسول الله ﷺ : [**إن أهل الكتاب افترقوا فى دينهم على اثنين وسبعين ملة ، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة - يعنى الأهواء - كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة**] (١) وفى رواية : [**قالوا : من هى يارسول الله ؟ قال : ما أنا عليه وأصحابى**] (٢) ، وهذه هى الفرقة الناجية .

وفى الحديث : [**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله**] (٣) ، وهذه هى الطائفة المنصورة .

وفى الحديث : [**طوبى للغرباء ، أناس صالحون فى أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**] (٤) ، فاحرص أن تكون واحداً منهم .

قال قتادة : أهل رحمة الله : أهل الجماعة وإن تفرقت ديارهم وأبدانهم ، وأهل معصيته أهل الفرقة وإن اجتمعت ديارهم وأبدانهم .

والمقصود بأهل الحديث : أهل القرآن والسُّنة كمالك والشافعى وأحمد والبخارى ومسلم ، وغيرهم ممن كان يجمع بين الفقة ورواية الحديث .

---

(١) **صحيح** : رواه أبو داود وصححه الألبانى .
(٢) **حسن** : رواه الترمذى .
(٣) **صحيح** : رواه مسلم .
(٤) **صحيح** : رواه أحمد ، وصححه الألبانى وغيره .

وأهل السنة والجماعة سُموا بذلك : لإلتزامهم بالسنة فى العقيدة والعمل فى الظاهر والباطن ولكونهم يأمرون بالإجتماع على ما كانت عليه الجماعة الأولى جماعة الصحابة – رضى الله عنهم – وينهون عن الاختلاف .

والسلف هم الصحابة ومن تابعهم بإحسان من سائر قرون الخيرية ، وأئمة الدين العدول ، والسلفيون من تابعوهم على هذا الفهم إلى يومنا هذا من أهل السنّة والجماعة ، وسُئِل الشيخ عبد العزيز بن باز عن الفرقة الناجية فقال : هم السلفيون ، وكل من مشى على طريقة السلف الصالح .

الثانية : لحوم العلماء مسمومة : وعادة الله فى هتك أستار منتقصيهم معلومة ، وإذا لم يكن العلماء بأولياء لله فليس لله ولى كما قال الإمام الشافعى – رحمه الله – واحترام الأئمة المجتهدين المقبولين عند الأئمة « كالأئمة الأربعة والثورى وابن عيينة وابن المبارك ... » ومحبتهم وموالاتهم – واجب على كل مسلم – إذ هم ورثة النبى ﷺ ، وليس أحد منهم يتعمد مخالفة لرسول الله ﷺ خصوصاً الأئمة الأربعة « أصحاب المذاهب الفقهية المعروفة » ولكن كل إنسان يؤخذ من قوله ويُترك إلا رسول الله ﷺ ، فكل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ، ولكل جواد كبوة ، ولكل عالم زلة ، والحاكم إذا اجتهد فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، والحق أبلج وعليه نور ، وهو ما وافق الكتاب والسُّنة وهو مقبول من كل من جاء به ، والباطل لجلج ، وهو مردود على صاحبه كائنا من كان .

ولا ريب أن الخطأ فى دقيق العلم مغفور للأمة ، ولولا ذلك لهلك أكثر الأمة ،كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وذكر أنه لا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح ووافقه طائفة من أهل العلم إلى قول عالم .

وقال : ولهذا اتفق العلماء على أنه إذا عرف شخص الحق لا يجوز له تقليد أحد فى خلافه » . أ . هـ .

الثالثة : لا عصمة لأحد بعد النبى ﷺ ، لا لصاحب ولا إمام ولا ولى بل الجميع يجوز عليه الكبائر والصغائر ، لكن للصحابة مزية على من بعدهم للسبق للإسلام والصحبة والهجرة والجهاد فى سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ (١) ، وفى الحديث [**لا تسبوا أصحابى فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**] (٢) ، فالواجب على كل مسلم حب الصحابة وتوليهم ومعرفة فضلهم ، كما يجب الإمساك عما شجر بين الصحابة بعد قتل عثمان - رضي الله عنه - من خلاف وقتال ، فكثير مما يُروى كذب وزور عليهم ، وأكثر أهل السنّة على أن علياً اجتهد وأصاب ، والمخطئ من خالفه ، وكلاهما وكل مجتهد مأجور ، مرفوع عنه الإثم معذور فى خطئه ، وسب الصحابة من عظائم الذنوب سواء علياً أو معاوية .... بل هم جميعاً ممن قال الله فيهم : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ (٣) وكان أبو أيوب السختيانى يقول : إذا رأيت الرجل ينتقص أحد من صحابة رسول الله ﷺ فاعلم أنهم أرادوا أن يجرحوا شهودنا ليعطلوا العمل بالكتاب والجرح بهم أولى وهم زنادقة ، فالصحابة هم خيار أولياء الله المتقين بعد الأنبياء والمرسلين ، وكذلك لا يجوز الاستهلال بذكر الهفوات التى

---

(١) سورة التوبة الآية « ١٠٠ » .
(٢) **صحيح** : متفق عليه .
(٣) سورة الحجر الآية « ٤٧ » .

بدرت من الأنبياء والمرسلين ، فهذا من سوء الأدب ، وانتقاصهم أو أحدهم جرم عظيم ، وقد ذكر سبحانه توبتهم ومسارعتهم فى الخيرات وخشيتهم لله ، فهم سادة البشر وقادتهم فى الدنيا والآخرة .

الرابعة : أولياء الله هم المتقون فى كل زمان ومكان ، من أهل السنَّة والجماعة ، لهم الكرامات والفضائل فى الدنيا والآخرة مايوجب حبهم ، ولكن يجب الحذر من الغلو فيهم أو عبادتهم من دون الله ، ومن اعتقد فى أحد منهم أو من غيرهم الأولوهية [كالنصيرية العلويين فى على ، والدروز فى الحاكم بأمر الله ، والباطنية فى إمامهم] والنبوة [كطوائف من الروافض] أو اعتقد تحريف القرآن أو خطأ الوحى فهو كافر بلا خلاف عند أهل السنة ، فالاستقامة هى أعظم كرامة ، وخرق العادة قد يحدث لبعض العباد ولا بد من التفريق بين الكرامة الرحمانية ، والخارقة الشيطانية .

قال الليث : إذا رأيت الرجل يمشى على الماء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنَّة ، وقال الشافعى : قصَّر والله الليث بل لو رأيت الرجل يطير فى الهواء فلا تصدقه حتى تعرض عمله على السنَّة . فالكرامة ضابطها الاستقامة ، والكل مأمور بالرجوع للكتاب والسنَّة ، فلا يقلدن أحدكم دينه رجلاً ، إن آمن آمن ، وإن كفر كفر ، ولا يكونن أحدكم إمعة يقول أنا مع الناس ، إن أحسن الناس أحسنت ، وإن أساءوا أسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم .

الخامسة : المنامات والكشوفات والفتوحات من أدلة الاستنباط عند الصوفية فالواحد منهم يقول حدثنى قلبى عن ربى ، أما أهل السنَّة والجماعة فالمعتمد عندهم هو الكتاب والسنَّة ، والرؤى يُستأنس

بها ، وهى رؤيا من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ، ورؤيا مما يُحدث المرء نفسه ، وفى الحديث أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً ، وإذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، والرؤيا الصادقة جزء من أجزاء النبوة ، وقد رأينا ما انجر بسبب ذلك فى حادثة الحرم الشهيرة من سفك للدماء وتعطيل للشعائر وصد عن سبيل الله وكل ذلك بسبب تواتر الرؤى - الذى قيل أيامها بظهور المهدى - فالواجب على الناس جميعاً التأدب مع النبى ﷺ وطاعته واتباع سنّته ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، ومقتضى شهادة أن محمداً رسول الله تجريد متابعته ﷺ تحكيمه فى كل موارد النزاع فى أصول الدين وفروعه ، وفى العقائد والأحكام ومنازل القلوب ، والرضا بحكمه والانقياد له ، والتسليم لسنته ، والإعراض عمن خالفه ، وتقديم قوله وهديه وأمره ونهيه على قول أحد كائناً من كان .

السادسة: نرجو للمحسن ونخاف على المسيئ:فإذا كان العبد يعمل بطاعة الله ومات على ذلك رجونا أن يكون من أهل الجنة ، وإذا كان يعمل بمعصية الله ومات على ذلك ، خفنا أن يكون من أهل النار ، ولا نقطع لأحد بالخاتمة ، فالخواتيم لا يعلمها إلا الله ، وفى الحديث : [**يعمل أحدكم بعمل أهل الجنة حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، ويعمل أحدكم بعمل أهل النار حتى ما يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**] (١) ، والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء فيصبح المرء مؤمناً ويُمسى كافراً ، ويمسى كافراً ويصبح مُؤمناً يبيع دينه بعرض من الدنيا ، فإذا قطع الشرع بأن فلاناً من أهل الجنة كأبى بكر وعمر وعثمان وعلىّ أو أن فلاناً

---

(١) **صحيح** : متفق عليه .

من أهل النار كفرعون وأبى جهل وأبى لهب قطعنا بذلك . والكل يجب عليه أن يرجو ربه ويخاف ذنبه ، وليس لأحد أن يتألى على الله فيقطع بخاتمته أو خاتمة أحد حتى ولو كان لله تقياً ، وقد قال رسول الله ﷺ لأم العلاء [**والله إنى لرسول الله وما أدرى ما يُفعل بى غداً**] [١] ، وكان ذلك قبل أن ينزل قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [٢] .

السابعة : نقبل من الناس علانيتهم ونَكِل سريرتهم لله

هو يتولى السرائر ، فقد كان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقول : أيها الناس إن الوحى قد انقطع فمن أظهر لنا خيراً أمنّاه وقربناه ، ليس لنا فى سريرته ، الله يتولاه فى سريرته ، ومن أظهر لنا شراً لم نؤمنه ولم نقربه وإن قال إن نيته حسنة .

والواجب إحسان الظن بالمسلمين والعلماء والصالحين ، وحملهم على أحسن محاملهم ، وإساءة الظن بالنفس ، والمؤمن يتلمس للناس الأعذار ، والمنافق يتلمس للناس الزلات ، ولا بد من الحرص على الجمع بين المصالح وشمولية النظر ، وأن نعلم أن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة ، وأنه لا تعارض بين الجهاد وتأدية الصلوات المفروضة وصيام رمضان .... كما لا يجوز أن يكون الاشتغال بعلم الحديث مثلاً سبباً للجهل بالعقيدة أو الحلال والحرام أو ما لا يسع المسلم جهله ، كما لا يجوز للإنسان أن ينشغل بطلب العلم إذا داهم العدو بلده وتعين الجهاد عليه ، إذ لكل مقام مقال ، ولا يجوز تحقير طاعة من الطاعات إذ قد تكون سبباً فى نجاة العبد كما كان الأمر بالنسبة لبغى

---

(١) **حسن** : رواه أحمد .
(٢) سورة الفتح الآية « ٢ » .

بنى إسرائيل التى دخلت الجنة فى كلب سقته ، وأيضاً لا يصح الاستهانة بمعصية ، فقد دخلت المرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت ، ولا بد من العدل والاعتدال بعيداً عن التهويل والتهوين والإفراط والتفريط .

الثامنة : تتعلق بالألفاظ والمصطلحات التى لم ترد فى السنّة :

ولم يتكلم بها صحابة رسول الله ﷺ كالغناء والمحو والذوق والوجد ... بل وُجدت على السنّة من جاء بعدهم ، قال الذهبى عن أمثال هؤلاء : أى والله ، دققوا وعمّقوا ، وخاضوا فى أسرار عظيمة ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال ، ولا وجود لتلك الأحوال من الغناء والمحو والصحو والشكر إلا مجرد خطرات ووساوس ، ما تفوه بعباراتهم صِدّيق ، ولا صاحب ، ولا إمام من التابعين فإن طالبتهم بدعاويهم مقتوك ، وقالوا : مجنون ، وإن سلمت لهم قيادتك تخبط ما معك من الإيمان ، وهبط بك الحال على الحيرة والمُحال ، ورمقت العُبّاد بعين الموت ، وأهل القرآن والحديث بعين البعد ، وقلت : مساكين محجوبون ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

فإنما التصوف [(١)] والتأله والسلوك والسَّيْر والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ من الرضا عن الله ، ولزوم تقوى الله والجهاد فى سبيل الله ، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر والقيام بخشية وخشوع ، وصوم وقت وإفطار وقت ، وبذل المعروف ، وكثرة الإيثار وتعليم العوام ، والتواضع للمؤمنين ، والتعزز على الكافرين ، ومع هذا فالله يهدى من يشاء إلى صراط

---

(١) الصوفية منهم موسوية المحمدية وعيسوية المحمدية ، وملاحدة كأمثال ابن عربى صاحب الفتوحات المكية ومنهم من طريقته بالكتاب والسنة كالجيلانى الذى أثنى عليه ابن تيمية ، ويكفينا الرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله وصحابته الكرام ، وإلا فما أكثر البدع الموجودة فى الصوفية كوحدة الوجود وسقوط التكاليف .

مستقيم ، والعالم إذا عرى من التصوف والتأله فهو فارغ كما أن الصوفى إذا عرى من علم السنة زال عن سوء السبيل .

التاسعة : تتعلق بالزهد : كما كان أبو حازم يقول : ليس الزهد بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال ، ولكن أن يكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تُصب بها سواء ، وأن يكون مادحك وذامك فى الحق سواء ، وأن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يد نفسك .

ولما سئل الإمام أحمد: أيكون الرجل ذا مال وهو زاهد ، قال : نعم ، إن كان لا يفرح بزيادته ولا يحزن بنقصانه ، ومتاع الغرور ما شغل صاحبه عن طلب الآخرة أما ما لم يُهلك عن طلب الآخرة فليس بمتاع غرور ، ولكن متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه .

وقالوا : نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة ، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها إلى النار ، وقال آخر : كيف لا أحب دنيا قُدر لى فيها قوت ، اكتسب به حياة ، أدرك بها طاعة ، أنال بها الجنة .

وليس من السُّنة العيش على طعام واحد أو ترك النظافة أو دخول الخرائب وهجران الدنيا أو الصوم عن الكلام ، فكلها محدثات وبدع ، وخير الهدى هدى رسول الله ﷺ وما كان عليه الأفاضل ، فهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ، وقد تكلم العلماء فى أيهما أفضل الفقير الصابر أم الغنى الشاكر ، والراجح أن أتقاهما هو أفضلهما عند الله وإلا فالإيمان نصفه صبر ونصفه شكر ، فإذا ابتليت فاصبر وإذا أنعم عليك فاشكر ، وكانوا إذا وجدوا أكل أكلوا أكل الرجال ، وإذا افتقدوا صبروا صبر الرجال .

العاشرة : البدعة : كما عرفها الشاطبى طريقة مخترعة فى الدين تضاهى الطريقة الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها مضاهاة التعبد لله تعالى ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار ، سواء كانت البدعة فى العقيدة أو الأحكام ، وسواء كانت حقيقية أو إضافية .

وكان عمر يقول : كل محدثة بدعة ، وإن رآها الناس حسنة ، وقال ابن مسعود : اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم عليكم بالأمر العتيق ، وقال الشافعى : من استحسن فقد شرع . والمبتدع ممن زين له سوء عمله فرآه حسناً ، ولا تُرجى له توبة ، وهو ممن يثبت لعقله صفة الكمال ويتهم شرع ربه بالنقصان ، والبدعة أحب إلى إبليس من المعصية ، ومن وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الدين ، وقد كان من هدى رسول الله ﷺ أن يصوم ويفطر ويقوم الليل ، وينام ، ويأكل اللحم ويتزوج النساء ، فمن رغب عن سنته فليس على طريقته ، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ هو أعلم الخلق وأتقاهم لله تعالى .

الحادية عشرة : أفضل الصيام صيام نبى الله داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى : وأفضل القيام قيام نبى الله داود كان ينام نصفاً ويقوم ثلثاً وينام سدساً ، وما أورده ابن الجوزى فى صفة الصفوة والذهبى فى سير الأعلام النبلاء وغيره – ونقلت بعضه هنا – لابد من ضبطه بالضوابط الشرعية ، فيجوز صوم الدهر إلا الأيام التى نُهينا عن صيامها كأيام العيدين ، وأيام التشريق لمن لم يجد الهدى ، والمداومة على إحياء الليل كله بالصلاة لم يكن من هدى رسول الله ﷺ ، فقد كان يقوم وينام ، فإذا أقبل العشر الأواخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله وشد المئزر ، وقد ذكر جمهور العلماء أن صلاة الليل من جملة النوافل المطلقة التى لا تتقيد بعدد ، وهذا قول مالك والشافعى وأحمد وابن تيمية لحديث العشرين ركعة زمن

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وبالتالى فلا حرج على من صلى ثلاثمائة ركعة أو ألف ركـعـة ، وإن كـانـت أم المؤمنين عـائشـة قـد روت أن النبى لم يزد فى رمضان ولا غيره على إحدى عشـرة ركعـة ، صلى أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلى أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ثم يوتر بثلاث ، وما ورد عن بعض الصالحين من أنه كان يقرأ القرآن فى ليلة أو ركعة واحدة فلا مخالفة فيه إذا تم ذلك بتدبر ، وقد ذكر النووى فى كتابه التبيان فى آداب حملة القرآن طرائق السلف فى ختم القرآن وتفاوتهم فى ذلك ، ولا يجوز أن نحمل ما كان عليه هؤلاء الأفاضل من خير وبركة وسعة رزق ، وعلى ما نحن عليه اليوم من قصور وعجز وانشغال بالدنيا وزخارفها وبالتالى فلا مجال للسؤال كيف يُسرت لهم الطاعات بينما حُجبنا وحُرمنا نحن ؟! والذى يعنينا الآن أن نقرر أن العبادات الأصل فيها التوقف أو أنها تؤخذ دون زيادة أو نقصان ، أما المعاملات « كبناء مدرسة أو مستشفى أو صناعة سيارة » فالأصل فيها الإباحة إذا روعيت ضوابطها الكلية .

الثانية عشرة : تتعلق بالصياح والزعيق والنهاق إظهاراً للخوف : قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [1] وصف الله تعالى المؤمنين فى هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره ، وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم ، وكأنهم بين يديه ، ونظير هذه الآية ﴿ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [2] وقال : ﴿ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [3] فهذا

(١) سورة الأنفال الآية « ٢ » .
(٢) سورة الحج الآيات « ٣٤ ، ٣٥ » .
(٣) سورة الرعد الآية « ٢٨ » .

يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب ، والوجل : الفزع من عذاب الله ، فلا تناقض ، وقد جمع الله بين المعنيين فى قوله : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [(١)] أى تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله ، فهذه حالة العارفين بالله ، والخائفين من سطوته وعقوبته ، لا كما يفعله جهال العوام ، والمبتدعة الطغام [(*)] من الزعيق والزئير ومن النُّهاق الذى يشبه نهاق الحمير ، فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم أن ذلك وَجْد وخشوع: لم تبلغ أن تساوى حال الرسول ولا حال أصحابه فى المعرفة بالله والخوف منه ، والتعظيم لجلاله ، ومع ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكاء خوفاً من الله ، ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه ، فقال : ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** (٨٣) ﴾ [(٢)] فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم ، فمن كان مستناً فليستن ، ومن تعاطى أحوال المجانين والجنون فهو من أخسهم حالاً ، والجنون فنون . روى مسلم عن أنس بن مالك أن الناس سألوا النبى ﷺ حتى أحفوه [(**)] فى المسألة، فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال : « **سلونى لا تسألونى عن شئ إلا بينته لكم ما دمت فى مقامى هذا** » ، فلما سمع ذلك القوم أرمّوا [(***)] ورهبوا أن

---

(١) سورة الزمر الآية « ٢٣ » .
(٢) سورة المائدة الآية « ٨٣ » .
(*) أرذال الناس وأوغادهم .
(**) أى أكثروا عليه .
(***) أى : سكتوا .

يكون بين يدى أمر قد حضر ، قال أنس : فجعلت ألتفت يميناً وشمالاً فإذا كل إنسان لافٌ رأسه فى ثوبه يبكى ، وذكر الحديث. وروى الترمذى وصححه عن العرباض ابن سارية قال : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ... الحديث ولم يقل : زعقنا ولا رقصنا ولا زفنا (*) قمنا . أ . هـ.

ويبقى أن يقال : أن من صعق عند سماع القرآن قد حدث له ذلك لقوة الوارد من الآيات مع ضعف القلب كما قال ابن تيمية ، أما الصحابة فلم يحدث لهم ذلك مع قوة الوارد لقوة قلوبهم ، وحالهم هو أكمل الأحوال رضى الله عنهم أجمعين .

الثالثة عشرة : أحكام وضوابط الأخذ من كتب غير المسلمين: من المعلوم أن الكتب السابقة لنزول القرآن منسوخة الشرائع والأحكام بالإسلام وأخبارها وقصصها مترددة بين الصواب والخطأ لثبوت وقوع التحريف والزيادة والنقص ، ولذلك قال رسول الله ﷺ : [**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا**] (١) ، فالأناجيل قد دونت بعد رفع عيسى بزمن طويل وهى اليوم مختلفة لا تتفق نسخة مع أخرى، وكذلك التوراة والتلمود ، دونها أحبار اليهود بعد موسى بأزمان متطاولة ، قال تعالى : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ (٢) وقال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا

(١) **صحيح** : رواه البخارى .
(٢) سورة النساء الآية « ٤٦ » .
(*) الضرب بالرجل .

مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) ﴾ [١] وقد جعل شيخ الإسلام ابن تيمية الإسرائيليات على ثلاثة أقسام :

١ – ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح .

٢– ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فذاك كذب .

٣ – مما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا فلا تصدق به ولا تكذبه .

وهذا القسم الأخير تجوز حكايته ويشهد لذلك حديث النبى ﷺ : [**إذا حدثكم أهل الكتاب لا تصدقوهم ولا تكذبوهم**] وما أخبرنا به نبينا عن الأنبياء وأممهم ، فإن ذلك مما يجب تصديقه مع الاحتراز فى نقله كما بين ابن تيمية .

إن أى دراسة تتباعد عن المصادر الشرعية ، لابد أن تصاب بالتشوه والنقص كهذه الدراسات التى أخذها البعض عن المستشرقين ، وعن المدارس المتعددة فى تفسير التاريخ كالمدرسة الإجتماعية ، والمدرسة النفسية ، والمدرسة المادية ، والمدرسة القومية والجغرافية واللاهوتية . فالواجب على كل من يتصدى لدراسة التاريخ الإسلامى وتدريسه أن يقوم بدراسة القرآن الكريم ومعرفة أسباب النزول وأصول علم التفسير ، وأصول علم الحديث ، ومعرفة الأحكام الشرعية وعقيدة أهل السنة والجماعة ، وعقائد الفرق المخالفة ، لأن هذه من أهم المصادر ، لدراسة التاريخ وتقييم الأحداث على أسس صحيحة .

الرابعة عشرة : قال سفيان الثورى : إنما يطلب الحديث ليتقى به

---

(٣) سورة البقرة الآية « ١٤٦ » .

الله عز وجل ، فلذلك فُضِل على غيره من العلوم ، ولولا ذلك كان كسائر الأشياء .

وقال حماد بن سلمة : من طلب الحديث لغير الله مكر به .

وقال البعض : إن مثل الذى يعظ الناس وينسى نفسه كالمصباح يحرق نفسه ويضئ لغيره .

وعن كعب قال : إنى أجد فى بعض الكتب نعت قوم يتعلمون لغير العمل ، ويتفقهون لغير العبادة ، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، يلبسون جلود الضأن وقلوبهم أمّر من الصبر ، فبى يغترون وإياى يخادعون ، فبى حلفت لأتحين لهم فتنة تترك الحليم حيراناً ، وقال الحسن بن صالح : إنك لا تفقه حتى لا تبالى فى يدى من كانت الدنيا ، وقال مكحول : من طلب الحديث ليمارى به السفهاء أو ليباهى به العلماء أو ليعرف به وجوه الناس فهو فى النار ، وقال مسروق : كفى بالمرء علماً أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه وقال أبو الدرداء : علامة الجهل ثلاث العجب وكثرة المنطق فيما لا يعنيه وأن ينهى عن شئ ويأتيه ، وقال الفضل : ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى وتتبع عيوب الناس ، وكره أن يذكر أحد بخير .

وقالوا : من أعجب برأيه ضل ، ومن استيقن بعقله زل ، ومن تكبر على الناس ذل ، ومن خالط الأندال حُقر ، ومن جالس العلماء وقر . وقال أبو نعيم : والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة ، وإن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر ، قيل لابن المبارك من الأصاغر ؟ قال : الذين يقولون برأيهم ، فأما صغير يروى عن كبير فليس بصغير .

وفى الحديث : [**ما ذئبان جائعان أرسلا فى حظيرة غنم بأفسد لهما من حب المال والشرف لدين المرء**] [١] وقد ذكر ابن عبد البر فى كتاب جامع بيان العلم وفضله : كراهة أن يشهر الإنسان نفسه بالعلم والزهد والدين أو بإظهار الأعمال والأقوال والكرامات ليزار وتلتمس بركته ودعاؤه وتُقبّل يده ، وهو محب لذلك ويقيم عليه ويفرح به ويسعى فى أسبابه ، ومن هذا كان السلف الصالح يكرهون الشهرة غاية الكراهة ، منهم أيوب والنخعى وسفيان وأحمد وغيرهم من العلماء الربانيين ، وكذلك الفضيل وداود الطائى وغيرهما من الزهاد والعارفين ، وكانوا يذمون أنفسهم غاية الذم ويسترون أعمالهم غاية الستر .... وكان كثير من السلف يكره أن يطلب منه الدعاء وكان يقول لمن يسأله الدعاء : أى شىء أنا ؟ .

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى وأحمد وصححه الألبانى .

أتقياء أخفياء

إن الله يحب الأتقياء الأخفياء الأبرار الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يرعوا ولم يعرفوا مصابيح الهدى ، يخرجون من كل غبراء مظلمة ، فاحرص على طاعة الله فإن ظهر أمرك واشتهر حالك فعش حياة العبودية لربك واصرف هذا الظهور فيما يقربك من مولاك وإلا فكن واحداً من هؤلاء الأفاضل واعلم أن الله سبحانه مطلع ورقيب ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦) ﴾ [(١)] فاتق الله حيثما كنت أى فى سر أمرك وفى علانيتك ، وخف من الله على قدر قربه منك وقدرته عليك فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره ، ورب العزة جل وعلا لا تضيع عنده مثاقيل الذر والجزاء من جنس العمل ، فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : [**إذا أحب الله العبد قال لجبريل : قد أحببت فلاناً فأحبه فيحبه جبريل** عليه السلام **ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض**] [(٢)] وروى أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال : [**سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله** وذكر منهم **رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه** ، وأيضاً : **رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله**][(٣)] فاحرص على طاعة الله فى حلك وترحالك وإقدامك وإحجامك وأقوالك وأفعالك ، وأسأل الله من فضله فلن يهلك على الله إلا هالك .

---

(١) سورة المجادلة الآية « ٦ » .
(٢) **صحيح** : رواه البخارى ومسلم .
(٣) **صحيح** : متفق عليه .

ذو القـرنـين [١]

قصة ذو القرنين هى آخر قصة فى سورة الكهف ، قال قتادة أن اليهود سألوا النبيﷺ عن ذى القرنين فأنزل الله ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ﴾[٢] وقد تعلقت قصة ذى القرنين بخروج يأجوج ومأجوج ، وهما علامة من علامات الساعة الكبرى ، وخروجهما من السد الذى بناه ذو القرنين يؤذن بقرب يوم القيامة ، ولذلك خُتمت القصة بقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) ﴾[٣] وقال العلماء : عاتب الله تعالى نبيه ﷺ قوله للكفار حين سألوه عن الروح والفتية وذى القرنين : غداً أخبركم بجواب أسئلتكم ولم يستثن فى ذلك « أى لم يقل إن شاء الله » فاحتبس الوحى عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه وأرجف الكفار به ، فنزلت عليه هذه السورة – سورة الكهف – مفرّجة ونزل عليه قوله تعالى : ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) ﴾[٤] وهذا العتاب وما حدث فى هذه القصة دليل من دلائل النبوة ، وقد اختلف الناس فى ذى القرنين ، فذكر البعض أنه الإسكندر المقدونى الذى بنى الإسكندرية ، والصحيح غيره ، فالإسكندر كان كافراً ، وذو القرنين كان مؤمناً ، وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران ، أما المؤمنان فسليمان وذو القرنين ، وأما الكافران فالنمرود وبختنصر .

---

(١) راجع كتابى « قصة ذى القرنين ويأجوج ومأجوج » .
(٢) سورة الكهف الآية « ٨٣ » .
(٣) سورة الكهف الآيات « ٩٩ ، ١٠٠ » .
(٤) سورة الكهف الآية « ٢٣ » .

وقد ذهب البعض إلى نبوة ذى القرنين ، والأشبه بالصحة أنه كان عبداً صالحاً ، ملكه الله الأرض ومكن له فيها ، وهيء له من الأسباب ما ساعده على ذلك ، ويجوز أن يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبى فى وقته ، وفى سبب تسميته بذى القرنين ، أقوال كثيرة ، ليس منها شئ مرفوع لرسول الله ﷺ ومعظمها مأخوذ عن أهل الكتاب ، وسيرته تدل على علمه وحكمته وأنه قد أُلبس لباس الهيبة ، وهو عبد طاف المشارق والمغارب من حيث يطلع قرن الشمس ويغرب ، وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ ﴾ [(١)] قال علىّ - رضي الله عنه - : سخر له السحاب ومُدت له الأسباب ، وبسط له فى النور فكان الليل والنهار عليه سواء ، وقال ابن كثير : أى أعطيناه ملكاً عظيماً ممكناً فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ، ولهذا ملك المشارق والمغارب من الأرض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك البلاد وخدمته الأمم من العرب والعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه إنما سمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس مشرقها ومغربها . أ . هـ .

وقد أتبع ذو القرنين الأسباب التى أوتيها بأسباب من عنده ، فلما سار جهة المغرب وجد أمة من الأمم ، ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بنى آدم ، فمكنه الله تعالى منهم وحكمه فيهم وأظفره بهم ، وكانوا كفاراً ، فخيّر الله ذا القرنين فيهم بين التعذيب لهم إن أقاموا على كفرهم وبين المن عليهم والعفو عنهم ، وهذا التخيير على معنى الإجتهاد فى أصلح الأمرين ﴿ قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ

(١) سورة الكهف الآية « ٨٤ » .

رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ ﴾ [(١)] فلا يستوى المؤمن والكافر ولا المطيع والعاصى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ثم سلك طريقاً فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها ولم تذكر الآيات ما الذى فعله ذو القرنين عند بلوغه الشمس ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ﴾ [(٢)] أى ليس لهم بناء يكنهم ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس .

ثم سلك ذو القرنين من مشارق الأرض ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ ﴾ [(٣)] وهما جبلان بينهما ثغرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل، كما قال ابن كثير ، قال تعالى: ﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ [(٤)] أى لا يكادون يعرفون لساناً غير لسانهم إلا بمشقة وعسر ، فاشتكوا لذى القرنين من إفساد يأجوج ومأجوج، فردم ذو القرنين حاجزاً بين يأجوج ومأجوج من ورائهم ليقطع مادة غوائلهم وشرهم عنهم قال : ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [(٥)] ويتضح من فعله أنه عبد موفق مسدد ، وأن نية الخير فى بناء السد ظاهرة فلم يأخذ خرجهم ولا شيئاً من أموالهم وقد أظهر

---

(١) سورة الكهف الآيات « ٨٦ - ٨٩ » .
(٢) سورة الكهف الآيات « ٨٩ - ٩١ » .
(٣) سورة الكهف الآية « ٩٣ » .
(٤) سورة الكهف الآية « ٩٣ » .
(٥) سورة الكهف الآية « ٥٩ » .

الامتنان والإنابة بعد فراغه من بناء السد ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) ﴾ [1] .

ولا ريب أن الحكم والخلافة موضوعة لإقامة الدين وسياسة الدنيا به ، والقيام على مصالح البلاد والعباد وفق شرع الله ، وهذا السد الذى بناه ذو القرنين سيأتى عليه يوم يندك فيه ويخرج يأجوج ومأجوج فيموجون فى الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم ، وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال قال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا (١٠٠) ﴾ [2] .

---

(١) سورة الكهف الآية « ٩٨ » .

(٢) سورة الكهف الآيات « ٩٩ ، ١٠٠ » .

أصحـاب الكهـف [١]

كانت قصة أصحاب الكهف والرقيم هى القصة الأولى فى سورة الكهف، وهى قصة التضحية بالنفس فى سبيل العقيدة ، وهؤلاء الفتية المؤمنون كانوا قد خرجوا من بلادهم فراراً بدينهم ولجئوا إلى غار فى الجبل ثم مكثوا فيه نياماً ثلاثمائة وتسع سنين ، ثم بعثهم الله بعد تلك المدة الطويلة ، وهذه القصة تبدأ بالآية ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) ﴾ [٢] ثم تنتهى عند الآية ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) ﴾ [٣] لقد طوى القرآن اسمهم ورسمهم وطولهم ولونهم ويكفيهم وصف خالقهم لهم ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) ﴾ [٤] وقد بيّن سبحانه حالة البشر قديماً وحديثاً ، وكيف أنهم ينشغلون بالأشكال والأوصاف وأمور لا طائل تحتها ولا فائدة من ورائها عن الغايات والمقاصد ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلا تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) ﴾ [٥] فالفائدة حاصلة

---

(١) راجع كتابى : « قصة أهل الكهف » .
(٢) سورة الكهف الآية « ٩ » .
(٣) سورة الكهف الآية « ٢٦ » .
(٤) سورة الكهف الآيات « ١٣ ، ١٤ » .
(٥) سورة الكهف الآية « ٢٢ » .

سواء كانوا ثلاثة أم أربعة ، خمسة أم ستة ، فلا داعى للانشغال بذلك عن المغزى الحقيقى وهو أنهم على حداثة سنهم ، آثروا ما عند الله ، تاركين حياة القصور ، وكانوا أولاد أمراء كما تذكر بعض كتب التفسير وقالوا : ﴿ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) ﴾ [(١)] ودخلوا الكهف فراراً بدينهم من الوثنية والكفر فكانوا آية وقصتهم حكاية تتلى ﴿ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾ [(٢)] خرجوا من وسط قومهم مستعينين بالله ، متوكلين عليه منيبين إليه قائلين : ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [(٣)] فما ضاعوا ولا خابوا عندما أوقعوا حاجتهم بالله ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا (١٧) ﴾ [(٤)] وما أعظم أن يحيا الإنسان بإسلامه ولإسلامه، ويؤثر دينه على الدنيا بمباهجها وزخارفها سواء كان كبيراً أو صغيراً ، رجلاً كان أم امرأة ، وُجد فى هذا العصر أو فى غيره من العصور ، بحيث تصبح حياته جهاداً فى سبيل الله ، وسعياً من أجل إعلاء كلمة الله ، والمسلم فى جهاده هذا يعلم أنه ليس وحده ، وأنه لا يواجه عدوه بكثرة عدد أو عتاد ، وإنما يواجههم بالإيمان الصادق الذى يحمله ، وبما يعلمه من تأييد الله للمجاهدين الصادقين ، وبما ينزله عليهم من السكينة ورباطة الجأش والطمأنينة وبما

---

(١) سورة الكهف الآية « ١٥ » .
(٢) سورة الكهف الآية « ١٦ » .
(٣) سورة الكهف الآية « ٤ » .
(٤) سورة الكهف الآية « ١٧ » .

يمدهم به من الصبر وقوة التحمل وغير ذلك من الوسائل التى قد لا تتخيلها عقول البشر ، لقد أجرى سبحانـه على أيديهم كرامات كثيرة ، قـال تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ (١) وقـال : ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (٢) وقـال : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣) بل لما صحبهم الكلب كان له شأن وخبر وكان محلاً للكرامة ، ولما لا ؟ ومصاحبة الصالحين صلاح ، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وهذه القصة ليست بطولة يهودية أو نصرانية ، وإنما هى قصة إسلام لوجه الله تعالى تحدث هنا وهناك فى كل عصر ووقت ، وقد تكون أنت صاحبها ، هى قصة من يتعامل مع الله ويخلص أمره لله ويفر بدينه من الفتن ، ويخرج من الواقع السيئ حتى لو أدى به ذلك أن يهاجر من وطنه وأن يدخل غاراً ، أنها قصـة فتية ، أتقيـاء أخفيـاء ، سـاروا على درب الأنبياء والمرسلين ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (٤) فلا حجة بعد ذلك فى الكفر بخالق الأرض والسموات ، وقد رجح ابن جرير والكثيرون أن الفتية كانوا على دين عـيـسى - عليه السلام - ومال ابن كثير إلى غير ذلك فقال : وقد ذُكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم فالله أعلم ، إلى أن قال : والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية ، فإنهم إن كانوا على دين النصرانية ما اعتنى

(١) سورة الكهف الآيات « ١١ ، ١٢ » .
(٢) سورة الكهف الآية « ١٨ » .
(٣) سورة الكهف الآية « ٢٥ » .
(٤) سورة الأنعام الآية « ٩٠ » .

أحبار اليهود بخبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم ، وقال ابن إسحاق : طغى أهل الإنجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها وبقى فيهم من هو على دين المسيح متمسكاً بدينه وبعبادة الله وحده ، وكان بالروم ملك يقال دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت ، وكان يحمل الناس على ذلك ، ويقتل من خالفه ، فمر بمدينة أصحاب الكهف ، وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس، ولما مر دقيانوس بالمدينة اختفى منه أهل الإيمان فكان يبعث أعوانه ليحضرهم ، فيخيروهم بين الشرك والقتل ، إلى أن استدعى الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى ، وطلب منهم أن يشركوا ، وأن يذبحوا للطواغيت ، فامتنعوا فهددهم بالقتل ، فربط الله على قلوبهم ، وثبتهم على التوحيد ، ثم بدا له فأمهلهم ليراجعوا أنفسهم فى مصيرهم .

ثم إن الإمبراطور رحل إلى مدينة أخرى لبعض شأنه ثم عاد ليطلبهم فلم يجدهم فقد فروا بدينهم من فتنة الشرك واعتزلوا المشركين ، وأووا إلى كهفهم ومعهم بعض النقود وبعض الطعام ومعهم رقيمهم « كتابهم المرقوم الذى فيه معتقدهم » وتذكر كتب التفاسير أنهم دخلوا الكهف ومعهم كلب ، فلما طلبهم الإمبراطور دعوا الله ﴿ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [1] وناموا فكانت النومة التاريخية التى صارت مضرب المثل: ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ﴾ [2] وكان باب كهفهم إلى جهة الشمال وذلك من رحمة الله تعالى بهم حتى لا يؤذيهم شروق الشمس ولا غروبها ، وقلّبهم الله على جنوبهم ذات اليمن وذات الشمال لئلا تبلى

---

(١) سورة الكهف الآية « ١٠ » .
(٢) سورة الكهف الآية « ١١ » .

أجسامهم ، و ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ [1] وفى ذات الوقت تأكيداً لحياتهم ، ثم بعث الله الفتية ليتساءلوا بينهم ، كم لبثوا ؟ وفى حيرة من أمرهم ، قالوا : لبثنا يوماً أو بعض يوم ، وفى تسليم لله قالوا : ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ [2] وفى تسليم لله قالـوا : ﴿ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [3] وحذروهم : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) ﴾ [4] وخـرج المتلطف الحذر ، فرأى كل شئ قد تغير فى المدينة ، ودفع ما معه من النقود إلى رجل يبيع الطعام ، فتعجب التاجر لأن هذه العملة كانت على عهد دقيانوس ، وقد هلك هذا الطاغية المشرك ، وبقيت تحمل اسمه ، وشاع الخبر فى المدينة وما حولها ، واجتمع الناس من هنا وهناك ليروا هذه الآية ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ [5] .

وهكذا تظهر حكمة الله التى خفيت وينكشف سر الغيب الذى أدخره الله ليظهر فى حينه ، لقد بعث أهل الكهف ، ليعلم الناس أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها وكانوا من قبل بين منكر ومصدق ، فجاء العثور على أهل الكهف حجة قاطعة وبرهاناً ساطعاً على البعث والحياة الآخرة .

ذكر ابن إسحاق عن ابن عباس ما خلاصته أن كفار قريش بعثوا النضر بن

---

(١) سورة الكهف الآية « ١٨ » .
(٢) سورة الكهف الآية « ١٩ » .
(٣) سورة الكهف الآية « ١٩ » .
(٤) سورة الكهف الآية « ٢٠ » .
(٥) سورة الكهف الآية « ٢١ » .

الحارث وعقبة بن أبى معيط إلى أحبار يهود بالمدينة ليسألوهم عن محمد ﷺ ويصفوا له صفته ، وما يدعوا إليه فإنهم أهل الكتاب وعندهم نبأ الأنبياء ، فلما كلموا اليهود فى ذلك أشاروا على كفار قريش بأن يسألوا النبى ﷺ عن أشياء قالوا لهم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ما كان من أمرهم ، فإنهم قد كان لهم حديث عجيب ، يعنون أهل الكهف ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغربها ما كان من نبؤه - يعنون ذا القرنين - وسلوه عن الروح ، فإن أخبركم بذلك فهو نبى مرسل ، فاتبعوه وإلا فهو رجل يقول ، فاصنعوا ما بدا لكم .

وسأل كفار قريش الرسول ﷺ عن الأمور الثلاثة ، فقال لهم ﷺ : أخبركم غداً ولم يستثن - لم يقل إن شاء الله - فاستلبث الوحى وشق عليه ، ثم جاء جبريل عليه السلام بسورة الكهف وفيها معاتبة فى قوله تعالى ﴿ وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ [١] .

---

(١) سورة الكهف الآيات « ٢٣ ، ٢٤ » .

صاحب يس [(١)]

قصة صاحب يس ، من أبلغ ما قصه ربنا جلا وعلا فى كتابه ، لِمَا فيها من العظات والعبر ، فهى قصة رجل من الأتقياء الأخفياء ، جهل قيمته أهل الأرض بينما كان له ذكرٌ وخبر فى أهل السماء ، هو رجل تابع المرسلين وآمن بهم ، وبغض النظر عن حرفته وصنعته وعن اسمه ورسمه ، وطوله وشكله ... فقد بقيت قصته مثلاً يُحكى ، قيل : كان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة ، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم ، لعلهم يرحمونه ويكشفون ضُرَّه فما استجابوا له ، فلما أبصر الرسل دعوه إلى عبادة الله فقال : هل من آية ؟ قالوا : نعم ، ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك ، فقال: إن هذا لعجب لى ، ادعو هذه الآلهة سبعين سنة تفرج عنى فلم تستطع ، فكيف يفرجه ربكم فى غداة واحدة ؟ قالوا : نعم ربنا على ما يشاء قدير ، وهذه لا تنفع شيئاً ولا تضر . فآمن ودعوا ربهم ، فكشف الله ما به ، كأن لم يكن به بأس ، فحينئذ أقبل على التكسب ، فإذا أمسى تصدق بكسبه ، فأطعم عياله نصفاً وتصدق بنصف ، فلما همّ قومه بقتل الرسل جاءهم فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ [(٢)] قال قتادة : كان يعبد الله فى غار ، فلما سمع بخبر المرسلين جاء يسعى ، فقال للمرسلين : أتطلبون على ما جئتم به أجراً ؟ قالوا : لا ، ما أجرنا إلا على الله ، قال أبو العالية : فاعتقد صدقهم وآمن بهم وأقبل على قومه فقال : ﴿ اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا ﴾ [(٣)] أى لو

(١) راجع كتابى « قصة صاحب يس » .
(٢) سورة يس الآية « ٢٠ » .
(٣) سورة يس الآية « ٢١ » .

كانوا متهمين لطلبوا منكم المال ﴿ وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) ﴾ [١] فاهتدوا بهم . قال قتادة : كان له قومه أنت على دينهم ؟ فقال : ﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [٢] أي خلقني ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [٣] وهذا احتجاج منه عليهم ، وأضاف الفطرة على نفسه ، لأن ذلك نعمة عليه توجب الشكر، والبعث إليهم، لأن ذلك وعيد يقتضي الزجر ، فكان إضافة النعمة إلى نفسه أظهر شكراً ، وإضافة البعث إلى الكافر أبلغ أثراً ، قال : ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً ﴾ [٤] يعني أصناماً ﴿ إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ ﴾ [٥] يعني ما أصابه من القسم ﴿ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ (٢٣) ﴾ [٦] يخلصوني مما أنا فيه من البلاء ﴿ إِنِّي إِذًا ﴾ [٧] يعني إن فعلت ذلك ﴿ لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (٢٤) ﴾ [٨] أي خسران ظاهر ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) ﴾[٩] قال ابن مسعود: خاطب الرسل بأنه مؤمن بالله ربهم ، ومعنى ﴿ فَاسْمَعُونِ ﴾ أي فاشهدوا أي كونوا شهود بالإيمان ، وقال كعب ووهب : إنما قال ذلك لقومه إني آمنت بربكم الذي كفرتم به ، وقيل إنه لما قال لقومه : ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) ﴾ [١٠] رفعوه إلى الملك ، وقالوا : قد تبعت عدونا ؟ ، فطول معهم الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل ، إلى أن قال : ﴿ إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فوثبوا عليه فقتلوه، وفي طريقة قتله أقوال كثيرة ، والظاهر من الآية أنه لما قتل قيل له أدخل الجنة قال قتادة : أدخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق ، أراد قوله

---

(١) سورة يس الآية « ٢١ » .
(٢) ، (٣) سورة يس الآية « ٢٢ » .
(٤) ، (٥) ، (٦) سورة يس الآية « ٢٣ » .
(٧) ، (٨) « سورة يس الآية « ٢٤ » .
(٩) سورة يس الآية « ٢٥ » .
(١٠) سورة يس الآية « ٢٠ » .

تعـالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ [(١)] ثم لما قُتل صاحب يس قال : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [(٢)] وكأنه تمنى أن يعلموا بحاله ليتعلموا حسن مآله وحميد عاقبته ، أو تمنى ذلك ليؤمنوا مثل إيمانه فيصيروا إلى مثل حاله . قال ابن عباس : نصح قومه حياً وميتاً ، قال القرطبى : « وفى هذه الآية تنبيه عظيم ، ودلالة على وجوب كظم الغيظ ، والحلم عن أهل الجهل ، والترؤف على من أدخل نفسه فى غمار الأشرار وأهل البغى ، والتشمر فى تخليصه ، والتلطف فى افتدائه ، والاشتغال بذلك عن الشماته به والدعاء عليه ، ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته ، والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام » . أ . هـ.

فلما قُتل صاحب يس غضب الله وعجل النقمة على قومه ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [(٣)] أى ما أنزلنا عليهم من رسالة ولا نبى بعد قتله ، قال قتادة ومجاهد والحسن : الجند الملائكة النازلون بالوحى على الأنبياء ، وقيل : الجند العساكر ، أى لم أحتج فى هلاكهم إلى إرسال جنود ولا جيوش ، ولا عساكر ، بل أهلكتهم بصيحة واحدة ، قال معناه ابن مسعود وغيره ، وكأن القوم هانوا على ربهم بعدم صرع صاحب يس ، فما احتاجوا إلا إلى صيحة واحدة ، صاروا بها ميتين هامدين ، وقيل : إن الكفار

(١) سورة آل عمران الآية « ١٦٩ » .
(٢) سورة يس الآيات « ٢٦ ، ٢٧ » .
(٣) سورة يس الآيات « ٢٨ ، ٢٩ » .

لما رأوا العذاب قالوا : ﴿ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ [١] فتحسروا على قتلهم ، وترك الإيمان بهم ، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم الإيمان ، وقال مجاهد وقال الضحاك : إنها حسرة الملائكة على الكفار حين كذبوا الرسل ، وكأنه حال مطرد ، ففى الذاريات قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [٢] وقال سبحانه : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [٣] ، فالتكذيب هو هو ، مما يدلك على قلة من يتعظ ويعتبر بمصارع الهلكى ، والناظر فى قصة صاحب يس سيلمس دروساً كثيرة ، منها ما يتعلق بالدعوة إلى الله والهمة العالية التى ينبغى أن يكون عليها الداعية ، فصاحب يس أتى من أقصى المدينة يسعى فلم يتوان ولم يتكاسل ، ولم يبذل لدعوته الفتات من وقته، يتكلف لها السفر ويستصحبها معه فى حاله وترحاله ، ثم دعوته هى دعوة الاتباع التى لا ابتداع فيها ولا اختراع ، يركز فيها على معانى التوحيد ، وذلك لأن تقديم الأهم على المهم أمر واجب فى العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى ، والداعية إلى الله ينبغى أن يكون على بصيرة وعنده المقدرة على سوق الحجج والبراهين للمدعوين ، وإزالة ما يعلق بنفوسهم من شبهات ، ولا ينس فى غامرة ترغيبه وترهيبه وتذكيره بالله واليوم الآخر ، أن يبدأ بنفسه ، وأن تكون دعوته بالسلوك أبلغ من دعوته بالقول ولذلك قال :

---

(١) سورة يس الآية « ٣٠ » .
(٢) سورة الذاريات الآيات « ٥٢ ، ٥٣ » .
(٣) سورة ق الآيات « ١٢ - ١٤ » .

﴿ وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [(١)] وقد يقدم الداعية نفسه رخيصة فى سبيل دينه ، ويقوم فى موطن يعرضه للقتل محتسباً ذلك عند الله كما فعل صاحب يس ، فهو عندما جاء من أقصى المدينة يسعى وكان يعلم أنه لن يكون أكثر وأشد حرمة من المرسلين الثلاثة الذين قُتلوا ، أى أنها نهاية محتومة ، وعلى الرغم من ذلك واجه مصرعه ، بإيمان ويقين ، إن موقف الداعية يفترق عن موقف السياسى ، فلا نفاق ولا كذب ولا مداهنة على حساب الحق ، وقد يقول البعض : إن صاحب يس أضاع نفسه ، والأمر ليس كذلك ، فلا ضيعة ولا خيبة على من تعامل مع الله ، فهل ضاع من باع قليلاً بكثير وفانياً بباق وظلاً زائلاً وعارية مسترجعة بجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سَمعت ولا خطر على قلب بشر ؟! لقد انتقل من دار إلى دار والفارق خروج نفسه ، والكل يموت ولكن هل الكل ينتقل شهيداً إلى ربه ؟! إن الحياة تمتد زماناً ومكاناً فى نظر المؤمن زماناً لأبد الآبدين ، ومكاناً إلى جنة فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وهم فيها خالدون ، ومن هنا تلمح لماذا طوى القرآن طريقة قتله ومصرعه ، واكتفى بذكر الفائدة وهى أنه نصحهم حياً كما نصحهم ميتاً ، وإلا فكل نفس ذائقة الموت وكانوا يقولون من لم يمت بالسيف مات بغيره ، وكأن حب الخير كان يجرى منه مجرى الدم من العروق ، وهذه هى الشفقة الحقيقية ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) ﴾ [(٢)] وهذا المعنى شبيهه بحالة شهداء أُحد كعبد الله بن حرام وغيره عندما قتلوا شهداء قالوا : من يبلغ عنا قومنا أنا لقينا ربنا

---

(١) سورة يس الآية « ٢٢ » .

(٢) سورة يس الآيات « ٢٦ ، ٢٧ » .

فرضى الله عنا ورضينا عنه ، فكان هذا البلاغ المبين ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ [١] .

إن حرمة المؤمن عند الله عظيمة ، بل لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم ﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) ﴾ [٢] ، وكـان ابن عباس - رضى الله عنهما - ينظر إلى الكعبة ويقول : إن الله عظمك وشرفك وحرمك ، وإن المؤمن أعظم حرمة عند الله منك .

فليعتبر هؤلاء الذين يقتلون أولياء الله دون وجه حق ، ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً .

---

(١) سورة آل عمران الآيات « ١٦٩ - ١٧٠ » .
(٢) سورة يس الآيات « ٢٨ ، ٢٩ » .

عبد الله الغلام

في صحيح مسلم عن صُهيب أن رسول الله ﷺ قال : [**كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إني قد كَبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربه ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر ، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلمُ الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حَجراً فقال : اللهم إن كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره فقال له الراهب : أي بُنيّ ، أنت اليوم أفضلُ مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستبتلى ، فإن ابتليت فلا تدل عليّ ، وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، ويداوي الناس من سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال : ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني ، فقال : إني لا أشفي أحد ، إنما يشفي الله ، فإن أنت آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك ، فآمن بالله فشفاه الله ، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس ، فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال: ربي ، قال : أولك رب غيري؟ قال : ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجئ بالغلام فقال له الملك : أي بني ! أقد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص ، وتفعل وتفعل ؟!**

فقال : إنى لا أشفى أحداً ، إنما يشفى الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجئ بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك . فأبى فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقّاه ، ثم جئ بجليس الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جيئ بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل ، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفينهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال كفانيهم الله ، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به فاحملوه فى قرقور « سفينة صغيرة » فتوسطوا به البحر ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله ، فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع ، ثم خذ سهماً من كنانتى « جعبة السهام » ثم ضع السهم فى كبد القوس ثم قل : باسم الله رب الغلام ، ثم ارمنى ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس فى صعيد واحد وصلبه على جذع ثم أخذ سهماً من كنانته ثم وضع السهم فى كبد القوس ، ثم قال : باسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوقع السهم فى صُدغه فوضع يده فى صُدغه فى موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فأتى الملك فقيل له : أرأيت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرُك ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخُدت وأضرم

فيها النيران ، وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها – أو قيل له اقتحم – ففعلوا ، حتى جاءت امرأة ومعها صبى لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أُمّه اصبرى فإنك على الحق] [١] . رواه الترمذى بمعناه وفيه : [**وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة**] قال معمر : « أحسب أن أصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين » وفيه أن الدابة التى حبست الناس كانت أسداً وأن الغلام دفن– قال– فيُذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صُدغه كما وضعها حين قُتل » وقال حديث حسن غريب ، وقد حكت سورة البروج قصة أصحاب الأخدود ، قال تعالى : ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٩) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١٠) ﴾ [٢] .

وهذه القصة لغلام من جملة الأتقياء الأخفياء ما نعلم لونه ولا سنه ولا طوله ولا اسم أبيه ... ومع ذلك فهى قصة تدل دلالة واضحة على أن معانى الإيمان والصبر والثبات على طاعة الله ليس لها سن معين ، وأن الغلام بفطرته السوية كان يميل للراهب الذى كان على الحق أكثر من ميله للساحر المبطل ، وفيها حرص الملك على استمرار صنعة السحر ، وهكذا شأن المنحرفين فى كل

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم وغيره .
(١) سورة البروج الآيات « ٤ – ١٠ » .

عصر فى الوقت الذى تضييق فيه صدورهم بالحق وأهله ، وقد قدم الغلام روحه رخيصة فى سبيل إعلاء كلمة الله وهـو الذى دل الملك الطاغية على طريقة قتله ، وفى القصة صور من إكرام الله لهذا الغلام على الرغم من حداثة سنه ، فقد قتل الدابة العظيمة بحجر صغير ، وكان يُبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله ، كما كان مجاب الدعوة ، ثم وُجد على النحو الذى مات عليه ، وذلك بعد مئات السنين ، ويده على صدغه كلما أزاحوها انبثق الدم من جرحه ، فكان بذلك آية بينة على عظيم قدرة الله جل وعلا وإكرام الله لأولياءه فى حياتهم وبعد مماتهم .

قال القرطبى : قال علماؤنا : أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة فى هذه الآية ، ما كان يلقاه من وحّد قبلهم من الشدائد ، ويؤنسهم بذلك ، وذكر لهم النبى ﷺ قصة الغلام ليصبروا على ما يلقون من الأذى والآلام والمشقات التى كانوا عليها ، ليتأسوا بمثل هذا الغلام فى صبره وتصلبه فى الحق وتمسكه به ، وبذله نفسه فى حق إظهار دعوته ، ودخول الناس فى الدين مع صغر سِنه وعظم صبره ،و كذلك الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نُشر بالمنشار ، وكذلك كثير من الناس لما آمنوا بالله تعالى ورسخ الإيمان فى قلوبهم ، صبروا على الطرح فى النار ولم يرجعوا عن دينهم ، وقال ابن العربى : وهذا منسوخ عندنا ... قلت ليس بمنسوخ عندنا ، وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصُلبَ دينه أولى ، قال الله تعالى مخبراً عن لقمان : ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) ﴾ [1] وروى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : [**من أعظم**

---

(١) سورة لقمان الآية « ١٧ » .

الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر] [١] ، وروى سنجر محمد بن سنجر عن أميمة مولاة النبى ﷺ قال : كنت أوضئ النبى ﷺ فأتاه رجل فقال : أوصنى . فقال : [**لا تشرك بالله شيئاً وإن قطعت أو حُرّقت بالنار]** [٢] .الحديث ، قال علماؤنا : ولقد امتحن كثير من أصحاب النبى ﷺ بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا ولم يلتفتوا إلى شئ من ذلك ، ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب والمحن والقتل والأسر والحرق ، وغير ذلك . أ . هـ .

وقد ذكر النبى ﷺ خباب بن الأرت -رضي الله عنه- بقصة هؤلاء الذين نشروا بالمناشير وذلك عندما آتاه يقول له : ألا تستنصر لنا ألا تدعوا لنا ، وكان خباب من يؤذى فى سبيل الله . والحديث رواه البخارى .

---

(١) **صحيح** : رواه الترمذى وصححه الألبانى .
(٢) **صحيح** : رواه ابن ماجة ، وصححه الألبانى .

المؤمن وصاحب الجنتين

إن الدنيـا أحقـر عنـد الله من أن يجعلها ثواباً لمحسـن أو عقاباً لكافـر ، وقد ضـرب الله مثلاً لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المؤمنين فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) ﴾ [(١)] قيل نزلت فى الأخوين من أهل مكة مخزوميين أحدهما مؤمن والآخر كافر، وقيل : نزلت فى النبى ﷺ وأهل مكة ، وقيل هو مثل لجميع من آمن وجميع من كفر ، وقيل : هو مثل لعُيينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وصهيب وأصحابه ، وشبههم الله برجلين من بنى إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا فى قول ابن عباس والآخر كافر واسمه قرطوش ، وهما اللذان وصفهما الله تعالى فى سورة الصافات ، قيل كانا شريكيين ثم اقتسما المال ، فأنفق المؤمن ماله فى طاعة الله ، وأما الآخر فنكح بماله نساء ذوات يسار ، واشترى دواب وبقراً فاستنتجها فنمت له نماء مُفرطاً ، وأتجر باقيها فربح حتى فاق أهل زمانه غنى ، وأدركت المؤمن حاجة ، فأراد أن يستخدم نفسه فى جنة يخدمها فقال : لو ذهبت لشريكى وصاحبى فسألته أن يستخدمنى فى بعض جناته رجوت أن يكون ذلك أصلح بى ، فجاءه فلم يكد يصل إليه من غِلظ الحجاب، فلما دخل عليه وعرفه وسأله حاجته قال له : ألم أكن

---

(١) سورة الكهف الآيات « ٣٢ - ٣٤ » .

قاسمتك المال نصفين ! فما صنعت بمالك ؟ قال : اشتريت به من الله تعالى ما هو خير منه وأبقى ، فقال : أئنك لمن المصدقين ، ما أظن الساعة قائمة ! وما أراك إلا سفيهاً ، وما جزاؤك عندى عل سفاهتك إلا الحرمان ، أو ما ترى ما صنعت أنا بمالى حتى آل إلىّ ما تراه من الثروة وحسن الحال ، وذلك أنى كسبت وسفهت أنت ، اخرج عنى ، ثم كان من قصة هذا الغنى ما ذكره الله تعالى فى القرآن من الإحاطة بثمره وذهابها أصلاً بما أرسل الله عليها من السماء من الحسبان ، قيل : إن الله تعالى توفى المؤمن وأهلك الكافر بعذاب من عنده ، فلما استقر المؤمن فى الجنة ورأى ما أعد الله له أقبل هو وأصحابه يتساءلون فقال : ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) ﴾ [1] فنادى مناد : ﴿ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) ﴾ [2] فنزلت ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ ﴾ [3] بين الله تعالى حال الأخوين فى الدنيا فى هذه السورة – سورة الكهف – وبيّن حالهما فى الآخرة فى سورة الصافات فى قوله تعالى : ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) ﴾ إلى قوله ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾ [4] .

قال تعالى حاكياً عن الكافر صاحب الجنتين : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) ﴾ [5] ، قيل أخذ بيد أخيه المؤمن يطيف به

---

(١) سورة الصافات الآية « ٥١ ، ٥٢ » .
(٢) سورة الصافات الآيات « ٤٥ ، ٥٥ » .
(٣) سورة الكهف الآية « ٣٢ » .
(٤) سورة الصافات الآية « ٦١ » .
(٥) سورة الكهف الآيات « ٣٥ ، ٣٦ » .

فيها ويُريه إياها ، وكان كافراً ظالماً لنفسه منكراً البعث ، فقال : ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ [١] وإن كان بعث فكما أعطانى هذا النعم فى الدنيا فسيعطينى أفضل منه لكرامتى عليه ، وإنما قال ذلك لما دعاه أخوه إلى الإيمان بالحشر والنشر ، فلما سمع المؤمن ذلك وعظ الكافر ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) ﴾ [٢] بيّن له أن ما اعترف به من هذه الأشياء التى لا ينكرها أحد أبدع من الإعادة ، ثم تواصل الحوار فقال المؤمن للكافر على سبيل التوبيخ والوصية له والرد عليه : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) ﴾ [٣] أى ما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك ، ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع ، وكان الكافر قد قال ﴿ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) ﴾ [٤] .

قال العلماء : ينبغى لكل من دخل منزله أن يقول : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، وفى حديث أبى هريرة – رضي الله عنه – : [**ألا أدلك على كلمة من كنوز الجنة** أو قال **كنز من كنوز الجنة** قلت : بلى يارسول الله ، قال : **لا حول ولا قوة إلا بالله إذا قالها العبد قال الله عز وجل أسلم عبدى واستسلم**] [٥] .

---

(١) سورة الكهف الآية « ٣٦ » .
(٢) سورة الكهف الآيات « ٣٧ ، ٣٨ » .
(٣) سورة الكهف الآيات « ٣٩ – ٤١ » .
(٤) سورة الكهف الآية « ٣٥ » .
(٥) **صحيح** : رواه الحاكم وصححه الألبانى

وأصبح الكافر يضرب إحدى يديه على الأخرى ندماً ، فقد أحيط بثمره ، أى أُهلك ماله كله ، قال تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) ﴾ [١] أى ياليتنى عرفت نعم الله علىّ ، وعرفت أنها كانت بقدرة الله ولم أكفر به ، وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم .

وخُتمت القصة بقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) ﴾ [٢] .

أى لم تكن له عشيرة يمنعونه من عذاب الله ، وضل عنه من افتخر بهم من الخدم والولد وعُلِمَ بذلك أن الله خير ثواباً فى الدنيا والآخرة لمن آمن به ، فالعاقبة للمتقين والنصر عقبى الصابرين ، والله لا يضيع أجر المحسنين ولا يصلح عمل المفسدين .

---

(١) سورة الكهف الآية « ٤٢ » .
(٢) سورة الكهف الآيات « ٤٣ ، ٤٤ » .

مؤمن آل فرعون [١]

وقع الحق فى قلب مؤمن آل فرعون ، عندما سمع دعوة نبى الله موسى - عليه السلام - وقيل كان ابن عم فرعون كما ذكر السُّدسى ، وقال ابن جرير عن ابن عباس - رضى الله عنهما - [**لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون والذى قال:** ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [٢]] [٣] ، لقد اصطفاه سبحانه واجتباه من وسط ركام الكفر والضياع ، فهو من آل فرعون ، وما أعظم الفارق بينه وبين فرعون وآله ، إنه رجل أطلق الله بصيرته ، فلم ترهبه صولة الباطل ، ولا كثرة الانحراف ، وتابع نبى الله موسى صلوات الله وسلامه عليه ، معتصماً بالله ، مؤثراً ما عنده سبحانه وقد وصفه القرآن بأنه رجل - والرجال قليل - وبأنه مؤمن ، وما من إنسان قد علم الغاية التى من أجلها خُلق إلا ويتمن أن يوصف بوصف الإيمان ، فعندما تأتى هذه الشهادة من خالق الأرض والسموات ، ممن يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وممن أحاط بكل شئ علماً ، فأنعم بهذا الوصف والثناء : وكعادة القرآن الكريم ، فقد طوى عنا اسمه ورسمه وسنه وطوله وشكله ..... مما لا طائل تحته ولا فائدة من وراء معرفته ، لتبقى قصته درساً فى إخلاص الأمر لله ، وعبرة لكل من أراد أن يتاجر مع الله ، وعظة لكل من أراد أن يقيم واجب العبودية ، حتى لو خفى اسمه على أهل الأرض يكفيه أن يُعرف فى أهل السماء ويكون من جملة الأتقياء الأخفياء ، فإذا ما زمجر الباطل من

---

(١) راجع كتابى « قصة مؤمن آل فرعون » .
(٢) سورة القصص الآية « ٢٠ » .
(٣) رواه ابن أبى حاتم .

حولك ، واشتد الظلم والظلام ، فانهض على ساق عزمك ، وجدد الوعظ القديم ، وردد على المسامع ما قاله مؤمن آل فرعون ، لقد كان يكتم إيمانه بعد أن وقع الحق فى قلبه ، ولهذا قام يدفع عن موسى - عليه السلام - ويحتال لدفع القوم عنه فقال : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [١] وفى هذا إشارة إلى التوحيد والدلائل الدالة عليه ، صاغه على سبيل الاستفهام الإنكارى ، فما سب ولا لعن لكنه تسلل إلى قلوبهم بالنصيحة الرقيقة الممزوجة بالتخويف والإقناع ، قال : ﴿ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٨) ﴾ [٢] ومن المعلوم أن من هداه الله إلى الإتيان بالمعجزات لا يكون مسرفاً كذاباً ، وهذا تعريض بفرعون ، فقد كان مسرفاً فى عزمه على قتل موسى ، كذاب فى إقدامه على إدعاء الإلهية .

انتقل مؤمن آل فرعون بعد ذلك إلى تخويفهم من عذاب الله فقال : ﴿ يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِن جَاءَنَا ﴾ [٣] يعنى قد علوتم الناس وقهرتموهم ، فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه ، فإنه لا قبل لكم به ، ولما علم فرعون بظهور حجته قال : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [٤] لقد أخذ فرعون ما يأخذ كل طاغية توجه إليه النصيحة ، تأخذه

---

(١) سورة غافر الآية « ٢٨ » .
(٢) سورة غافر الآية « ٢٨ » .
(٣) سورة غافر الآية « ٢٩ » .
(٤) سورة غافر الآية « ٢٩ »

العزة بالإثم ، ويرى فى النصح الخالص اعتداءاً على سلطانه ، ونقص من نفوذه، ومشاركة له فى النفود والسلطان ، لقد كان ادعاء فرعون عارياً من كل برهان ولذلك قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ ﴾ [١] ثم إن مؤمن آل فرعون وكأنه لم يعبأ بقول فرعون فاستمر فى تحذيره : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ [٢] ومن المعلوم أن قوم فرعون لم يقلوا فى كفرهم وعتوهم عن هؤلاء الهلكى ، وليسوا بأشد قوة من هذه الأمم المعذبة ، فوجب الاعتبار بالأمم الغابرة والإتعاظ بأحوالهم ، ثم أفصح عن إيمانه ، إما مستسلماً موطناً نفسه على القتل أو واثقاً بأنهم لا يقصدونه بسوء فقال: ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ [٣] وهو اليوم الذى تنادى فيه الملائكة الذين يحشرون الناس للموقف ، وسمى بيوم التناد ، لمناداة الناس بعضهم بعضاً ، وهذا إفصاح منه عن إيمانه بالله واليوم الآخر .

وأمام مرواغة فرعون واستهتاره ، وإصراره على الكفر لم يجد مؤمن آل فرعون إلا أن يلقى كلمته الأخيرة مدوية صريحة : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [٤] وانتقل بهم من الإجمال إلى التفصيل ، فبين حقارة الدنيا ، وأنه يُستمتع بها فى أيام قليلة ، ثم تنقطع وتزول ، بعكس

---

(١) سورة هود الآية « ٩٧ » .
(٢) سورة غافر الآيات « ٣٠ ، ٣١ » .
(٣) سورة غافر الآيات « ٣١ ، ٣٢ » .
(٤) سورة غافر الآية « ٣٨ » .

الآخرة فهى دار القرار ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ (١) فالذى يؤثر الدنيا على الآخرة : من أسفه الخلق وأقلهم عقلاً ، كما قرر المؤمن لقومه قاعدة الحساب والجزاء فى دار القرار فقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) ﴾ (٢) .

وكان تعجبه من سفههم قد بلغ منتهاه فقال : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) ﴾(٣) يعنى أنا أدعوكم إلى الإيمان الذى يوجب النجاة وتدعوننى إلى الكفر الذى يوجب النار ، لقد دعاهم إلى الحياة الحقيقية والسعادة الأبدية ، فكانت دعوتهم له للدخول فى كفرهم هى جزاؤه ، ومكافأته !!! وهم لم يدعوه إلى النار ، إنما دعوه إلى الشرك ، وما الفرق بين الدعوة إلى الشرك والدعوة إلى النار ؟ إنها قريب من قريب فالكفر سبب الخلود فى النار ، والمؤمن يخاف أن يعود فى الكفر كما يخاف أن يقذف فى النار ﴿ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ (٤٢) ﴾ (٤)

لقد أعلن الرجل إيمانه وجهر بالحق فى مواجهة فرعون وملأه بلا تردد ولا تلعثم ، فلا يبق بعد ذلك إلا أن يفوض أمره إلى الله ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٤٤) ﴾ (٥) لقد قال كلمته

(١) سورة هود الآية « ٣٩ » .
(٢) سورة هود الآية « ٤٠ » .
(٣) سورة هود الآية « ٤١ » .
(٤) سورة هود الآية « ٤٢ » .
(٥) سورة هود الآية « ٤٤ » .

وأراح ضميره ، مهدداً إياهم بأنهم سيذكرون كلمته هذه فى موقف لا تنفع فيه الذكرى ، والأمر كله لله .

لقد طويت الدنيا ، وعُرضت أول صفحة بعدها ، فإذا الرجل المؤمن الذى قال كلمة الحق ومضى ، وقد وقاه الله سيئات مكر فوعون وملأه ، فلم يصبه من أثارها شـــئ فى الدنيـــا ، ولا فيما بعدها أيضاً ، بينما حـاق بآل فرعون سوء العذاب ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) ﴾ [١] .

لم يقـصر مؤمن آل فـرعـون فى تقـرير الدين الحق ، وفى الذب عنه ، ولم يسلمه سبحانه لأعدائه ، بـل تولـى عنه رد كيـد الكافرين وقصد القاصدين ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ﴾ [٢] أى فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فنجاه الله تعالى مع موسى - عليه السلام - وأما فى الآخرة فبالجنة ، وكان المؤمن لما صرح بتقرير الحق فقد قصدوه بنوع من أنواع السوء ، قال مقاتل : لما ذكر هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم إلى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه .

---

(١) سورة هود الآية « ٤٦ » .
(٢) سورة هود الآية « ٤٥ » .

آسية بنت مزاحم

الأتقياء الأخفياء لا يقصرون على هذه الأمة ، منهم الكبار والصغار ، والرجال والنساء ، ومن جملة هؤلاء آسية بنت مزاحم ، امرأة فرعون ، وهى التى ضُرب بها المثل فى كتاب الله تعالى ، قال سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) ﴾ [(١)] .

قال يحى بن سلام : قوله ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [(٢)] مثلٌ ضربه الله يحذر به عائشة وحفصة فى المخالفة حين تظاهرتا على رسول الله ﷺ ، ثم ضرب لهما مثلاً بامرأة فرعون ومريم بنت عمران ، ترغيباً فى التمسك بالطاعة والثبات على الدين ، وقيل : هذا حث للمؤمنين على الصبر فى الشدة ، أى لا تكونوا فى الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون حين صبرت على أذى فرعون ، وكانت آسية آمنت بموسى ، وقيل : هى عمة موسى آمنت به ، قال أبو العالية : اطّلع فرعون على إيمان امرأته فخرج على الملأ فقال لهم : ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها ، فقال لهم : إنها تعبد رباً غيرى ، فقالوا له : أقتلها . فأوتد لها أوتاداً وشد يديها ورجليها فقالت : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ ووافق ذلك حضور فرعون ، فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة ، وقال فرعون : ألا تعجبون من جنونها !

---

(١) سورة التحريم الآية « ١١ » .
(٢) سورة التحريم الآية « ١٠ » .

إنا نعذبها وهى تضحك ، فقبض روحها وقال سلمان الفارسى فيما روى عنه عثمان النهدى : كانت تعذب بالشمس ، فإذا أذاها حر الشمس أظلتها الملائكة بأجنحتها . وقيل : سمّر يديها ورجليها فى الشمس ووضع على ظهرها رحى ، فأطلعها الله حتى رأت مكانها فى الجنة ، وقال الحسن : إنه من دُرة ، ولما قالت : ونجنى . نجاها الله أكرم نجاة ، فرفعها إلى الجنة ، فهى تأكل وتشرب وتتنعم .

فهذه امرأة مؤمنة ، أقامت تحت فرعون إقامة اضطرار ، وكان زوجها من أكفر الخلق برب العالمين ، فقد ادعى الربوبية والألوهية مع الله ، فما طاوعته على ذلك ، بل أنابت إلى الله فى عسرها ويسرها ، وجأرت إلى الله بالدعاء تسأله النجاة من فرعون وعمله بالكفر والظلم والشماته ، كما تسأله النجاة من القوم الظالمين وهم القبط ، أهل مصر ، فما تخلفت عنها الإجابة ، فقد رفعها الله مكاناً عالياً ، وبنى لها بيتاً فى الجنة ، وصارت قصتها مثلاً يُضرب .

صاحبة الضفيرتين وابنها

داهم الروم الشام ، فقام أبو قدامة الشامى خطيباً فى الناس ، يرغبهم فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا ويستحثهم على البذل والجهاد فى سبيل الله ، ويذكرهم بمثل قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ (٣٨) ﴾.[١] ثم نزل من على المنبر ، فاعترضته امرأة تنادى عليه يا أبا قدامة ، فلم يلتفت ، فنادت الثانية : يا أبا قدامة ، فلم يلتفت ، وكأنه تخوف على نفسه الفتنة ، وفى الثالثة قالت : يا أبا قدامة ، ما هذا بخلق الصالحين فلم يجد بُداً فسألها ما حاجتها ، فقالت : سمعتك تُرّغب الناس فى الجهاد فى سبيل الله ، ولا أملك من الدنيا إلا هاتين الضفيرتين ، خذهما ، اصنع منهما لجاماً تشد به فرسك تجاهد فى سبيل الله ، فبكى أبو قدامة من صنيعها وحرصها على طاعة الله ، وأخذ الضفيرتين وما كاد ينصرف حتى اعترضه غلام ينادى عليه يا أبا قدامة ، يناشده بالله أن يحمله على فرسه حتى يقاتل الروم فى سبيل الله ، فاستنكف أبو قدامة لصغر سنه ، فألح عليه الغلام ، فقبل أبو قدامة واشترط على الغلام ، إن هو قُتل فى سبيل الله أن يشفع له عند الله فقبل الغلام ، وعند لقاء الروم ، طلب الغلام من أبى قدامة ثلاثة أسهم يرمى بهم الأعداء ، فرفض أبو قدامة ، فالأسهم سلعة غالية ، والغلام قد لا يُحسن استخدامها فناشده الغلام بالله ، فأعطاه أبو قدامه الأسهم ، وكرر عليه الشرط

---

(١) سورة التوبة الآية « ٣٨ » .

فقبل الغلام ، ثم أنه أخذ السهم الأول وقال : سلام عليك يا أبا قدامة ، بسم الله فقتل به رومياً ، وصنع بالثانى مثل صنيعه بالأول ، وأخذ السهم الثالث ورمى به وقال سلام عليكم يا أبا قدامة بسم الله ، فقتل به رومياً ثالث واختلف فيه سهم ، فوقع على الأرض ، ولحقه أبو قدامة يذكره بالشرط أن يشفع له عند الله ، وقبل أن يموت الغلام دفع جراباً لأبى قدامة وقال له أعطه لأمى ، قال : ومن أُمك ؟ قال : صاحبة الضفيرتين .

ثم أرادوا دفن الغلام ، فكأنما رفضته الأرض ، فتركوه على ظهرها فنزل الطير يأكل لحمه ويترك عظمه ، فذهب أبو قدامة إلى دار الغلام ، فخرجت أخته تسأل أبا قدامة : أمهنئاً جئت أم معزياً ؟ قال : بل مهنئاً ، قالت : الحمد لله ، فقد قُتل أبى فاحتسبناه عند الله ، وها نحن نرزأ فى أخينا الأصغر فنحسبه عند الله ثم خرجت أمه تسأل أبا قدامة : أمهنئاً جئت أم معزياً ، قال بل مهنئاً ، فحمدت الله ، ثم أعطاها الجراب ، فأخرجت منه حبلاً ، وقص عليها أبو قدامة ما حدث فأخبرته أن الغلام كان يقوم الليل ، فإذا فتر تعلق بالحبل يدعو ربه أن يبعثه الله يوم القيامة من حواصل الطير فأدرك أبو قدامة لماذا امتنعت الأرض من قبول الغلام عندما أرادوا دفنه ، فنزلت الطيور تأكل لحمه وتترك عظمه ، لقد استجاب الله دعاء الغلام ، وهذا من عجيب صنع الله بأهله ، فهو سبحانه لا يضيع أولياء .

قصة طريفة
لرجل كان يعبد صنماً فى البحر

ذكر عبد الواحد أنهم ركبوا سفينة فانكسرت فأرفأتهم إلى جزيرة بعرض البحر ، فوجدوا رجلاً يعبد صنماً ، فسألـوه ما تعبد ؟ فأشار لهذا الصنم ، فقال : وأنتم ما تعبدون : قالوا : نعبد الله الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى الأحياء والأموات قضاؤه ، قال : فما دليلكم عليه ، قال عبد الواحد : قلنا : بعث إلينا رسولاً ، قال : وأين هو ؟ قلنا : قبضه الله إليه ، قال : فما علامتكم عليه ؟ قلنا : ترك لنا كتاب الملك ، قال : أرونيه ، قال عبد الواحد : فدفعنا له مصحفاً ، قال : لا أحسن هذا « أى لا يحسن القراءة » قال عبد الواحد : فقرأنا له سورة من كتاب الله ، وهو يبكى ويقول : ما ينبغى لمن كان هذا كلامه أن يُعصى ، قال عبد الواحد ، فعلمناه من شرائع الإسلام ، حتى أقبل الليل ، فصلينا ونمنا ، فقال الرجل : أإلهكم الذى تعبدونه ينام ، قلنا : مولانا حيٌ قيوم لا ينام ، قال : بئس العبيد أنتم ، تنامون ومولاكم لا ينام ، قال عبد الواحد : فتعجبنا من أمره ، ثم وصلنا عبادان ، فجمعنا له مالاً ودفعناه له ، فقال : سبحان الله دللتمونى على طريق لم تسلكوه ، إنى كنت أعبد صنماً فى البحر فلم يضيعنى ، فكيف بعد ما عرفته !!! . قال عبد الواحد: فكان أمره عجباً ، ثم أنه مرض ، فذهبنا نعوده ، وقلنا : ألك حاجة ، فقال : إلاله الذى دللتمونى عليه قضى إلىَّ حوائجى ، قال عبد الواحد : فما لبثنا حتى مات ، فرأيته فى خيمة وبجواره امرأة وهو يقول : سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ، وهذه القصة جاءت فى كتاب غذاء الألباب ، وقد نقلها

السـفـاريني عن ابن الجـوزى ، وأنت تلمس من خـلالـهـا كـيف أن الآيات إذا خالطت شغاف القلوب غيّرت حياة الناس ومفاهيمهم ، وأورثت النفس حياءً من الله وتوكلاً عليه وإنابة إليه بالليل والنهار ، بحيث لا يتعلق القلب بالمخلوقين فى جلب النفع ودفع الضر ، ومثل هذا لا يضيع ولا يخيب ولا يشقى فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل لا يبعد أن يسبق غيره ممن تقدمه بإسلام بحيث يكون أمره عجباً .

أمنت بالله ، ومن توكل على الله كفاه

دخل أحد الصحابة مسجد رسول الله ﷺ فى غير وقت الصلاة ، فوجد غلاماً لم يبلغ العاشرة من عمره قائماً يصلى بخشوع فانتظر حتى انتهى من صلاته ، فجاء إليه وسلم عليه ، وقال له : يا بنى ابن من أنت ؟ .

فطأطأ الغلام رأسه وانحدرت دمعه على خده ، ثم رفع رأسه ، وقال : يا عم إنى يتيم الأب والأم ، فرّق له الصحابى ، وقال له : يا بنى أترضى أن تكون ابناً لى ؟ .

فقال الغلام : هل إذا جعت تطعمنى ؟ . قال : نعم .

فقال الغلام : هل إذا عريت تكسونى ؟ . قال : نعم .

فقال الغلام : هل إذا مرضت تشفينى ؟ . قال الصحابى : ليس إلى ذلك سبيل يا بنى .

قال الغلام : هل إذا مت تحينى؟ قال الصحابى : ليس إلى ذلك سبيل .

قال الغلام : فدعنى ياعم للذى : ﴿ خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) ﴾ [١] .

فسكت الصحابى ومضى لحاله ، وهو يقول : آمنت بالله من توكل على الله كفاه .

---

(١) سورة الشعراء الآيات « ٧٨ - ٨٢ » .

لقـد غـابت مـعـانى التـوكل ، وصـار التـعلق بالجـوارح والدرهم والدينار فشقيت البشرية بهذه المادية الطاغية .

سُئل حاتم الأصم عمـا أدخله فى التـوكل ، فقـال : علمت أن رزقى لا يأكله غيـرى فاطمـأنت به نفسى ، وعلمت أن عـملى لا يعـمله غيـرى فـأنا مشغول به ، وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره ، وعلمت أنى لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحى منه .

وكـان البعض يقـول : ما من صبـاح إلا والشيطان يقـول لى : مـا تأكل ، وأين تسكن ؟ فأقول : آكل الموت وألبس الكفن ، وأسكن القبر .

وقـالوا : إذا عـملت فـاذكـر نظر الله إليك ، وإذا تكلـمت فـاذكـر سـمع الله إليك ، وإذا سكت فاذكر علم الله فيك .

صحبة أورثت دروساً قيمة

روى عن شقيق البلخى أنه قال لحاتم الأصم : قد صحبتنى مدة فماذا تعلمت ، قال : ثمان مسائل :

الأولـى : فإنى نظرت إلى الخلق إذ كل شخص له محبوب فإذا وصل إلى القبر فارقه محبوبه ، فجعلت محبوبى حسناتى لتكون معى فى القبر .

الثانيـة : فإذا نظرت إلى قول الله تعالى ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (١) فأجهدتها فى دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله .

وأما الثالثة : فإنى رأيت كل من معه شئ له قيمة عنده يحفظه ثم نظرت فى قوله سبحانه : ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ (٢) فكلما وقع معى شئ له قيمة وجهته إليه ليبقى عنده .

وأمـا الرابعـة : فإنى رأيت الناس يرجعون إلى المال والحسب والشرف ، وليست بشئ فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٣) فعملت بالتقوى لأكون عنده كريماً .

وأما الخامسـة : فإنى رأيت الناس يتحاسـدون ، فنظرت إلى قوله تعالى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (٤) فتركت الحسد .

---

(١) سورة النازعات الآية « ٤٠ » .
(٢) سورة النحل الآية « ٩٦ » .
(٣) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .
(٤) سورة الزخرف الآية « ٣٢ » .

وأما السادسة : رأيتهم يتعادون فنظرت فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ (١) فتركت عداوتهم واتخذت الشيطان وحده عدواً .

وأما السابعة : رأيتهم يذلون أنفسهم فى طلب الرزق فنظرت فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (٢) فاشتغلت بماله عليَّ وتركت الذى لى عنده .

وأما الثامنة : رأيتهم متوكلين على تجارتهم وصنائعهم وصحة أبدانهم فتوكلت على الله تعالى .

وكان حاتم الأصم يقول : رأيت رزقى من عند ربى فلم أشتغل إلا بربى ، ورأيت أن الله وكّل بىّ ملكين يكتبان عليَّ كل ما تكلمت به فلم أنطق إلا بالحق ، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهرى والرب تعالى ينظر إلى باطنى فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقطت عنى رؤية الخلق ، ورأيت أن الله مستحثاً يدعو الخلق إليه فاستعددت له متى جاءنى لا أحتاج يقتلنى « يعنى ملك الموت » فقيل له : يا حاتم ما خاب سعيك .

---

(١) سورة فاطر الآية « ٦ » .
(٢) سور هود الآية « ٦ » .

أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا ؟

« **أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا ، والله لنزاحمنهم عليه زحاماً حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالاً** » كلمة قالها أبو مسلم الخولانى - رحمه الله - تدل على صدق المحبة ، والحرص على حسن التأسى والاتباع ، لقد علموا أن السبق سبق الفضل والصفات لا سبق الزمان والمكان ، فهذه الأمة أتت بعد اليهود والنصارى . وهى خير أمة أخرجت للناس ، ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه ، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [(١)] إنها كلمة رجل مجاب الدعوة ، من خيار التابعين ، رجل صنع الله به مثل صنيعه بإبراهيم عليه السلام ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٣) ﴾ [(٢)] لقد أدرك معنى المنافسة فى الخير ، وأن التطلع لما عند الله لا بد فيه من مزاحمةٍ حقه حول رسول الله ﷺ ، فلا إيثار فى القرب ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [(٣)] ، لقد علت همتهم فلم تتلاعب بهم الدنيا ، ولا تطلعوا لمال أو منصب أو جاه ، ولا نظروا للموضات وحفظ الأغنيات ومشاهدة الأفلام والمسرحيات ، لقد كانت حياتهم ترجمة لمعانى الرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، وكان لسان حالهم ينطق : الله غايتنا والرسول ﷺ قدوتنا ، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا ، ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

---

(١) سورة الحجرات الآية « ١٣ » .
(٢) سورة الأحزاب الآية « ٢٣ » .
(٣) سورة آل عمران الآية « ٣١ » .

وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ (١) .

هل نتجاسر اليوم ونقوى على النطق بمثل كلمة أبى مسلم ؟ وهل تواتينا الشجاعة لطلب المعانى ؟ لا سبل لعلاج العوج وإنهاء الغربة إلا بالرجوع لمثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ، لا سبيل للعودة لمعانى القوة والعزة والتمكين إلا باقتفاء آثار هؤلاء الأتقياء الأخفياء ، الذين عاشوا بالإسلام وللإسلام ، لا سبيل للوصول لمعانى الرجولة الحقة إلا بترك التخنث والميوعة وترك متابعة المغضوب عليهم والضالين ، لقد حفظ لنا تعالى الكتاب والسنة ، وحفظ لنا من يقوم بهذا الدين ، فلن تخلوا الأرض من قائم لله بحجة ، يقيمون حجج الله وبيناته على العباد ، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، فاللهم اجعلنا من الذين يقومون بالحق وبه يعدلون .

---

(١) سورة التوبة الآية « ١٠٠ » .

عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز

ذكر البعض من أمر عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز عجباً ، وقالوا : كنا نرى أن عمر بن عبد العزيز إنما أدخله فى العبادة ما رأى من ابنه عبد الملك ، وغضب عمر بن عبد العزيز يوماً فاشتد غضبه وكان فيه حدة وعبد الملك حاضر فلما سكن غضبه قال : يا أمير المؤمنين أنت فى قدر نعمة الله عليك وموضعك الذى وضعك الله به وما ولاك من أمر عباده يبلغ بك الغضب ما أرى ؟ قال : كيف قلت ؟ فأعاد عليه كلامه وقال : أما تغضب يا عبد الملك ؟ فقال : ما تُغنى سعةُ جوفى إن لم أردّد فيه الغضب حتى لا يظهر منه شئ أكرهه .

ودخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز على عمر فقال يا أمير المؤمنين : إن لى إليك حاجة فأخْلنى ، وعنده مسلمة بن عبد الملك فقال عمر : أسرٌّ دون عمك ؟ قال : نعم فقام مسلمة وخرج وجلس بين يديه فقال : رأيت بدعةً تميتها أو سنةً فلم تُحَيْها ؟ فقال له : يا بنى أشئ حمْلك الرغبة إلىّ أم رأى رأيته من قبل نفسك ؟ قال : لا والله ولكن رأىٌ رأيتُه من قبل نفسى ، عرفت أنك مسئول ، فما أنت قائل ؟ فقال له أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ، فوالله إنى لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير يابنى إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدةً عقدة وعروةً عروة ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما فى أيديهم لم آمن أن يفتقوا على فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لزوال الدنيا أهون على من أن يُهراق فى سببى محَجَة من دم ، أو ما ترضى ألا يأتى على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يُميت فيه بدعة ويُحيى فيه سنّة ؟ حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين .

ودخل عبد الملك يوماً على أبيه عمر فقال : أين وقع لك رأيك فيما ذكر لكُ مزاحم من رد المظالم ؟ فقال : عليٌّ إنفاذه ، فرفع عمر يده ثم قال : الحمد لله الذى جعل لى من ذريتى من يعيننى على أمر دينى ، نعم يابنى أصلى الظهر إن شاء الله ثم أصعد المنبر فأردها على رؤوس الناس ، فقال عبد الملك : يا أمير المؤمنين من لك بالظهر ؟ ومن لك إن بقيت أن تسلم لك نيتك؟ فقال عمر : تفرّق الناس للقائلة ، فقال عبد الملك تأمر مناديك فينادى : الصلاة جامعة ثم يجتمع الناس فأمرَ مناديه فنادى .

وجلس عمر يوماً للناس فلما صرف النهار ضجر وملّ فقال للناس مكانكم حتى أنصرف إليكم ودخل ليستريح ساعة فجاء إليه ابنه عبد الملك فسأل عنه فقالوا : دخل ، فاستأذن عليه فأذن له فلما دخل قال : يا أمير المؤمنين ما أدخلك ؟ قال أردت أن أستريح ساعة قال : أو أمنت الموت أن يأتيك ورعيتُك على بابك ينتظرونك وأنت محتجب عنهم ؟ فقام عمر فخرج إلى الناس . واستوى عمر قائماً ، حين دفن ابنه عبد الملك أحاط به الناس فقال : والله يا بنى لقد كنت براً بأبيك ، والله ما زلت منذ وهبك الله لى مسروراً بك ولا والله ما كنتُ قط أشدَّ سروراً ولا أرجى لحظى من الله فيك منذ وضعتك فى المنزل الذى صيّرك الله إليه ، فرحمك الله وغفر لك ذنباً وجزاك بأحسن عملك ، ورحم كل شافع يشفع لك بخير من شاهد وغائب ، رضينا بقضاء الله وسلمنا لأمره ، الحمد لله رب العالمين. ثم انصرف .

قصة سعيد بن جبير
مع الحجاج بن يوسف الثقفى وقتل سعيد

عن أبى حصين قال : أتيت سعيد بن جبير بمكة فقلت : إن هذا الرجل قادم يعنى خالد بن عبد الله ، ولا آمنه عليك ، فأطعنى واخرج فقال : والله لقد فررت حتى استحييت من الله ، قلت : والله إنى لأراك كما سمتّك أمّك ، سعيداً ، قال : فقدم مكة فأرسل إليه فأخذه ، فأخبرنى يزيد بن عبد الله قال : أتينا سعيد بن جبير حين جئ به فإذا هو طيب النفس ، وبُنيّة له فى حُجْره ، فنظرت إلى القيد فبكت فشيعناه إلى باب الجسر ، فقال له الحرس : أعطنا كُفَلاء فإنا نخاف أن تُغرق نفسك ، قال يزيد : فكنت فيمن كُفّل به .

وعن داود بن أبى هند قال : لما أخذ الحجاجُ سعيد بن جبير قال : ما أرانى إلا مقتولاً وسأخبركم أنى كنت أنا وصاحبان لى دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الشهادة فكلا صاحبىّ رُزِقها وأنا أنتظرها ، فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء .

وعن عمر بن سعيد قال : دعا سعيد بن جبير ابنه حين دُعِيَ ليقتل فجعل ابنه يبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة ؟ .

وعن الحسن قال : لما أُتِيَ الحجاج بسعيد بن جبير قال : أنت الشقىّ ابن كُسَير ؟ قال : بل أنا سعيد بن جبير ، قال : بل أنت الشقىّ بن كسير قال : كانت أمى أعرف باسمى منك ، قال : ما تقول فى محمد ؟ قال : تعنى النبى ﷺ ، قال : نعم ، قال : سيد ولد آدم ، المصطفى ، خير من بقى وخير من مضى ، قال : فما تقول فى أبى بكر الصديق ؟ قال : الصديق خليفة رسول الله

ﷺ ، مضى حميداً وعاش سعيداً ، ومضى على منهاج نبيه ﷺ لم يغيِّر ولم يبدل ، قال : فما تقول فى عمر ؟ قال : عمر الفاروق خيرةَ الله وخيرة رسوله مضى حميداً على منهاج صاحبيه لم يغيِّر ولم يبّدل ، قال : فما تقول فى عثمان ؟ قال : المقتول ظلماً ، المجّهز جيش العُسرة ، الحافر بئر رومة ، المشترى بيته فى الجنة ، صهْر رسول الله ﷺ على ابنتيه ، زوّجه النبى ﷺ بوحْى من السماء ، قال : فما تقول فى علىّ ؟ قال : ابن عم رسول الله ﷺ. وأول من أسلم ، وزوج فاطمة وأبو الحسن والحسين . قال فما تقول فىّ ؟ قال أنت أعلم بنفسك ، قال : بُثَّ بعلمك ، قال أعفنى ، قال : لا عفا الله عنّى إن أعفيتك . قال : إنى لأعلم أنك مخالفٌ لكتاب الله ، ترى من نفسك أموراً تريد بها الهيبة وهى التى تُقحمك الهلاك وستردُ غداً فتعلم ، قال : أما والله لأقتلنك قتلةً لم أقتلها أحداً قبلك ولا أقتلها أحداً بعدك ، قال : إذاً تُفسد علىَّ دنياى وأفسد عليك آخرتك ، قال : يا غلام السيف والنّطْع ، فلما ولى ضحك قال : قد بلغنى أنك تضحك ، قال : قد كان ذلك ، قال فما أضحكك عند القتل ؟ قال : من جرأتُك على الله عز وجل ، ومن حلم الله عنك ، قال : ياغلام اقتله ، فاستقبل القبلة فقال : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩) ﴾ [١] ، فصرف وجهه عن القبلة فقال : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [٢] قال : اضرب به الأرض ، قال : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ (٥٥) ﴾ [٣] قال : اذبح عدوّ

---

(١) سورة البقرة الآية « ١١٥ » .
(٢) سورة الأنعام الآية « ٧٩ » .
(٣) سورة طه الآية « ٥٥ » .

الله فما أنزعه لآيات القرآن منذ اليوم .

قال ابن ذكوان : إن الحجاج بن يوسف بعث إلى سعيد بن جُبير فأصابه الرسول بمكة فلما سار به ثلاثة أيام رآه يصوم نهاره ويقوم ليله ، فقال الرسول : والله إنى لأعلم أنى أذهب بك إلى مَن يقتلك فاذهب إلى أى طريق شئت ، فقال له سعيد : أنه سيبلغ الحجاج أنك قد أخذتنى فإن خلّيت عنى خفتُ أن يقتلك ولكن اذهب بى إليه ، قال : فذهب به ، فلما دخل عليه قال له الحجاج : ما اسمك ؟ قال : سعيد بن جبير ، فقال : بل شقيّ بن كسير ، فقال : أمّى سمّتنى . قال : شَقيتَ . قال : الغيب يعلمه غيرك . قال له الحجاج : أما والله لأبدلنك من دنياك ناراً تلظى ، قال سعيد : لو علمت أن ذلك إليك ما اتخذت إلهاً غيرك . ثم قال له الحجاج : ما تقول فى رسول الله ﷺ ؟ قال : نبى مصطفى ، خير الباقين وخير الماضين ، قال : فما تقول فى أبى بكر الصديق ؟ قال ثانى اثنين إذْ هما فى الغار ، أعز الله به الدين ، وجمع به بعد الفرقة ، قال : فما هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ قال : فاروق وخيرة الله من خلقه ، أحبّ الله أن يُعزّ الدين بأحد الرجلين ، فكان أحقُهما بالخيرة والفضيلة ، قال : فما تقول فى عثمان بن عفان ؟ قال : مجهز جيش العسرة ، والمشترى بيتاً فى الجنة ، والمقتول ظُلماً ، قال : فما تقول فى علىّ ؟ قال : أولهم إسلاماً ، وأكثرهم هجرة ، تزوج بنت رسول الله ﷺ التى هى أحب بناته إليه . قال : فما تقول فى معاوية ؟ قال : كاتب رسول الله ﷺ ، قال : فما تقول في الخلفاء منذ كان رسول الله ﷺ إلى الآن ؟ قال سيُجزون بأعمالهم ، فمسرورٌ ومثبور « هالك » ولست عليهم بوكيل ، قال : فما تقول فى عبد الملك بن مروان ؟ قال : إن يكن محسناً فعند الله ثواب إحسانه ، وإن يكن

مسيئاً فلن يُعجز الله ، قال : فما تقول فىّ ؟ قال : أنت بنفسك أعلم ، قال : بُثّ فىَّ علمك ، قال : إذاً أسوءكَ ولا أسرّك ، قال : بُثّ ، قال : نعم ، ظهر منك جورٌ فى حدّ الله ، وجرأة على معاصيه بقتلك أولياء الله . قال : والله لأقطعنك قطعاً وأفرقن أعضاءك عضواً عضواً ، قال : إذاً تُفسد علىّ دنياى وأفسد عليك آخرتك ، والقصاص أمامك ، قال : الويل لك من الله ، قال : لمن زُحزْح عن الجنة وأُدخل النار ، قال : اذهبوا به فاضربوا عنقه قال سعيد : إنى أشهدك أنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أستحفظك بها حتى ألقاك يوم القيامة : فذُبح من قفاه . قال : فبلغ ذلك الحسن بن أبى آل حسن البصرى فقال : اللهم يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج ، فما بقى إلا ثلاثاً حتى وقع فى جوفه الدود فمات .

وعن يحيى بن سعيد ، عن كاتب الحجاج يقال له يعلى ، قال : كنت أكتب للحجاج وأنا يومئذ غلام حديث السن ، فدخلت عليه يوماً بعدما قتل سعيد بن جبير ، وهو فى قبة لها أربعة أبواب ، فدخلت عليه مما يلى ظهره ، فسمعته يقول : ما لى ولسعيد بن جبير ؟ فخرجت رويداً ، وعلمت أنه إن علم بى قتلنى ، فلم ينشب « لم يلبث » الحجاج بعد ذلك إلا يسيراً وفى رواية أخرى : عاش بعده خمسة عشر يوماً ، وفى رواية : ثلاثة أيام ، وكان يقول : مالى ولسعيد بن جبير ؟ كلما أردت النوم أخذ برجلى .

وعن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه .

ينابيع الحكمة

كان إبراهيم النخعى رحمه الله يقول : تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت فإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمانُ سوء ، وقال : كنا إذا حضرنا جنازة أو سمعنا بميت عُرف فينا أياماً لأنا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيّره إلى الجنة أو النار قال : وإنكم فى جنائزكم تحدّثون بأحاديث دنياكم ، وكان إذا سئل فى مسألة عرفت الكراهية فى وجهه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً .

وعن الأعمش قال : كنت عند إبراهيم وهو يقرأ فى المصحف واستأذن عليه رجل فغطى المصحف وقال : لا يرى هذا أننى أقرأ فيه كل ساعة .

وقال : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته ، وإلى هديه ، وإلى سمته ، وعن مغيرة قال : كان رجل على حال حسنة فأحدث حدثاً أو أذنب ذنباً فرفضه أصحابه ونبذوه ، فبلغ إبراهيم فقال : مَهْ تداركوه وعظوه ولا تَدعوه .

وقال إبراهيم التيمى: ما عرضتُ عملى على قولى إلا خشيت أن أكون مكذباً .

وقال : كم بينكم وبين القوم ؟ أقبلت عليهم الدنيا فهربوا وأدبرت عنكم فاتبعتموها ، وكان لا يخوض فى شئ من أمر الدنيا قط ، ويقول : إن الرجل ليظلمنى فأرحمه ، وقال : ينبغى لمن لا يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ ﴾ (١) وينبغى لمن لا يشفق أن يخاف ألا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ (٢) .

---

(١) سورة فاطر الآية « ٣٤ » .
(٢) سورة الطور الآية « ٢٦ » .

هل تعرف جليبيبا ؟

لابد وأن يعترينا الخجل إذا كانت الإجابة بالنفى فى الوقت الذى تعرفنا فيه على دقائق سير المشهورين من الساسة والزعماء ورجال الأدب والفن وأضعنا الأوقات الكثيرة فيما لا فائدة فيه ، وكان أحرى بنا وأولى أن نتعرف على هؤلاء الأفاضل الأخيار فذكراهم تحيى القلوب وكلنا يحتاج لأسوة وقدوة ، روى مسلم عن أبى بزرة أن النبى ﷺ كان فى مغزىً له فأفاء الله عليه فقال لأصحابه [**هل تفقدون من أحد**] قالوا : نعم فلاناً وفلاناً وفلاناً ، ثم قال : [**هل تفقدون من أحد ؟**] قالوا : نعم ، فلاناً وفلاناً وفلاناً ، ثم قال : [**هل تفقدون من أحد**] ، قالوا : لا . قال : [**لكنى أفقد جليبيبا فاطلبوه**] . فطلب فى القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه، فأتى النبى ﷺ فوقف فقال: [**قتل سبعة ثم قتلوه هذا منى وأنا منه هذا منى وأنا منه**] . قال : فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبى ﷺ . قال فحفر له ووضع فى قبره ولم يذكر غسلا . وقول النبى ﷺ عن جليبيب هذا منى وأنا منه معناه فى المبالغة فى اتحاد طريقتهما واتفاقهما فى طاعة الله تعالى ولكونه مات شهيداً - رضي الله عنه - لم يغسل ولم يصل عليه ، وهكذا رفع الإسلام جليبيباً بينما وضع أبا جهل وأبا لهب . وفى الحديث حث على التعرف على أمثال الصالحين حتى وإن كانوا مغمورين والسؤال عنهم وإبراز فضلهم والاعتراف بقدرهم ويتأكد هذا بصفة خاصة فى حق من يقود ويتزعم ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١) ﴾ [١]

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢١ » .

وعن أبى برزة الأسلمى أن جليبيباً كان امرءاً من الأنصار وكان أصحاب النبى ﷺ إذا كان لأحدهم أيم « التى لا زوج لها » لم يزوجها حتى يعلم النبى ﷺ: هل له فيـها حاجـة أم لا ؟ فـقـال رسـول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصـار : [**يا فلان زوجنى ابنتك قال : نعم ونعمة عين ، قال إنى لست لنفسى أريدها قال: لمن ؟ قال لجليبيب قال : يارسول الله حتى أستأمر «أشاور» أمها . فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك قال : نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ ، قال إنه ليس لنفسه يريدها قالت : فلمن ؟ قال لجليبيب قالت حلقى أجليبيب ؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيبا . فلما قام أبوها ليأتى النبى ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها من خطبنى إليكما ؟ قالا : رسول الله ﷺ قال : أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعونى إلى رسول الله ﷺ فإنه لن يضيعنى . فذهب أبوها إلى النبى ﷺ فقال شأنك بها فزوجها جليبيباً ، قال إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحـة لثابت : أتدرى ما دعا لها به النبى ﷺ ؟ قال : وما دعا لها به النبى ﷺ ؟ ، قال : اللهم صب عليها الخير صباً صباً ولا تجعل عيشها كداً كداً**] [(١)] ، قال ثابت فزوجها إياه فما فى الأنصـار أيم أنفق منها ، قال ابن سعد : وسمعت من يذكر أن جليبيباً كان رجلاً من بنى ثعلبة حليفاً فى الأنصار ، والمرأة التى زوجها النبى ﷺ إياهم من بنى الحارث بن الخـزرج رضي الله عنه ، ولسائل أن يسأل مالونه ؟ وما اسم أبيه ؟ وما عمره ؟ كل هذا طوى عنا لكونه لا فائـدة فيـه وبقى جليبيب علماً من أعلام الصلاح والتقى ترد سيرته على كل من طلب شهرة زائفة لا خير فيها ولا فائدة معها .

---

(١) **صحيح** : رواه الإمام أحمد بسند صحيح .

ثم احرص على تحقيق معانى الأخـوة الإيمانيـة وإلا فـهى لا تقتـصر على هؤلاء البارزين ، ولابـد من السعى فى مصالح هؤلاء الأخفياء الذين نتوسم فيهم الصلاح والتقى ، وإذا افتخـر الناس يوماً بأنهـم قابلـوا فلاناً المشهـور وتحدثوا معه أو صافحوه ، فليكن لك أنت شأن آخر تحرص على تقوى الله وتقترب من أهلها .

وماذا تعرف أيضاً عن ذى البجادين ؟

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له فمات أبوه ولم يورثه شيئاً وكفله عمه حتى أيسر ، فلما قدم النبى ﷺ المدينة كانت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد ، فقال لعمه : يا عم إنى قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً فائذن لى فى الإسلام ، قال : والله لئن اتبعت محمداً لا أترك لك بيدك شيئاً كنت أعطيتكه إلا نزعته منه حتى ثوبيك قال : فأنا والله متبع محمداً وتارك عبادة الحجر ، وهذا ما بيدى فخذه فأخذ ما أعطاه حتى جرده من إزاره ، فأتى أمه فقطعت بجاداً لها باثنين فأتزر بواحد وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان « جبل على يمين المار من المدينة إلى مكة » فاضطجع فى المسجد فى السحر « الوقت من آخر الليل » وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذ انصرف من الصبح فنظر إليه فقال : من أنت ؟ فانتسب له وكان اسمه عبد العزى فقال : أنت عبد الله ذو البجادين . ثم قال : انزل منى قريباً . فكان يكون فى أضيافه حتى قرأ قرآناً كثيراً ، فلما خرج النبى ﷺ إلى تبوك قال : ادع الله لى بالشهادة فربط النبى ﷺ على عضده لحى سمرة « من شجر الطلح » وقال : اللهم إنى أحرم دمه على الكفار فقال : ليس هذا أردت . قال النبى ﷺ : إنك إذا خرجت غازياً فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد أو وقصتك دابتك « كسر العنق » فأنت شهيد . فأقاموا بتبوك أياماً ثم توفى . قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفاً بها وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : [**أدنيا إلىَّ أخاكما**] فلما هيأه لشقه فى اللحد

قال : [**اللهم إني قد أمسيت عنه راضياً فارض عنه**] فقال ابن مسعود ليتنى كنت صاحب اللحد . وعن أبى وائل عن عبد الله قال : والله لكأنى أرى رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبر عبد الله ذى البجادين وأبو بكر وعمر يقول أدنيا إلىّ أخاكما وأخذه من قبل القبلة حتى أسكنه فى لحده ثم خرج النبى ﷺ وولياهما العمل فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعاً يديه يقول : [**اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه**] [1] وكان ذلك ليلاً ، يقول ابن مسعود فوالله لوددت أنى مكانه ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة ، فرضى الله عن ذى البجادين وعن سائر الصحابة النبى ﷺ واعلم أن كل صحابى أفضل من كل من جاء بعده سواء كان مشهوراً أو غير مشهور .

---

(١) أخرجه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمى وهو متروك .

حُديــر

أورد ابن الجوزى فى صفة الصفوة رواية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ بعث جيشاً فيهم رجل يقال له : حدير وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة « شدة » من قلة الطعام فزودهم رسول الله ﷺ ونسى أن يزود حديراً فخرج حُدير صابراً محتسباً وهو فى آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هو يارب ، فهو يرددها وهو فى آخر الركب ، قال : فجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال له : إن ربى أرسلنى إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حُديراً وهو فى آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ويقول : نعم الزاد هو يارب . قال : فكلامه ذلك له نور يوم القيامة ما بين السماء والأرض فابعث إليه بزاد . فدعا النبى ﷺ رجلاً فدفع إليه زاد حُدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه ما يقول ويقول له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ويخبرك أنه كان نسى أن يزودك وإن ربى تبارك وتعالى أرسل إليه جبريل يذكرنى بك فذكرّه جبريل وأعلمه مكانك فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله وأكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولاقوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلنى إليك بزاد معى ويقول : إنى إنما نسيتك فأرسل إلىّ جبريل من السماء يذكرنى بك قال : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال : الحمد لله رب العالمين ذكرنى ربى من فوق سبع سماوات ومن فوق

عرشه ورحم جوعى وضعفى ، يارب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك . قال فحفظ ما قال ورجع إلى النبى ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه وبما قال حين أخبره فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نوراً ساطعاً ما بين السماء والأرض .

سعيد بن عامر

أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وما بعدها . أرسل إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : إنا مستعملوك على هؤلاء فسر بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم . فقال يا عمر لا تفتني فقال عمر : والله لا أدعكم جعلتموها في عنقي ثم تخليتم مني . ثم استعمله على حمص وقال له ألا نفرض لك رزقاً ؟ قال : قد جعل الله تعالى في عطائي ما يكفيني دونه أو فضلاً على ما أريد .
وعن حسان بن عطيه قال : لما عزل عمر بن الخطاب معاوية بن أبي سفيان عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حزيم الجمحي قال : فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه قال : فما لبث إلا يسيراً حتى أصابته حاجة شديدة . قال : فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار . قال : فدخل بها على امرأته فقال : إن عمر بعث إلينا بما ترين . فقالت : لو أنك اشتريت أدماً طعاماً وادخرت سائرها فقال لها : أولا أدلك على أفضل من ذلك ؟ نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه قالت : فنعم إذاً ، فاشترى أدماً وطعاماً واشترى غلامين وبعيرين يمتران عليها حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة . قال : فما لبث إلا يسيراً حتى قالت له امرأته إنه قد نفذ كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه . قال فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل قال : وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله . فقال لها : ما تصنعين ؟ إنك قد آذيته إنه قد تصدق بذلك قال : فبكت أسفاً على ذلك المال . قال : ثم إنه دخل عليها يوماً فقال على رسلك إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب

أني صددت عنهم وإني لى الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها ، فلأنت فى نفسى أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال : فسمحت ورضيت .

وعن خالد بن معدان قال : استعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذيم . فلما قدم عمر حمص قال : يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال . قالوا : نشكوا أربعاً : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال أعظم بها قال : وماذا ؟ قالوا : له يوم فى الشهر لا يخرج فيه إلينا . قال عظيمة. قال : وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليل. قال وعظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا يغنظ الغنظة بين الأيام أى تأخذه موتة قال : فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لا تفيّل رأى فيه اليوم ، ما تشتكون منه ؟ قالوا لا يخرج حتى يتعالى النهار قال : والله إن كنت لأكره ذكره ، إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يتخمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال : ما تشتكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليل . قال ما يقولون ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره . إنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال : وما تشكون منه ؟ قالوا : إنه له يوماً فى الشهر لا يخرج إلينا فيه قال : ما يقولون ؟ قال : ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال : ما تشكون منه ؟ قالوا يغنظ الغنظة « أشد الكرب والجهد » بين الأيام قال : ما يقولون ؟ قال شهدت مصرع خُبيب الأنصارى بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع

فقالوا : أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمداً شيك بشوكة . ثم نادى : يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبداً ، فتصيبنى تلك الغنظة فقال عمر : الحمد لله الذى لم يفيل فراستى . فبعث إليه بألف دينار وقال استعن بها على حاجتك ، فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها : فهل لك فى خير من ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج ما نكون إليها قالت : نعم فدعا رجلاً من أهله يثق به صررها صرراً ثم قال انطلق بهذه إلى أرملة فلان وإلى مسكين آل فلان وإلى مبتلى فلان فبقيت منها ذهيبة فقال : أنفقى هذه ثم عاد إلى عمله فقالت : ألا تشترى لنا خادماً ما فعل ذلك المال ؟ قال : سيأتيك أحوج ما تكونين .

وقد مات سعيد بن عامر رضي الله عنه فى سنة عشرين فى خلافة عمر رضي الله عنه .

ونسأل الله تعالى أن يميتنا على محبة صحابة النبى ﷺ وأن يحشرنا فى زمرتهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفقياً .

أويس بن عامر القرني

روى مسلم عن أُسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس ، فقال عمر : هل ههنا أحد من القرنيين ، فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد قال : [**إن رجلاً يأتيكم من اليمن يقال له أويس لا يدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم**] (١) ، قال النووى : « قوله وفيهم رجل يسخر بأويس أى يحتقره ويستهزئ به وهذا دليل على أنه يخفى حاله ويكتم السر الذى بينه وبين الله عز وجل ولا يظهر منه شئ يدل لذلك وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء رضى الله عنهم » أ . هـ .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم**] (٢) ، وفى رواية أخرى قال لعمر فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل وهذه منقبة ظاهرة لأويس رضي الله عنه وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم .

وروى مسلم أيضاً عن أسير بن جابر قال كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال : أنت أويس بن عامر قال : نعم ، قال من مراد ثم من قرن . قال : نعم . قال :

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم .
(٢) **صحيح** : رواه مسلم .

فكان بك برص فبرأت منه إلا موضـع درهم قال : نعم . قال : لك والـدة . قال : نعم . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها برّ ، لو أقسم على الله لأبره ، فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**] [(١)] فاستغفر لى فاستغفر له ، فقال عمر : أين تريد ؟ قال : الكوفة . قال : ألا أكتب لك إلى عاملها . قال : أكون فى غبراء الناس « أى ضعافهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إيثار كتم حاله وترك الشهرة » أحب إلىّ قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال : تركته رث البيت قليل المتاع ، قـال سمعت رسول الله ﷺ يقول : [**يأتي عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل**] [(٢)] ، فأتى أويساً فقال استغفر لى قال أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى ، قال : لقيـت عمر ، قال نعم ، فاستغفر لى ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسير وكسوتـه بردة فكان كلمـا رآه إنسـان قـال : من أين لأويس هذه البـردة « وفى قـصـة أويس هذه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ ، وفيها التصريح بفضل أويس القرنـى وأنه خير التـابعين قـال النووى : « وقـد يقـال : قـد قـال أحـمـد بن حنبل وغيـره أفـضل التـابعين سعيـد بن المسيب والجـواب أن مرادهم أن سعيـداً أفضل فى العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا فى الخير عند الله تعالى ، وفى

---

(١) ، (٢) **صحيح** : رواه مسلم .

هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضاً » أ . هـ .

ويذكر أن أويساً ارتقى يوماً درج مسجد الكوفة ثم قال يا أهل الكوفة توسدوا الموت إذا نمتم وضعوه نصب أعينكم إذا قمتم ، وقد سماه الشاطبى سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة ويصفة الذهبى بأنه « القدوة سيد التابعين فى زمانه » وكان أحمد بن حنبل يضرب به المثل فى الزهد فيقول: لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد فى قوصره . وكان أويس يقول : بلغنى أن لله عباداً سجوداً أبداً ، وكان يقول : « لأعبدن الله فى الأرض كما تعبده الملائكة فى السماء » . وكان يقول : « يا عجباً ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما » . وكان ينصح هرم بن حيان بلزوم الجماعة يقول له : « لا تفارق الجماعة فتفارق دينك » وكان يعتذر إلى ربه ويقول : « اللهم إنى أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عارى فإنه ليس فى بيتى من الطعام إلا مافى بطنى ، وليس شئ من الدنيا إلا ما على ظهرى » ، ولم يكن على ظهره حينئذ إلا خرقة وكان يقول : « إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقاً » فرحمه الله رحمة واسعة .

علي [1] بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أمه أم ولد اسمها غَزالة ، وهو على الأصغر . وأما الأكبر فإنه قُتل مع الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكان على هذا مع أبيه وهو ابن ثلاث وعشرين سنة إلا أنه كان مريضاً نائماً على فراش فلم يُقتل : وكان يكنى أبا الحسين ، وقيل أبا محمد .

عن عبد الرحمن بن حفص القرشى قال : كان على بن الحسين إذا توضأ يصفرّ فيقول له أهله : ما هذا الذى يعتادك عن الوضوء ؟ فيقول : تدرون بين يدى من أريد أن أقوم ؟ .

وعن عبد الله بن أبى سليم قال : كان على بن الحسين إذا مشى لا تجاوز يدهُ فخذَه . ولا يخطر بيده ، وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رِعْده ، فقيل له : مالك ؟ فقال : ما تدرون بين يدى مَن أقوم ومَن أناجى ؟ .

وعن أبى نوح الأنصارى قال : وقع حريق فى بيت فيه على بن الحسين ، وهو ساجد ، فجعلوا يقولون له : يا ابن رسول الله النار ، يا ابن رسول الله النار ، فما رفع رأسه حتى أطفِئت . فقيل له : ما الذى ألهاك عنها ؟ قال : ألْهتنى عنها النارُ الأخرى .

وعن سفيان قال : جاء رجل إلى على بن الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال له : إن

---

(١) وهو الملقب بزين العابدين « فتح البارى « ١٤ / ٤١٢ » .

فلاناً قد آذاك ووقع فيك . قال : فانطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه فلما أتاه قال : يا هذا إن كان ما قلت فيّ حقاً فغفرَ الله لى ، وإن كان ما قلت فيَّ باطلاً فغفر الله لك .

وعن أبى يعقوب المدنى قال : كان بين حسن بن حسن وبين على بن الحسين بعضُ الأمور ، فجاء حسن بن حسن إلى على بن الحسين وهو مع أصحابه فى المسجد ، فما ترك شيئاً إلا قاله له . قال : وعلى ساكت . فانصرف حسن فلما كان فى الليل أتاه فى منزله فقرعَ عليه بابه فخرج إليه فقال له على : يا أخى إن كنت صادقاً فيما قلت لى فغفر الله لى ، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك ، السلام عليكم ، وولّى . قال : فأتْبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال : لا جَرم لا عُدت فى أمرٍ تكرهه . فقال على : وأنت فى حِلٍّ مما قلت لى .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال على بن الحسين : فقْدُ الأحبّة غُربة ، وكان يقول : اللهم إنى أعوذ بك أن تُحسن فى لوامع العيون علانيتى وتقبح سريرتى ، اللهم كما أسأتُ وأحسنتَ إلىَّ فإذا عدتُ فعدْ علىَّ .

وعنه ، عن أبيه أن على بن الحسين كان لا يحب أن يُعينه أحدٌ على طهوره وكان يستقى الماء لطهوره ويخمره قبل أن ينام . فإذا قام من الليل بدأ بالسّواك ثم يتوضأ ثم يأخذ فى صلاته وكان يقضى ما فاته من صلاة النهار بالليل ثم يقول : يا بنى ليس هذا عليكم بواجبٍ ولكن أحب لمن عوّد نفسه منكم عادةً من الخير أن يدوم عليها .

وكان لا يَدعُ صلاة الليل فى الحَضر والسفر . وكان يقول : عجبت

للمتكبّر الفَخور الذى كان بالأمس نُطفةً ثم هو غداً جيفةً ، وعجبت كلّ العجب لمن شكّ فى الله وهو يرى خلقه ، وعجبت كلّ العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى ، وعجبت كلّ العجب لمن عمل لدارِ الفناء وترك دار البقاء .

وكان إذا أتاه السائل رحّب به وقال مرحباً بمن يحمل زادى إلى الآخرة ، وكلّمه رجل فافترى عليه فقال : إن كنّا كما قلت فنستغفر الله ، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك . فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال : جُعلتِ فداك ، ليس كما قلتُ أنا فاغفِر لى قال : غفر الله لك . فقال الرجل : الله أعلَم حيث يجعل رسالته .

وعن شيبة بن نعامة قال : كان على بن الحسين يبخل فلما مات وجدوه يقُوت مائة أهل بيت بالمدينة .

وعن محمد بن إسحاق قال : كان ناس من أهل المدينة يعَيشون لا يدرون من أين معَاشهم . فلما مات على بن الحسين فقدَوا ما كانوا يُؤتون به بالليل .

وعن أبى حمزة الثمالى قال : كان على بن الحسين يحمل جرابَ الخبز [1] على ظهره بالليل فيتصدّق به ، ويقول : إن صدقة السرّ تطفئ غضب الرب عز وجل .

وعن عمرو بن ثابت قال : لما مات على بن الحسين فغسلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سُود فى ظهره ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالوا : كان يحمل جُرُبَ الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

---

(١) الجراب : وعاء من حلبه .

وعن ابن عائشة قال : قال أبى : سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقَدْنا صدقة السر حتى مات على بن الحسين .

وعن سفيان قال : أراد على بن الحسين الخروج فى حجٍّ أو عمرة فاتخذت له سُكَيْنة بنت الحسين سُفْرةً أنفقت عليها ألف درهم أو نحو ذلك ، وأرسلت بها إليه فلما كان بظهره الحَرَّة أمر بها فقُسِّمت على المساكين .

وعن سعيد بن مرجانة أنه قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : [**من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرْب (١) منها إرْباً منه من النار ، حتى إنه يعتق باليد اليد ، وبالرِجْل الرجْل ، وبالفَرْجَ الفَرْج**] فقال على بن الحسين : أنت سمعت هذا من أبى هريرة ؟ قال سعيد : نعم فقال لغلام له أفْرَهَ غلمانه : ادْعُ مطرفاً . فلما قام بين يديه قال : اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجلّ (٢) .

وكان عبد الله بن جعفر قد أعطى علىَّ بن الحسين بهذا الغلام الذى أعتقه ألف دينار .

وعن محمد بن حاطب عن على بن الحسين أنه أتاه نفر من أهل العراق فقالوا فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ، فلما فرغوا قال :

ألا تخبرونى : أنتم المهاجرون الأوّلون ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨)** ﴾ (٣) ؟ قالوا : لا . قال فأنتم ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ**

---

(١) الإرب : العضو .

(٢) الحديث صحيح أخرجه البخارى فى كتاب العتق وفى الكفارات ، وأخرجه مسلم فى كتاب العتق والترمذى فى كتاب النذور برقم ١٤٥١ كلهم بلفظ يقارب هذا اللفظ ، وأخرجه الإمام أحمد فى المسند باللفظ الذى ذكره المصنف ، وغلام فاره : نشيط خفيف .

(٣) سورة الحشر الآية « ٨ » .

من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ (١) ؟ قالوا : لا . قال : أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين . ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾ (٢) اخرجوا فعل الله بكم .

وقال نافع بن جبير لعلى بن الحسين : أنت سيد الناس وأفضلهم تذهب إلى هذا العبد فتجلس معه ؟ يعنى زين بن أسلم . فقال : إنه ينبغى للعلم أن يتّبع حيثما كان .

وعن ابن عائشة ، عن أبيه قال : حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلى الخلافة فاجتهد أن يستلم الحجر فلم يمكنه . قال : وجاء على بن الحسين فوقف له الناس وتنحّوا حتى استلم . فقال الناس لهشام : مَن هذا ؟ قال : لا أعرفه .

فقال الفرزدق : لكنى أعرفه ، هذا على بن الحسين .

وعن صالح بن حسان قال : قال رجل لسعيد بن المسّيب : ما رأيتُ أحداً أورع من فلان . قال : هل رأيت على بن الحسين ، قال : لا . قال : ما رأيت أحداً أورع منه .

وقال الزُّهرى : لم أرَ هاشمياً أفضل من على بن الحسين ، وما رأيت أحداً

---

(١) سورة الحشر الآية « ٩ » .
(٣) سورة الحشر الآية « ١٠ » .

كان أفقه منه .

وعن طاووس قال : رأيت عليّ بن الحسين ساجداً في الحجْر فقلت : رجل صالح من أهل بيت طيّب ، لأسمَعنّ ما يقول : فأصغيتُ إليه فسمعته يقول : عُبَيْدُك بفنائك ، مسكينك بفنائك ، سائلكُ بفنائك ، فقيرُك بفنائك ، فوالله ما دعوت الله بها في كرْب إلا كشف الله عنّي .

وعن أبي جعفر قال : كان علي بن الحسين رحمه الله يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعةٍ وتهيج الريح فيسقط مغشياً عليه .

وعن عبد الغفّار بن القاسم قال : كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه فثارت إليه العبيد والموالي فقال علي بن الحسين : مهلاً عن الرجل . ثم أقبل على الرجل فقال : ما سِتر عنك من أمرنا أكثر . ألك حاجة نُعينك عليها ؟ فاستحْيا الرجل . فألقى عليه خَمِيصة [1] كانت عليه ، وأمر له بألف درهم فكان الرجل بعد ذلك يقول : أشهد أنك من أولاد الرسول .

وعن رجل من ولد عمار بن ياسر قال : كان عند علي بن الحسين قومٌ فاستعجل خادماً له بشواء كان له في التنور . فأقبل به الخادم مسرعاً وسقط السّفود من يده على بُنَيٍّ لعلي أسفل الدّرجة فأصاب رأسه فقتله فقال علي للغلام : أنت حرٌ ، لم تعمده [2] وأخذ في جهاز ابنه .

وعن عمرو بن دينار قال : دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة ابن زيد في مرضه فجعل محمد يبكي فقال علي : ما شأنك ؟ قال : عليّ دين

---

(١) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان .
(٢) عمده : ضربه بالعمود ، أو ضرب العمود بطنه .

قال : كم هو ؟ قال : خمسة عشر ألف دينار . قال : فهو علي .

وعن أبى جعفر محمد بن على قال : أوصانى أبي قال : لا تصحبنّ خمسةً ولا تحادثهم ولا ترافقهم فى طريق . قال : قلت : جعلت فداءك يا أبت من هؤلاء الخمسة ؟ قال : لا تصحبنّ فاسقاً فإنه يبيعك بأكلةٍ فما دونها . قال : قلت : يا أبة وما دونها ؟ يطمع فيها ثم لا ينالها .

قال : قلت : يا أبة ومن الثانى ؟ قال : لا تصحبنّ البخيل فإنه يقطع بك فى ماله أحوج ما كنت إليه .

قال : قلت : يا أبة ومن الثالث ؟ قال : لا تصحبّن كذّاباً فإنه بمنزلة السّراب يبعد منك القريب ويقرّب منك البعيد .

قال : قلت : يا أبة ومن الرابع ؟ قال : لا تصحبنّ أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرّك .

قال : قلت : يا أبة ومن الخامس ؟ قال : لا تصحبنّ قاطعَ رحمٍ فإنى وجدته ملعوناً فى كتاب الله فى ثلاثة مواضع [1] .

وتوفى بالمدينة سنة أربع وتسعين ، وقيل ثنتين وتسعين ، ودفن بالبقيع وهو ابن ثمان وخمسين سنة رضي الله عنه .

---

(١) هى : فى سورة الرعد « الآية ٢٥ » وفى سورة محمد الآيتان « ٢٢ - ٢٣ » وفى سورة البقرة الآية « ٢٧ » ولكنه فى الأخيرة وصف قاطعى الرحم بأنهم خاسرون ولم يصرح بلفظ اللعن فى الآية .

عتبة الغلام وهو عتبة بن أبان بن صمعة

وإنما سمى بالغلام لجدّه واجتهاده لا لِصغر سنه وكان يفتل الشَّريط [١] .

عن سوار أبو عبيدة قال : بكى عتبة الغلام فى مجلس عبد الواحد بن زيد تسع سنين لا يفتُر بكاءً من حين يبتدئ عبد الواحد فى الموعظة إلى أن يقوم لايكاد يسكت عتبة . فقيل لعبد الواحد إنا لا نفهم كلامك من بكاء عتبة . قال : فأصنع ماذا ؟ يبكى عتبة على نفسه وأنهاه أنا ، لَبِئسَ واعظ قومٍ أنا .

وعن أبو توبة قال : كان عتبة الغلام يأكل خبزاً وملحاً ويقول : العرس فى الدار الأخرى .

وعن عبد الله بن الفرج العابد قال : كان عتبة يعجن دقيقه ويجفّفه فى الشمس ثم يأكله ويقول : كِسْرة ومِلْح حتى نهنأ فى الدار الأخرى الشّواءَ والطعامَ الطيب .

عن مخلد بن الحسين قال : كان عتبة يجالسنا فقال لنا يوماً : إنه لا يُعجبنى رجل لا يكون فى يده حِرفة . فقلنا : ما نراك تحترف . فقال : بلى رأس مالى طسّوج [٢] أشترى به خُوصاً أعمله وأبيعه بثلاثة طساسيج فطسّوجٌ رأس مالى وقيراطٌ [٣] خبزى .

وعن أبو عمر الضرير قال : سمعت رياحاً القيسى يقول : قال لى عتبة :

---

(١) هذه صنعته ، والشريط : خوص مفتول يربط ويشد به السرير ونحوه .
(٢) الطسوج : ربع الدانق .
(٣) الطّسوج بوزن الفرّوج ، حبتان ، والدانق أربعة طساسيج وهما معربان .

يا رياح إن كنتُ كلّما دَعَتْنى نفسى إلى الكلام تكلّمتُ فبئس الناظر لها أنا .
يارياح إن لى موقفاً تغتبط فيه بطول الصمت عن الفضول .

عن مسلمة بن عرفجة العنبرى قال : سمعت عنبسة الخوّاص يقول : كان عتبة الغلام يزورنى فربما بات عندى . قال : ذات ليلة فبكى من السحر بكاءاً شديداً فلما أصبح قلت له : قد فزّعت قلبى الليلة ببكائك ، فممّ ذاك ياأخى ؟ قال : يا عنبسة إنى والله ذكرت يوم العرض على الله .

وعن داود بن المحبر قال : سمعت عبد الواحد بن زيد يقول : ربما سهرت مفكراً فى طول حزن عتبة ، وقد كلّمته ليرفق بنفسه فبكى وقال : إنما أبكى على تقصيرى .

وعن الخليل بن عمرو البكرى قال : سمعت مهدى بن ميمون يقول : خرجت فى بعض الليالى إلى الجبّان فإذا عتبة الغلام ، فقال لى جئت ؟ قد دعوت الله أن يجئ بك . قلت : أطعمنا رُطَباً . قال : فدعا فإذا دَوْخَلَة (١) رُطَبٍ بين أيدينا فأكلنا منه .

وعن زيدان قال : قال عتبة الغلام : كابدتُ الصلاة عشرين سنة وتنعمت بها عشرين سنة .

وعن عبد الله بن مبشر قال : دعا عتبة الغلامُ ربه أن يهب له ثلاث خصال فى دار الدنيا : دعا الله أن يمن عليه بصوت حزين ، ودمع غزير ، وغذاء من غير تكلّف .

---

(١) الدوخلة « بفتح الدال والخاء وتشديد اللام ، وتخفيف اللام » : وعاء من خوص يوضع فيه الرطب أى التمر .

قال : فكان إذا قرأ بكي وأبكى ، وكانت دموعه جارية دهْرَه ، وكان يأوى إلى منزله فيصيب قوته لا يدْرى من أين يأتيه .

وعن الحسن بن دعامة قال : رأيت عتبة الغلام إذا استحسن الطير دعاه فيجيء حتى يسقط على فخذه فيمسّه ثم يُسيّبه فيطير [١] .

عن عبد الواحد بن زيد قال : انطلقت أنا وعتبة الغلام فى حاجة حتى إذا كنا برحبة القاصبين جعلت أنظر إلى عتبة يعرَق عرقاً شديداً حتى رَشَح وذلك فى يوم شات شديد البرد « فقلت : عتبة ترشح عرقاً فى مثل هذا اليوم الشديد البرد ؟ » فسكت ولم يخبرنى فقلت : الذى بينى وبينك ، ولم أزل به ، فقال : ذكرت ذنباً أذنبته فى هذا الموضع .

وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مهدى قال : سألت يوسف بن عطية فقلت له : ما كان لباس عتبة ؟ قال : كان يلبس كساءَين يأتَزِر بواحد ويرتدى بآخر ، وإذا رأيته قلت بعض الأكَرَة [٢] .

قال إبراهيم : كان عتبة عربياً شريفاً من عوذ .

قال إبراهيم : وحدثنى مضَر قال : قال رجل لعبد الواحد بن زيد ، تعلم أحداً يمشى فى الطريق مشتغلاً بنفسه ؟ قال : ما أعرف إلا رجلاً واحداً الساعة يدخل عليكم . فدخل عتبة قال : وطريقه على السوق فقال له : يا عتبة من تلّقاك فى الطريق ؟ قال : ما رأيت أحداً .

قال عبد الواحد : وكان عتبة يسجد السجدة الطويلة على الحصا يوم

---

(١) سيبه « بشديد الياء » تركه يسيب ويذهب .
(٢) جمع أكار ، وهو الحراث .

الجمعة فما أراه يعقل بحرّه (١) .

وعن أحمد بن زهير المروزى قال : ركب عتبة فى زورق مع قوم فأراد الملاح أن يعدل ببعضهم السفينة فلم يجد أحداً منهم أحقر فى عينيه من عتبة . فضرب جنبه فقال : استوِ فقال عتبة : الحمد لله الذى لم يره فيهم أحقر فى عينه منى .

وعن أبو عبد الله الشحام قال : كان عتبة يبيت عندى . فقلت له : ما كانت عبادته ؟ قال : كان يستقبل القبلة فلا يزال فى فكْر وبكاء حتى يُصبح ، وربما جاءنى مساءً فيقول : أخرِجْ إلىّ شربةً من ماء وتمرات أفطر عليها فيكون لك مثْل أجْرِى .

اشتغل عتبة بالعبادة عن الرواية، وقُتل شهيداً فى بعض الغزوات .

وعن قدامة بن أيوب – وكان من أصحاب عتبة – قال : رأيت عتبة الغلام فى المنام فقلت : ما صنع الله بك ؟ قال : يا قدامة دخلت الجنة بتلك الدعوات المكتوبة فى بيتك ، فلما أصبحت أتيت إلى بيتى فإذا خطّ عتبة فى الحائط مكتوب : يا هادى المضلّين وراحمَ المذنبين ومُقيل عثَرات العاثرين ، ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلّهم أجمعين ، واجعلنا مع الأحياء المرزوقين ، مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدّقين والشهداء والصالحين آمين ربّ العالمين .

---

(١) كأنه لا يشعر بحر الحصا لاستغراقه فى السجود .

شميط بن عجلان

أبو عبد الله ، ويقال أبو همام عن سيار قال : أنبأ عبيد الله بن شُمَيْط قال : سمعت أبى يقول : بادروا بالصحة السَقَم وبالفراغ الشغلَ ، وبادروا بالحياة الموت . وسمعته يقول : بئس العبد عبدٌ خُلق للعاقبة فصدته العاجلة عن العاقبة فزالت عنه العاجلة وشِقَى فى العاقبة وسمعته يقول : أعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يُطغيك ؟ لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع ، كيف يعمل للآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ؟ العجب العجب كلّ العجب لمصدقٍ بدار الحق وهو يسعى لدار الغُرور .

وسمعته يقول : إن الله عز وجل جعل قوة المؤمن فى قلبه ولم يجعلها فى أعضائه . ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك .

وسمعته يقول : يعمد أحدهم فيقرأ القرآن ويطلب العلم حتى إذا علمه أخذ الدنيا فضمّها إلى صدره وحملها على رأسه فنظر إليه ثلاثة ضعفاء : امرأة ضعيفة وأعرابى جاهل وأعجمى ، فقالوا : هذا أعلم بالله منا لو يرَ فى الدنيا ذخيرةً ما فعل هذا . فرغبوا فى الدنيا وجمعوها .

وسمعته يقول : من رضى بالفسق فهو من أهله ، ومن رضى أن يُعصى الله عز وجل لم يُرفع له عمل .

أبو معاوية الغلابى قال : حدثنى رجل قال : قالت امرأة شميط : يا أبا همام إنا نعمل الشئ فيبرد فنشتهى أن تأكل منه معنا فلا تجئ حتى يفسد ويبرد

فقال : والله إن أبغض ساعاتى إلى الساعة التى آكل فيها .

عن جعفر قال : سمعت شميطاً يقول : رأس مال المؤمن دينه حيثما زال معه لا يخلفُه فى الرجال ولا يأمن عليه الرجال .

وعن جعفر بن سليمان قال : سمعت شميطاً يقول : من جعل الموت نُصْبَ عينيه لم يبال بضيق الدنيا ولا بسعتها .

وعن إبراهيم بن عبد الملك قال : قال شميط بن عجلان : إن الله عز وجل وسمَ الدينا بالوحشة ليكون أنسُ المطيعين به .

وعن عبيد الله بن شميط بن عجلان ، عن أبيه أنه كان يقول فى موعظة : إذا أصبحت آمناً فى سِرْبك [١] معافاً فى بدَنك ، عندك قُوتُ يومك فعلى الدنيا العفاء وعلى من يحزن عليها ، إن المؤمن يقول لنفسه : إنما هى ثلاثة أيام فقد مضى أمس بما فيه وغداً أمل ، لعلّك لا تُدركيه ، إنما هو يومكَ هذا فإن كنت من أهل غدٍ فسيجئ ربّ غدِ برزق غد إن دون غدٍ يوماً وليلة تُخترم [٢] فيه أنفس كثيرة فلعلك المخترم فيه .

كفى كل يومٍ همه ثم حملت على قلبك الضعيف هم السنين والدّور والأزمنة وهم الغلاء والرخص وهم الشتاء قبل أن يجئ وهم الصيف قبل أن يجئ ، فماذا أبقيت من قلبك الضعيف للآخرة ؟ ما تُطلب الجنة بهذا . متى تهرب من النار ؟ كل يوم ينقص من أجلك ثم لا تحزن ، أُعطيت ما يكفيك وأنت تطلب ما يُطغيك ، لا بقليل تقنع ولا من كثيرٍ تشبع ، فكيف لا يستبين للعالم جهله ، وقد عجز عن شكر ما هو فيه ، وهو مُفْتَنّ فى طلب الزيادة ؟ أم

---

(١) السِربِ « بكسر السين وسكون الراء » : النفس يقال فلان آمن فى سربه أى فى نفسه .
(٢) تخترم : أى تموت فيها أنفس كثيرة .

كيف يعمل للآخرة من لا تنقضى من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته ؟ فالعجب كل العجب لمن صدق بدار الحيوان كيف يسعى لدار الغرور .

وكان يقول : إن أولياء الله آثروا رضا ربهم تعالى على هوى أنفسهم ، فأرغموا أنفسهم كثيراً فى رضا ربهم فأفلحوا والله وأنجحوا ، وإن المنافق عبد هواه وعبد بطنه وعبد فرجه وعبد جلده ، عبد الدنيا وعبد أهل الدنيا .

وكان يقول : الناس رجلان ، فمتزود من الدنيا ومتنعّم فيها فانظر أىُّ الرجلين أنت ؟ إنى أراك تحب طول البقاء فى الدنيا فلأى شئ تحبه ؟ أن تطيع [١] الله عز وجل وتحسن عبادته وتتقرّب إليه بالأعمال الصالحة ؟ فطوبى لك . أم لتأكل وتشرب وتلهو وتلعب وتجمع الدنيا وتثمرها وتنعم زوجتك وولدك ؟ فلبئس ما أردت له البقاء .

وكان يقول إذا وصف المؤمنين: أتاهم عن الله تبارك وتعالى أمر وقَذَهم[٢] عن الباطل فأسهروا الأعين وأجاعوا البطون وأظمأوا الأكباد وأنفقوا الأموال واهتضموا التالد والطارف [٣] فى طلب ما يقرّبهم إلى الله عز وجل وفى طلب النجاة مما خوفهم به .

وكان يقول : إن المؤمن اتخذ كتاب الله عز وجل مرآة ، فمرّة ينظر إلى مانعت الله عز وجل به المؤمنين، ومرّة ينظر إلى ما نعت الله عز وجل به المغترّين، ومرة ينظر إلى الجنة وما وعد الله عز وجل فيها ، ومرّة ينظر إلى النار وما أعد الله عز وجل فيها . تلقاه حزيناً كالسهم المرمى به شوقاً إلى ما شوّقه الله عز وجل

(١) أى لأن تطيع .
(٢) صرفهم بشدة .
(٣) الطارف والطريف من المال : المستحدث وهو ضد التالد وال

إليه وهرباً مما خوّفه الله عز وجل منه .

وكان يقول : بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يا داود ألا ترى إلى المنافق كيف يخدعنى وأنا أخدعه ؟ يسبّحنى ويوقّر بلسانه وقلبُه منى بعيد ، ياداود قل للملأ من بنى إسرائيل لا يدعونى والخطايا فى أضبانهم [١] ليضعوها ثم ليدعونى أستجب لهم .

وكان يقـول : اللهم اجعـل القليل من الدنيا يكفينا كما يكفى الكثير أهله . اللهم ارفع رغبتنا إليك واقطع رجاءنا ممن سواك . اللهم اجعل طاعتك ألذّ عندنا من الطعام عند الجوع ، ومن الشراب عند الظمأ ، اللهم اجعل غفلة الناس لنا ذكراً ومرَح الناس لنا شُكراً ، اللهم إذا تنعم المتنعمون بالدنيا فاجعلنا نتنعم بذكرك .

وكان يقول : بالدراهم والدنانير أزمة المنافقين تقودهم إلى السّوْءات .

وكان يقول : تلقى أحدهم عنده فضول [٢] يغلق بابه دون جـاره وذوى رحمه ، ثم يخرج على القوم يحدثهم بما أكل وشرب ولعل جاره الفقير وذا رحمه المحتاج يكون فى القوم يسمع ما يقول : ويحك ما كفاك أن أغلقت بابك دونه فلم تواسِه ولم تذكره حتى قعدت فأخبرته بما أكلت وشربت ؟ فإذا أنت قد جمعت إساءة بعد إساءة .

وكان يقول : إن المؤمن أبصـر الدنيا فأنزلها منزلتها فإنْ هى أقبلت عليه قال : لا مرحباً ولا أهلاً والله ما أراك جئت بخير وما فيك من خير إلا أن تُطلب بك الجنة ، ويُتفـدَى بك من النار ، فإن هى أدبرت عنه قال : عليك العفـاء

---

(١) مفردها : ضبن « بكسر الضاد وسكون الباء » وهو ما بين الكشح والإبط .

(٢) ما يزيد على حاجته من الطعام والشراب .

وعلى من يتبعك . والحمد لله الذى خارَ لى وصرفَ عنى فتنتك وشغلك .

وكان يقول : إذا وصف أهل الدنيا : حيارى سكارى فارسهم يركض ركضاً وراجلهم يسعى سعياً ،لاغنيهم يشبع ولا فقيرهم يقنع .

وكان يقول : إذا وصف المُقبل على الدنيا : دائبٌ البطنة قليلِ الفطنة إنما همه بطنه وفرْجه وجلده ، متى أصبح فأكل وأشرب وألهو وألعبُ متى أمسى فأنام ، جيفة بالليل بطّال بالنهار ويحك ألهذا خُلقت ؟ أم بهذا أُمرت ؟ أم بهذا تطلب الجنة وتهرب من النار ؟ .

وكان يقول : إن العافية سترت البّر والفاجر ، فإذا جاءت البلايا استبَان عندها الرجلان ، فجاءت البلايا إلى المؤمن فأذهبتْ ماله وخادمه ودابّته حتى جاع بعد الشبع ومشى بعد الركوب وخدم نفسه بعد أن كان مخدوماً فصبر ، ورضى بقضاء الله عزّ وجل ، وقال : هذا نظرٌ من الله عز وجل لى ، هذا أهون لحسابى غداً ، وجاءت البلايا إلى الفاجر فأذهبت ماله وخادمه ودابته فجزع وهلع وقال : والله مالى بهذا طاقة ، والله لقد دعوت نفسى عادة مالى عنها صبر من الحلو والحامض والحار والبارد ولين العيش . فإن هو أصابه من الحلال وإلا طلبه من الحرام والظلم ليعود إليه ذلك العيش .

وكان يقول : إنسانان معذّبان فى الدنيا : غنىّ أعطى دنيا فهو بها مشغول ، وفقير زُوِيَت [1] عنه فهو يتبعها نفسه فنفسه تقطّع عليها حسرات .

وكان يقول : الناس ثلاثة : فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنّه ثم داوم عليه

---

(١) زوى الشئ يزويه زياً : جمعه وقبضه ، وفى الحديث « زويت لى الأرض فأريت مشارقها ومغاربها » .

حتى خرج من الدنيا . فهذا المقرّب . ورجل ابتكر عُمْره بالذنوب [١] وطــول الغفلة ثم راجع توبة ، فهذا صاحب يمين ، ورجل ابتكر الشرّ فى حداثة سنّه ثم لم يزل فيه حتى خرج من الدنيا ، فهذا صاحب الشمال .

وعن أبو عمر الضرير قال : أنبأنا عبيد الله بن شميط قال : سمعت أبى يقول : أيها المغتر بطول صحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم ؟ أيها المغتر بطول المهلة أما رأيت مأخوذاً قطّ من غير عدّة ، أبالصحة تغترّون ؟ أم بطول العافية تمرحون ؟ أم بالموت تأمنون ؟ أم على مالك تجترئون ؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه ثروة مالك ولا كثرة احتشادك . أما علمت أن ساعة الموت ذاتُ كربٍ شديد وغُصَص وندامة علىٍ التفريط ؟ ثم يقول : رحم الله عبداً عمل لساعة الموت ، رحم الله عبداً عَمِل لما بعد الموت ، رحم الله عبداً نظر لنفسه قبل نزول الموت .

---

(١) أى ارتكب الذنوب فى باكورة حياته وريعانها .

حبيب أبو محمد الفارسى

كان مجاب الدعوة حضر مجلس الحسن فتأثر بموعظته فخرج عما كان يملك .

يونس بن محمد قال : سمعت مشْيخةً يقولون : وكان الحسن يجلس فى مجلسه الذى يذكر فيه فى كل يوم ، وكان حبيب أبو محمد يجلس فى مجلسه الذى يأتيه فيه أهل النار والتجار وهو غافل عما فيه الحسن لا يلتفت إلى شئ من مقالته . إلى أن التفت إليه يوماً فذكّره الحسن بالجنة وخوّفه من النار فانصرف من عنده فلم يزل فى تبديد ماله حتى لم يبق له شئ ثم جعل بعدُ يستقرض على الله .

قال يونس : وجاء رجل إلى أبى محمد فشكا إليه ديناً عليه فقال : اذهب فاستقرضْ وأنا أضمن . فأتى رجلاً فأقرضه خمس مائة درهم وضمنها أبو محمد . ثم جاء الرجل فقال : يا أبا محمد دراهمى ، فقد أضرّ بى حبْسُها . فقال : نعم غداً . فتوضأ أبو محمد ودخل المسجد ودعا الله تعالى . وجاء الرجل فقال له : اذهب فإن وجدت فى المسجد شيئاً فخذه . فذهب فإذا فى المسجد صُرّة فيها خمس مائة درهم فذهب فوجدها تزيد على خمس مائة فرجع إليه فقال : يا أبا محمد تلك الدراهم تزيد . فقال : اذهب فهى لك ، من وزَنها وزَنها راجحة .

وعن جعفر بن سليمان : قال سمعت حبيباً يقول : أتانا سائل وقد عجنت عمرة وذهبت تجئ بنارٍ تخبزه فقلت للسائل : خذ العجين فاحتمْله . فجاءت عمرة فقالت : أين العجين ؟ فقلت : ذهبوا به يخبزونه . قال : فلما أكثرت

علّي أخبرتها فقالت : سبحان الله لا بد لنا من شئ نأكله قال : فإذا رجل قد جاء بجفنة عظيمة مملوءة خبزاً ولحماً . فقالت عمرة : ما أسرع ما ردّوه عليك قد خبزوه وجعلوا معه لحماً .

وعن جعفر قال : كان حبيب أبو محمد رقيقاً من أكثر الناس بكاءً فبكى ذات ليلة كثيراً فقالت عمرة بالفارسية : لم تبكى يا أبا محمد ؟ فقال لها حبيب : دعينى فإنى أريد أن أسلك طريقاً لم أسلكه قبل .

وعنه قال : وسمعت حبيباً يقول : والله إن الشيطان ليلعب بالقرّاء كما يلعب الصبيان بالجوز . ولو أن الله دعانى يوم القيامة فقال : يا حبيب فقلت : لبيك ، فقال : جئنى بصلاة يومٍ أو صوم يومٍ أو ركعةٍ أو سجدة أو تسبيحةٍ اتقّيت عليها من إبليس أن يكون طَعن فيها طعنة فأفسدها ، ما استطعتُ .

وسمعت حبيباً يقول : لا تقعدوا فُرّاغاً فإن الموت يَليكم .

وعن جميل أبو على قال : قال حبيب : إن من سعادة المرء إذا مات ماتت معه ذنوبه .

وعن خلف بن الوليد قال اشترى حبيب الفارسى نفسه من ربه أربعَ مرات بأربعين ألف درهم . أخرج بدْرة [(١)] فقال : يارب اشتريت منك نفسى بهذه ثم أخرج بدرة أخرى فقال : إلهى إن كنت قبلت تلك فهذه شُكرٌ لها ، ثم أخرج الثالثة فقال إليه : إن كنت لم تقبل الأولى والثانية فأقبل هذه . ثم أخرج الرابعة فقال : إلهى إن كنت قبلت الثالثة فهذه شكرٌ لها .

---

(١) البدرة : كيس يتسع لعشرة آلاف درهم .

وعن أحمد بن أبى الحوارى قال : سمعت أبا سليمان الدارانى يقول : كان حبيب أبو محمد يأخذ متاعاً من التجار يتصدق به فأخذ مرة فلم يجد شيئاً يعطيهم فقال : يارب كأنه . أى ينكسر وجهى « عندهم » فدخل فإذا هو بجوالق [1] من شعر كأنه نُصب من أرض البيت إلى قريب السقف مملوءاً دراهم فقال : يارب ليس . أريد هذا ، فأخذ حاجته وترك البقية .

وعن مسلم بن إبراهيم قال : إن رجلاً أتى حبيباً أبا محمد فقال : إن لى عليك ثلاثة مائة درهم قال : من أين ؟ قال : لى عليك ثلاث مائة درهم . قال حبيب : اذهب إلى غد . فلما كان من الليل توضأ وصلّى وقال : اللهم إنْ كان صادقاً فأدّ إليه وإن كان كاذباً فابتله فى بدنه . قال : فجيء بالرّجل من غد قد حُمل وقد ضرب شِقّه الفالجُ . فقال : ما لك ؟ قال : أنا الذى جئتك بالأمس لم يكن لى عليك شئ وإنما قلت يستحى من الناس فُيعطينى . فقال له : تعود ؟ قال : اللهم إن كان صادقاً فألبسه العافية . فقام الرجل على الأرض كأن لم يكن به شئ .

عن السرى بن يحيى قال : اشترى أبو محمد حبيب طعاماً فى مجاعة أصابت الناس فقسمه على المساكين ثم خاط أكيسة فجعلها تحت فراشه ثم دعا الله فجاء أصحاب الطعام يتقاضونه فاخرج تلك الأكيسة فإذا هى مملوءة دراهم فوزنها فإذا هى حقوقهم فدفعها إليهم .

عن حماد قال : شهدت حبيباً الفارسى يوماً فجاءته امرأة فقالت يا أبا محمد كأنها طلبت منه شيئاً . فقال لها : كم لك من العيال ؟ فقالت : كذا

---

(١) الجوالق : هو وعاء .

وكذا . فقام حبيب أبو محمد إلى وضوئه فتوضأ ثم جاء إلى مصلاه فصلى بخضوع وسكون فلما فرغ قال : يارب إن الناس يحسنون ظنهم بى وذاك من سترك علىّ فلا تخلف ظنهم بى ، ثم رفع حصيره فإذا بخمسين درهماً فأعطاه إياها . ثم قال : يا حماد اكتم ما رأيت حياتى [(١)] .

وعن عبد الواحد بن زيد قال : كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد . فجاء رجل فكلّم مالكاً فأغلظ فى قسمة قسمها وقال : وضعتَها فى غير حقها وتتبعت بها أهل مجلسك ومن يغشاك لتكثُر غاشيتُك [(٢)] وتصرفَ وجوه الناس إليك . قال : فبكى مالك وقال : والله ما أردتَ هذا . قال : بلى والله لقد أردت هذا . فجعل مالك يبكى والرجل يُغلظ له . فلما كثر ذلك عليهم رفع حبيب يديه إلى السماء ثم قال : اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرِحْنا منه كيف شئت . قال : فسقط ، والله ، الرجل على وجهه ميتاً فحُمل إلى أهله على سرير ، وكان يقال : إن أبا محمد مُستجاب الدعوة .

وعن أبو قرة محمد بن ثابت قال : قال حبيب أبو محمد . لا قُرّة عَينٍ لمن لم تقرّ عينُه ، ولا فرحَ لمن لم يفرح بك . وعزّتك إنك لتعلم أنى أحبّك .

وعن عبيد الله بن محمد التيمى قال : أصحابنا قالوا : كان حبيب أبو محمد يخلوا فى بيته ويقول : من لم تقرّ عينه بك فلا قرّتْ ، ومن لم يأنس بلا فلا أنس .

---

(١) أى ما دمت حياً ، مدة حياتى .
(٢) من يلتف حوله من الناس ويغشونه ، أى لتكثر الناس حولك .

وعن إسماعيل بن زكريا ، وكان جاراً لحبيب أبى محمد ، قال : كنت إذا أمسيت سمعت بكاءه ، وإذا أصبحت سمعت بكاءه . فأتيت أهله فقلت : ما شأنه ؟ يبكى إذا أمسى ويبكى إذا أصبح . قال : فقالت لى : يخاف – والله – إذا أمسى أن لا يصبح ، وإذا أصبح أن لا يُمسى .

وعن أبو زكريا قال : قالت امرأة حبيب أبى محمد . كان يقول : إن متُ اليوم فأرسل إلى فلان يغسلنى وافعلى كذا واصنعى كذا . فقيل لامرأته أرأى رؤيا ؟ قالت : هذا يقوله كلّ يوم .

عن عبد الواحد بن زيد أن حبيباً أبا محمد جزع جزعاً شديداً عند الموت فجعل يقول بالفارسية . أريد أن أسافر سفراً ما سافرته قطّ ، أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط ، أريد أن أزور سيدى ومولاى وما رأيته قط ، أريد أن أشرف على أهوالٍ ما شاهدت مثلها قطّ ، أريد أن أدخل تحت التراب فأبقى تحته إلى يوم القيامة ، ثم أوقف بين يدى الله فأخاف أن يقول لى : ياحبيب هات تسبيحة واحدة سبّحتنى فى ستين سنة لم يظفر بك الشيطان فيها بشئ ، فماذا أقول وليس لى حيلة أقول : يارب هو ذا قد أتيت مقبوض اليدين إلى عنقى .

قال عبد الواحد : هذا عبد الله ستين سنة مشتغلاً به ولم يشتغل من الدنيا بشئ قط فأىُّ شئ حالنا ؟ واغَوْثاه بالله .

محمد بن واسع بن جابر

يكنى أبا عبد الله شبابة قال : أخبرنى موسى بن بشار قال : صحبت محمد بن واسع من مكة إلى البصرة فكان يصلى الليل أجمع ، يصلى فى المحمل جالساً يومئ برأسه إيماءً وكان يأمر الحادى يكون خلفه ويرفع صوته حتى لا يفطن له وكان ربما عرس من الليل [١] فينزل فيصلى فإذا أصبح أيقظ أصحابه .

وعن عبد الملك بن قريب قال : حدثنى نسيب لهشام القردوسى قال : قال رجل : دخلنا على محمد بن واسع فقالت عِلْجة فى داره فذكرت كلمات بالأعجمية معنها : هذا رجل إذا جاء الليل لو كان قتل أهل الدنيا ما زاد .

وعن عبد الواحد بن زيد قال : شهدت حوشباً جاء إلى مالك بن دينار ، فقال : يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن منادياً يقول : يا أيها الناس ، الرحيلَ الرحيلَ . فما رأيت أحداً يرتحل إلا محمد بن واسع . قال : فصاح مالك صيحة وخرّ مغشياً عليه .

قال مضر : كان الحسن يُسمِّى محمدَ بن واسع زين [٢] القرآن .

وعن مخلد قال : كان محمد بن واسع مع قتيبة بن مسلم فى جيش ، وكان صاحب خراسان ، وكانت الترك خرجت إليهم فبعث إلى المسجد ينظر من فيه ؟ فقيل له ليس فيه إلا محمد بن واسع رافعاً إصبعه فقال قتيبة : إصبعه

---

(١) نزل ليستريح ، التعريس : نزول القوم فى السفر من آخر الليل يقفون للاستراحة ثم يرتحلون .
(٢) الزين : ضد الشين .

تلك أحبّ إلىّ من ثلاثين ألف عنان [١] .

وعن جعفر قال :كنت إذا وجدت من قلبى قسوة نظرت إلى وجه محمد بن واسع نظرة ، وكنت إذا رأيت وجه محمد بن واسع حسبت أن وجهه وجه ثكلى .

وعن علىّ بن بزيع الهلالى قال : قال مطر الوراق : ما اشتهيت أن أبكى قطّ حتى أشتفىء إلا نظرت إلى وجه محمد بن واسع ، وكنت إذا نظرت إلى وجهه كأنه ثَكِلَ عشرة [٢] من الحزن .

عن ابن شوذب قال : كان إذا قيل : من أفشل أهل البصرة ؟ قالوا : محمد بن واسع ولم يكن يُرى كثير عبادة وكان يلبس قميصاً بصرياً وساجاً وكان له عَلية فإذا كان الليل دخل ثم أغلقها عليها .

عن يونس قال : سمعت محمد بن واسع يقول : لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا منى ، من نتن ريحى .

وعن الحارث بن نبهان قال : سمعت بن واسع يقول : واصحاباه ، ذهب أصحابى ، فقلت : يرحمك الله أليس قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون فى سبيل الله عز وجل ؟ قال : بلى ولكن أخّ وتُفْل ، أفسدهم العُجْب .

عن عبد العزيز بن أبى روّاد قال : رأيت فى يد محمد بن واسع قرْحَة فكأنه رأى ما شقّ علىّ منها فقال : تدرى ما لله علىّ فى هذه القرحة من نعمة ؟

---

(١) العنان : يعنى الفرس .
(٢) أى فقد عشرة أولاد .

قال : فسكت . فقال : حيث لم يجعلها على حدقتى ولا طرف لسانى ولا على طرف ذكرى . قال : فهانت عليّ قرحته .

عن ابن شوذب قال : قسم أمير البصرة على أهل البصرة ، فبعث إلى مالك بن دينار فقبل ، وأتاه محمد بن واسع فقال : يا مالك قبلت جوائز السلطان قال : فقال : يا أبا بكر سل جلسائى فقالوا : يا أبا بكر اشترى بها رقاباً فأعتقهم ، فقال له محمد بن واسع : أنشدك الله أقلبك الساعة له على ما كان قبل أن يجيزك قال : اللهم لا . قال : ترى أى شئ دخل عليك ؟ فقال مالك لجلسائه ؟ إنما مالك حمار ، إنما يُعبد الله مثل مُحمد بن واسع .

عن ليث بن أبى سليم عن محمد بن واسع قال : إذا أقبل العبد بقلبه إلى الله عز وجل أقبل الله عز وجل إليه بقلوب المؤمنين .

وعن سليمان التيمى : ما أحدٌ أحب إليّ أن ألقى الله عز وجل بمثل صحيفته إلا محمد بن واسع .

وعن حماد بن زيد قال : دخلنا على محمد بن واسع نعوده فى مرضه فجاء يحيى البكّاء يستأذن فقالوا : يحيى البكّاء فقال : إن شر أيامكم يوم نسبتم إليّ البكاء .

وعن عمران بن خالد قال : سمعت محمد بن واسع يقول : إنْ كان الرجل ليبكى عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض قال : قال مالك بن دينار : إنى لأغبطُ الرجل يكون عيشة كفافاً فيقنع به ، فقال محمد بن واسع : أغبط والله عندى من ذلك أن يصبح جائعاً ويمسى جائعاً وهو عن الله عز وجل راضٍ .

وعن محمد بن عبد الله الزرّاد قال : رأى محمد بن واسع ابناً له وهو يخطر بيده فقال : ويحك تعالَ، تدرى من أنت ؟ أمُك اشتريتها بمائتى درهم ، وأبوك فلا أكثر الله فى المسلمين مثله تمشى هذه المشية ؟ .

وعن محمد بن مهزم قال:كان محمد بن واسع يصوم الدهر ويخُفى ذلك .

وعن حيان بن يسار قال : قال محمد بن واسع : اللهم إن كان أخلَقَ وجهِى كثرةُ ذنوبى فهبنى لمن أحببت من خلقك .

وعن ابن سلام قال : قال محمد بن واسع : ما آسى من الدنيا إلا على ثلاث : صاحب إذا اعوججتُ قوّمنى ، وصلاة فى جماعة يُحمل عنّى سهوُها وأفوز بفضلها ، وقوت من الدنيا ليس لأحدٍ فيه منّة ولا لله عز وجل فيه تبعة .

وعن زياد بن الربيع ، عن أبيه قال : رأيت محمد بن واسع بسوق مَرْوٌ [1] يعرض حماراً له على البيع . فقال له رجل : أترضاه لى ؟ قال : لو رضيته لك لم أبعه.

وعن قاسم الخواص قال : قال محمد بن واسع لرجل : أبكاك قطْ سابق علم الله عز وجل فيك ؟ .

وعن أبو عامر قال : حدثنى صاحب لنا قال : لما ثقل محمد بن واسع كثر الناس عليه فى العبادة . قال : فدخلت فإذا قومٌ قيام وآخرون قُعود . فأقبل علىّ فقال : أخبرنى ما يُغنى هؤلاء عنّى إذا أُخذ بناصيتى وقدمى غداً وأُلقيتُ فى النار ؟ ثم تلا هذه الآية ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ (٤١) ﴾ [2] .

---

(١) مروه : مدينة مشهورة فى خراسان .

(٢) سورة الرحمن الآية « ٤١ » .

وعن يونس بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن واسع نعوده فقال : ما يغني عنّي ما يقول الناس إذا أُخذ بيدى ورجلى فأُلقيتُ فى النار ؟ .

عن حزمٍ قال : قال محمد بن واسع وهو فى الموت : يا إخوتاه تدرون أين يُذهب بى ؟ يُذهب بى ، والله الذى لا إله إلا هو ، إلى النار أو يعفو عنى .

وعن محمد بن عبد الله ، مولى الثقفيين ، قال : دخلنا على محمد بن واسع وهو يقضى ، فقال : يا إخوتى ، يا إخوتاه هبونى وإياكم سألنا الله الرجعة فأعطاكموها ومنعنيها فلا تخسروا أنفسكم .

ثابت بن مسلم البنانى

يكنى أبا محمد عن بكر بن عبد الله قال : من سرّه أن ينظر إلى أعبدِ رجلٍ أدركناه فى زمانــه فلينظر إلى ثابت البنانى ، فما أدركنا الذى هو أعبدُ منه ، تراه فى يوم معمعانى بعيد ما بين الطرفين [(١)] يظلّ صائماً ويراوح ما بين جبينه وقدمه .

وعن عمرو بن محمد بن أبى رزين قال : قال ثابت البنانى : كابدت الصلاة عشرين سنة وتنعّمت بها عشرين سنة .

عن سلام بن مسكين قال : أنبأ ثابت قال : ما دعا الله عز وجلّ المؤمن بدعوة إلا وكلّ بحاجته جبرائيل عليه السلام فيقول : لا تعجل بإجابته فإنى أحب أن أسمع صوت عبدى المؤمن ، وإن الفاجر يدعو الله عز وجل فيوكلّ جبرائيل بحاجته فيقول يا جبرائيل أعجل إجابة دعوته فإنى أحب أن لا أسمع صوت عبدى الفاجر .

وعن جعفر قال : أنبأ ثابت البنانى عن رجل من العبّاد أنه قال يوماً لإخوانه : إنى لأعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ؟ قال : ففزعوا من ذلك فقالوا : تعلم حين يذكرك ربّك ؟ قال : نعم ، قالوا : متى ؟ قال : إذا ذكرته ذكرنى . قال : وإنى لأعلم حين يستجيب لى ربى عز وجل . قال : فعجبوا من قوله . قالوا : تعلم حين يستجيب لك ربك ؟ قال : نعم . قالوا : وكيف تعلم ذلك ؟ قال : إذا وجِل قلبى واقشعرّ جلدى وافاضت عينى وفُتح لى فى الدعاء فثمّ أعلم أن قد استُجيب لى .

---

(١) شديد الحر والطول .

عن شعبة قال : كان ثابت البنانى يقرأ القرآن فى كل يوم وليلة ويصوم الدهر .

وعن جعفر بن سليمان قال : حدثنا ثابت البنانى قال : كان رجل من العبّاد يقول : إذا أنا نمت ثم استيقظت ثم أردت أن أعود إلى النوم فلا أنام الله عينى إذاً . قال جعفر : كنا نراه يعنى نفسه .

وعن حميد قال : كنا نأتى أنس بن مالك ومعنا ثابت ، فكلّما مرّ بمسجد صلّى فيه فكنا نأتى أنَساً فيقول : أين ثابت ؟ أين ثابت ؟ إن ثابتاً دُوبَّة أحبّها .

قال عبد الله : وحدثنى أبى قال : بلغنى أن أنساً قال لثابت : ما أشبه عينك بعينىْ رسول الله ﷺ قال : فما زال يبكى حتى عمِشتْ عيناه .

وعن جعفر بن سليمان قال : اشتكى ثابت البنانى عينه فقال له الطبيب: اضمن لى خصلةً تبرأ عينُك وما هى ؟ قال : لا تبك قال : وما خيرٌ فى عين لا تبكى ؟ .

عن حماد بن زيد قال : رأيت ثابتاً البنانى يبكى حتى تختلف أضلاعه .

عن هشام قال : ما رأيت قطّ أصبَر على طول القيام والسهر من ثابت البنانى ، صحبناه مرة إلى مكة فكنّا إن نزلنا ليلاً فهو قائم يصلّى وإلا فمتى شئت أن تراه أو تحس به مستيقظاً ونحن نسير إما باكياً وإما تالياً .

عن مبارك بن فضالة قال : كان ثابت البنانى يقوم الليل ويصوم النهار . وكان يقول : ماشيىء أجده فى قلبى ألذ عندى من قيام الليل .

وعن جعفر قال : سمعت ثابتاً يقول : ما تركت فى المسجد الجامع ساريةً إلا وقد ختمت القرآن عندها وبكيت عندها .

وعن جعفر قال : أخبرنا محمد بن ثابت البنانى قال : ذهبت ألقّن أبى وهو فى الموت فقلت : يا أبة قل لا إله إلا الله . فقال : يا بنىّ خلٍّ عنى فإنى فى وردى السادس أو السابع .

العلاء بن زياد بن مطر العدوى

عن أوفهم بن دلهمَ قال : كان للعلاء بن زياد مال ورقيق فأعتق بعضهم وباع بعضهم وأمسك غلاماً أو اثنين يأكل غلّتهما فتعبد فكان يأكل كلّ يوم رغيفين ، وترك مجالسة الناس فلم يكن يجالس أحداً ، يصليّ فى جماعة ثم يرجع إلى أهله ويجمع ثم يرجع إلى أهله ، ويشيع الجنازة ويعود المرضى ، ثم يرجع إلى أهله فطفئ فبلغ ذلك إخوانه فاجتمعوا فأتاه أنس بن مالك والحسن والناس وقالوا : رحمة الله أهلكت نفسك لا يسعك هذا . فكلموه وهو ساكت حتى إذا فرغوا من كلامهم قال : إنما أتذلّل لله عز وجل لعله يرحمنى .

عن حميد بن هلال قال : دخلت مع الحسن على العلاء بن زياد العدوى نعوده وقد سلّه الحزن ، وكانت له أخت يقال لها شادة تندف تحته القطن غدوةً وعشية . فقال له الحسن : كيف أنت يا علاء ؟ فقال : واحزناه على الحزن . فقال الحسن : قوموا ، فإلى هذا والله انتهى استقلال الحزن .

وعن هشام بن زياد ، أخو العلاء بن زياد ، قال : كان العلاء بن زياد يُحيى كل ليلة جمعة . قال : وجد ليلةً فترة [1] فقال : لامرأته أسماء : إنى أجد فترة فإذا مضى كذا وكذا ، فأيقظينى . قالت : نعم . فأتاه آتٍ فى منامه فأخذ بناصيته فقال : يا بن زياد قم فاذكر الله عز وجل يذكرك . قال : فقام فما زالت تلك الشّعرات التى أخذ بها منه قائمة حتى الموت .

وعن قتادة ، عن العلاء بن زياد قال : إنما نحن قوم وضعنا أنفسنا فى النار

(١) ضعفاً فى الجسم أو انكساراً .

، فإن شاء الله أن يُخرجنا منها أخرجنا .

عن قتادة قال : حدثنا العلاء بن زياد أن رجلاً كان يُرائى بعمله فجعل يشمّر ثيابه ويرفع صوته إذا قرأ فجعل لا يأتى على أحدٍ إلا سبّه ولعنه . ثم رزقه الله تعالى يقيناً بعد ذلك فخفض من صوته وجل صلاته فيما بينه وبين ربه عز وجل ، فجعل لا يأتى بعد ذلك على أحد إلا دعا له بخير .

عن قتادة قال : كان العلاء بن زياد يقول : ليُنْزِلْ أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربّه عز وجل فأقاله فليعمل بطاعة الله عز وجل .

عن قتادة قال : كان زياد بن مطر العدوى قد بكى حتى عمى ، وبكى ابنه العلاء بن زياد بعده حتى عَشِىَ بصره ، وكان إذا أراد أن يتكلم أو يقرأ أجهَشه البكاء .

محمد بن سيرين

يكنى أبا بكر ، مولى أنس بن مالك كاتبه أنس ، وقال ابن عائشة : كان سيرين من أهل جَرْجَرَايا [١] وكان يعمل قُدور النحاس ، فجاء إلى عين التمر[٢] يعمل بها فسباه خالد بن الوليد .

عن عبيد الله بن أبي بكر بن أنس بن مالك قال : هذه مكاتبة سيرين عندنا : هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه شيرون على كذا وكذا ألفاً ، وعلى غلامين يعملان عليه .

وعن بكار بن محمد قال : حدثني أبي أن أم محمد بن سيرين صفيّة مولاة أبي بكر بن أبي قحافة طيّبها ثلاث من أزواج رسول الله ﷺ ودعوته لها ، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدرياً منهم أُبيّ ابن كعب يدعو ، وهم يؤمنون .

قال بكار : وأنبأ ابن عون قال : كان محمد بن سيرين إذا حدّث كأنه يتقي شيئاً ، كأنه يحذر شيئاً .

وعن جرير بن حازم قال : سمعت محمد بن سرين يحدث رجلاً فقال : ما رأيتُ الرجل الأسود ، ثم قال : أستغفر الله ما أراني إلا قد اغتبتُ الرجل .

عن ابن عون قال : كانوا إذا ذكروا عند محمد رجلاً بسيئة ذكره محمد بأحسن ما يعلم .

---

(١) بلد من أعمال النهروان ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي ، وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء .

(٢) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة .

وعن طوق بن وهب قال : دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت . فقال: كأني أراك شاكياً . قلت : أجل . قال : اذهب إلى فلان الطيب فاستوصفه . ثم قال : اذهب إلى فلان فإنه أطب منه . ثم قال : أستغفر الله أراني قد اغتبته .

وعن عاصم الأحوال قال : سمعت مورقاً العجلي يقول : ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين .

قال : وقال أبو قلابة : اصرفوه حيث شئتم فلتجدُنه أشدّكم ورعاً وأملكَكم لنفسه .

عن أيوب قال : قال أبو قلابة : وأيّنا يطيق ما يطيق محمد بن سيرين ؟ يركب مثل حدّ السنان .

وعن أبو عوانة قال : رأيت محمد بن سيرين يمر في السوق فيكبّر الناس .

قال خلف : كان محمد بن سيرين قد أعطى هدياً وسمْتاً وخشوعاً فكان الناس إذا رأوه ذكروا الله .

وعن بسطام بن مسلم قال : كان محمد بن سيرين إذا مشى معه رجل قام وقال : ألك حاجة ؟ فإن كان له حاجة قضاها . فإن عاد يمشي معه قام فقال له : ألك حاجة ؟ .

عن عاصم قال : لم يكن ابن سيرين يترك أحداً يمشي معه .

وعن حماد عن حبيب عن ابن سيرين قال : إذا أراد الله عز وجل بعبدٍ خيراً جعل له واعظاً من قلبه يأمره وينهاه .

وعن ابن عون قال : سمعت محمداً يقول في شئ راجعته فيه : إني لم

أقل لك ليس به بأس ، إنما قلت لك لا أعلم به بأساً .

وعن الأشعث قال : كان محمد بن سيرين إذا سئل عن شئ من الفقه ، الحلال والحرام ، تغيّر لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذى كان .

وعن هشام قال : أوصى أنس بن مالك أن يغسله محمد بن سيرين ، فقيل له فى ذلك . وكان محبوساً . فقال : أنا محبوس . قالوا : قد استأذنا الأمير فأذن لك فى ذلك . قال : فإن الأمير لم يحبسنى إنما حبسنى الذى له الحق . فأذن له صاحب الحق فخرج فغسّله .

وعن رجاء بن أبى سلمة قال : سمعت يونس بن عبيد يقول : أما ابن سيرين فإنه لم يعرض له أمران فى دينه إلا أخذ بأوثقهما .

وعن هشام عن ابن سيرين أنه اشترى بيعاً فأشرف فيه على ثمانين ألفاً فعرض فى قلبه منه شئ فتركه . قال هشام : والله ما هو بربا .

عن السرى بن يحيى قال : لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفاً فى شئ دخله .

قال سرى : فسمعت سليمان التيمى يقول : لقد تركه فى شئ ما يختلف فيه أحد من العلماء .

وعن سعيد بن عامر قال : سمعت هشام بن حسان يقول : ترك محمد بن سيرين أربعين ألف درهم فى شئ ما ترون به اليوم بأساً .

وعن هشام بن حسان يذكره قال : كان ابن سيرين إذا دُعِىَ إلى وليمة أو إلى عرس يدخل منزله فيقول : اسقونى شربة سَوِيق . فيقال له يا أبا بكر أنت تذهب إلى الوليمة أو العرس تشرب سويقاً ؟ فيقول : إنى أكره أن أحمل حدّ

جوعى على طعام الناس .

عن ابن شوذب قال : كان ابن سيرين يصوم يوماً ويفطر يوماً وكان اليوم الذى يفطر فيه يتغذّى ولا يتعشى ، ثم يتسحّر ويصبح صائماً .

وعن موسى بن المغيرة قال : رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يكبّر ويسبّح ويذكر الله عز وجل . فقال له رجل : يا أبا بكر فى هذه الساعة ؟ قال : إنها ساعة غفلة .

وعن هشام بن حسان ، عن حفصة بنت سيرين قالت : كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تخشّعاً لها .

وعن ابن عون قال : دخل رجل على محمد وهو عند أمه فقال : ما شأن محمد ؟ يشتكى شيئاً ؟ فقالوا : لا ولكن هكذا يكون إذا كان عند أمه .

وعن الربيع ، عن ابن سيرين قال : ظُلْمٌ لأخيك أن تذكر منه أسوأ ما تعلم وتكتمِ خيره .

وعن ابن عون قال : أرسل ابن هبيرة إلى ابن سيرين فأتاه فقال له : كيف تركت أهل مِصْرك ؟ قال تركتهم والظلم فيهم فاشٍ .

قال ابن عون : كان محمد يرى أنها شهادة يُسأل عنها فكَرِهَ أن يكتمها .

وعن جعفر بن مرزوق قال : بعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبى . قال : فدخلوا عليه فقال لابن سيرين : يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربت من بابنا ؟ قال : رأيت ظلماً فاشياً . قال : فغمزه ابن أخيه بمنكبه ، فالتفت إليه ابن سيرين فقال ابن سيرين : إنك لست تسأل إنما أسأل أنا . فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف ، وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف ، وإلى الشعبى

بألفين . فأما ابن سيرين فلم يأخذها .

وعن جعفر بن أبى الصلت قال : قلت لمحمد بن سيرين : ما منعك أن تقبل من ابن هبيرة ؟ قال : فقال لى : يا أبا عبد الله ، أو يا هذا ، إنما أعطانى على خيرٍ كان يظنه بى ، ولئن كنت كما ظن بى فما ينبغى لى أن أقبل ، وإن لم أكن كما ظن فبالحرِىّ أن لا يجوز لى أن أقبل .

وعن عمير بن رئاب ، عن ابن سيرين قال : العزلة عبادة .

وعن ابن عون قال : كان لابن سيرين منازل لا يكريها إلا من أهل الذمة . فقيل له فى ذلك : إذا جاء رأس الشهر رُعتُه وأكره أن أُروع [1] مسلماً .

وعن عبيد الله بن السرى قال : قال ابن سيرين : إنى لأعرف الذنب الذى حُمل به علىّ الدَّيْنُ ماهو . قلت لرجل منذ أربعين سنة : يامفلس فحدثت به أبا سليمان الدّارانى فقال : قلّتْ ذنوبهم فعرفوا من أين يؤتون ، وكثرت ذنوبى وذنوبك فليس ندرى من أين نؤتى ؟ .

وعن عاصم الأحول قال : كان عامة كلام ابن سيرين : سبحان الله العظيم سبحان الله وبحمده .

وعن هشام بن حسان قال : ربما سمعت بكاء محمد بن سيرين فى جوف الليل وهو يصلّى .

وعن أنس بن سيرين قال : كان لمحمد بن سيرين سبعة أوراد يقرؤها بالليل ، فإذا فاته منها شئ قرأه من النهار .

وعن هشام قال : كان ابن سيرين يحيى الليل فى رمضان .

---

(١) أى أفزعه .

وعن دُهيَرى قال : كان ابن سيرين إذا ذكر الموت مات كلّ عضو منه على حِدَته .

وعن مهدى قال : كنا نجلس إلى محمد فيحدثنا ونحدثه ويكثر إلينا ونكثر إليه فإذا ذكر الموت تغيّر لونه واصفرّ وأنكرناه وكأنه ليس بالذى كان .

وعن ابن عون أن محمد بن سيرين كان إذا نام وجه نفسه .

أبىّ قال : كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا قال : اتّق الله عز وجل فى اليقظة ولا يضرك ما رأيت فى المنام .

وعن بشر بن عمر قال : حدثتنا أم عباد ، امرأة هشام بن حسان قالت: نُـزولا (١) مع محمد ابن سيرين فى الدار ، فكنا نسمع بكاءه بالليل وضحكه بالنهار .

وعن الصقر : يعنى ابن حبيب ، قال : مرّ ابن سيرين برآسٍ (٢) قد أخرج رأساً فغشى عليه .

عن حبيب بن الشهيد قال : كنت أنا وأيوب السختيانى عند عمر بن دينار فحلف ما رأى أحداً أفضل من طاوس . فقال أيوب : لو رأى ابن سيرين لم يحلف .

---

(١) فى رواية نزلنا .
(٢) بائع الرؤوس .

بكر بن عبد اللـه المزنىّ

عن كنانة بن جبلة السلمى قال : قال بكر بن عبد الله : إذا رأيت من هو أكبر منك فقل : هذا سبقنى بالإيمان والعمل الصالح فهو خير منى ، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل : سبقتُه إلى الذنوب والمعاصى فهو خير منى ، وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظّمونك فقل : هذا فضل أخذوا به ، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل : هذا ذنْب أحدثتُه .

عن صالح المرّى قال : وقف مطرف بن عبد الله بن الشخير ، وبكر بن عبد الله المزنى بعرفة فقال مطرف : اللهم لا تردهم اليوم من أجلى ، وقال بكر : ما أشرفه من مقام وأرجاه لأجله لولا أنى فيهم .

عن معاوية بن عبد الكريم ، عن بكر بن عبد الله قال : كان الرجل من بنى إسرائيل إذا بلغ المبلغ فمشى فى الناس تظلّه غمامة . قال : فمرّ رجل قد أظلّته على رجلٍ فأعظمه لمّا رآه لما آتاه الله عز وجل .

قال : فاحتقره صاحب الغمامة ، أو قال كلمة نحوها ، فأمرت أن تتحوّل من رأسه إلى رأس الذى عظّم أمر الله عز وجل .

وعن حميد قال : كان بكر مجاب الدعوة .

وعن إبراهيم بن عيسى قال : قال بكر بن عبد الله المزنى : من مثلك يا بن آدم ؟ خلّى بينك وبين المحراب والماء ؟ كلما شئت دخلت على الله عز وجل ليس بينك وبينه ترجمان .

وعن حصين عن بكر بن عبد الله المزنى قال : لا يكون العبد تقياً حتى

يكون تقىٌّ الطمع ، تقىٌّ الغضب .

وعن المفضل بن غسان عن أبيه قال : قال بكر بن عبد الله : إذا رأيتم الرجل موكّلاً بعيوب الناس ناسياً لعيبه فاعلموا أنه قد مُكِرَ به [1] .

وعن مسمع بن عاصم قال : حدثنى رجل من آل عصام الجحدرى قال : رأيت عاصماً الجحدرى بعد موته بسنتين فقلت : أليس قَدْ مِتَّ ؟ قال : بلى . فقلت : أين أنت ؟ قال : أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفرٌ من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزنى فنتلاقى فى أخباركم . قال : قلت أجسامكم أم أرواحكم ؟ قال : هيهات بليت الأجسام وإنما تتلاقى الأرواح .

(١) مكر الرجل ، ومكر به : خدعه .

حفصه بنت سيرين

عن عاصم الأحول قال : كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقّبتْ به فنقول لها : رحمك الله قال الله : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ (١) . وهو الجلباب . قال فتقول لنا : أيُّ شيءٍ بعد ذلك ؟ فنقول : ﴿ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ﴾ (٢) . فتقول هو إثبات الجلباب .

وعن هشام بن حسان قال : كانت حفصة تقول لنا : يا معشر الشباب خُذوا من أنفسكم وأنتم شباب فإنى ما رأيت العمل إلا فى الشباب .

وقال : قرأتْ القرآن وهى ابنة اثنتى عشرة سنةً وماتت وهى ابنة تسعين .

وعن هشام أن حفصة كانت تدخل فى مسجدها فتصلِّى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ثم لا تزال فيه حتى يرتفع النهارُ وتركعِ ثم تخرج فيكون عند ذلك وضوءها ونومها ، حتى إذا حضرت الصلاةُ عادت إلى مسجدها إلى مثلها .

وعن مهدى بن ميمون قال : مكثتْ حفصة فى مصلاها ثلاثين سنةً لا تخرج إلا لحاجة أو لِقَائِلَةٍ .

وعن هشام ابن سيرين كان إذا أُشْكل عليه شئٌ من القراءة قال اذهبوا فسلوا حفصة كيف تقرأ .

---

(١) سورة النور الآية « ٦٠ » .
(٢) سورة النور الآية « ٦٠ » .

وعن هشام بن حسان . قال كان الهُذَيْل بن حَفْصة يجمع الحطب فى الصيف فيَقْشُره ويأخذ القصب ، فيفْلقه قالت حفصة : وكنت أجد قرّةً فكان إذا جاء الشتاء جاء بالكانون فيضعه خلفى وأنا فى مصلاى ثم يقعد فيوقد بذلك الحطب المقشر وذاك القصب المفلّق وقُوداً لا يؤذى دخانه ويُدفئنى . نمكث بذلك ماشاء الله . قالت : وعنده من يكفيه لو أراد ذلك .

قالت : وربما أردت أنصرف إليه فأقول يابنى ارجع إلى أهلك ثم أذكر ما يريد فأدعه (*) .

قالت حفصة : فلما مات رزق الله عليه من الصبر ماشاء أن يُرْزَقَ غير أنى كنت أجد غُصّةً لا تذهب . قالت فبينما أنا ذات ليلة أقرأ سورة النحل إذ أتيت على هذه الآية ﴿ وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾ (١) قالت : فأعدتُها فأذهب الله ما كنت أجد .

قال هشام : وكانت له لِقْحة (٢) قالت حفصة : كان يبعث إلىّ بحَلْبةٍ بالغداة فأقول : يابنى إنك لتعلم أن لا أشربه ، أنا صائمة .

فيقول : يا أُمَ الهذيل إن أطيب اللّبن مابات فى ضروع الإبل ، أسقيه من شئتِ .

عن هِشام بن حسان قال : اشترت حفْصة جارية أظنها سنديْة فقيل لها : كيف رأيتَ مولاتَك ؟ فذكر إبراهيم كلاماً بالفارسية تفسيرُه أَنها امرأة صالحة

(*) أى أنها تعلم أنه ما يفعل ذلك إلا طلباً للأجر من الله فى بره لها .
(١) سورة النحل الآيات « ٩٥ - ٩٦ » .
(٢) اللقحة « بكسر فسكون » : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

إلا أنها أذنبت ذنباً عظيماً فهى الليل كله تبكى وتصلّى .

وعن عبد الكريم بن معاوية قال : ذُكر لى عن حفصة أنها كانت تقرأ نصف القرآن فى كل ليلةٍ وكانت تصوم الدهر وتفطر العيدين وأيام التشريق .

وعن هشام بن حسان قال : قد رأيتُ الحسنَ وابن سيرين وما رأيت أحداً أرى أنه أعقل من حفصة .

عن هشام بن حفصة قال : كان لها كفنٌ مُعَدٌّ فإذا حجت وأحرمت لبسته وكانت إذا كانت العشر الأواخر من رمضان قامت من الليل فلبسته .

وعن هشامٍ قال : حدثتنى أم سليم بنت سيرين قالت : ربما نُوِّر لحفصة بنت سيرين بيتها .

عن هشام قال : كانت حفصة بنت سيرين تُسْرِجُ سِراجها من الليل ثم تقوم فى مصلاها فربما طفىءَ السراجُ فيُضىءَ لها البيت حتى تصبح .

منيبة البصرية وابنتها

عن أبو عيَّاشٍ القطَّان قال : كانت امرأة بالبصرة متعبِّدَة يقال لها مُنيبة ، وكانت لها ابنة أشد عبادةً منها ، فكان الحسن ربما رآها وتعجب من عبادتها على حداثتها .

فبينا الحسن ذات يوم جالس إذْ آتاه آتٍ فقال : أما علمت أن الجارية قد نزل بها الموت فوثب الحسن فدخل عليها فلما نظرت الجارية إليه بكت . فقال لها يا حبيبتي ما يبكيك ؟ قالــت له : يا أبا سعيــد التراب يُحثَى على شبابي ولم أشبعْ من طاعة ربِّي ، يا أبا سعيــد انظر إلى والــدتي وهي تقول لوالدي : احفر لابنتي قبراً واسعاً وكفنها بكفنٍ حسن ، والله لو كنتُ أجهَّز إلى مكة لطال بكائــي ، وكيف وأنا أجهَّز إلى ظُلْمة القبور ووحشتها وبيت الظلمة والدود ؟

رابعـة العدويـة

عن عبد الله بن عيسى قال : دخلت على رابعة العدوية بيتها فرأيتُ على وجهها النور وكانت كثيرة البكاء فقرأ رجلٌ عندها آية من القرآن فيها ذكر النار فصاحت ثم سقطتْ .

ودخلت عليها وهي جالسة علي قطعة بُورى خلَقَ فتكلّم رجل عندها بشئ فجعلتُ اسمع وقْع دموعها على البُورى مثل الوَكْف ، ثم اضطربت وصاحت فقمنا وخرجنا

وعن مِسمَع بن عاصم ورياح القيْسى قالا : شهدنا رابعة وقد أتاها رجل بأربعين ديناراً فقال لها : تستعينين بها على بعض حوائجك . فبكت ثم رفعت رأسها إلى السماء فقالت : هو يعلم أن استحيى منه أن أسأله الدنيا وهو يملكها ، فكيف أريد أن آخذها ممن لا يملكها ؟ .

وعن محمد بن عمرو قال : دخلت على رابعة وكانت عجوزاً كبيرة بنت ثمانين سنة كأنها الشَن (١) تكاد تسقط ، ورأيت في بيتها كَراخةُ بوارى (٢) ومِشْجب (٣) قصب فارسى طوله من الأرض قدْر ذراعيْن . وستر البيت جلد وربما كان بُورياً ، وحُبٌ (٤) .وكوز ولِبْد هو فراشها وهو مصلاها . وكان لها مشجب من قصب عليه أكفانها وكانت إذا ذَكرت الموت انتفضت وأصابتها رعْدةٌ وإذا مرت بقوم عرفوا فيها العبادة .

وقال لها رجل : ادْعِي فالتصقت بحائط وقالت : من أنا يرحمك الله ؟

---

(١) القربة البالية الصغيرة .
(٢) أى قطعة من الحصير شقت مستطيلة .
(٣) ما تعلق عليه الثياب ، ويكون من خشب ونحوه .
(٤) الحب « بضم الحاء » : الجرة الكبيرة أو الخابية .

أطع ربك وادعه فإنه يُجيب المضطرين .

وعن سجف بن منظور قال : دخلتُ على رابعة وهى ساجدة فلما أحسَّت بمكانى رفعت رأسها فإذا موضعُ سجودِها كهيئة الماء المستنقع من دموعها . فسلَّمت فأقبلت علىّ فقالت : يابنى ألك حاجة ؟ فقلت جئت لأسلم عليك قال : فبكتْ وقالت : سترك اللهم سترك ، ودعت بدعوات ثم قامت إلى الصلاة وانصرفتُ .

وعن العباد بن الوليد قال : قالت رابعة : أستغفر الله منْ قلَّة صدقى فى قولى : أستغفر الله .

وعن أزهر بن مروان قال : دخل على رابعة رياح القيسىّ ، وصالح ابن عبد الجليل ، وكلاب ، فتذكروا الدنيا فأقبلوا يذمّونها فقالت رابعة : إنى لأرى الدنيا بترابيعها [(١)] فى قلوبكم . قالوا : ومن أين توهَّمتِ علينا ؟ قالت : إنكم نظرتم إلى أقرب الأشياء من قلوبكم فتكلَّمتم فيه .

وعن أبو جعفر المدينى ، عن شيخ من قريش قال : قيل لرابعة : هل عملت عملاً ترين أن يُقبل منك ؟ قالت : إن كان فمخافتى أن يرد على .

وعن جعفر بن سليمان قال : أخذ بيدى سُفيان الثورى وقال مُرّ بنا إلى المؤدبة التى لا أجد من أستريح إليه إذا فارقتُها . فلما دخلنا عليها رفع سُفيان يده وقال : اللهم إنى أسألك السلامة فبكت رابعة فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : أنت عرضتنى للبكاء . فقال : وكيف ؟ قالت : أما علمت أن السلامة من الدنيا ترك ما فيها فكيف وأنت متلطِّخ بها ؟ .

وقال الثورى بين يدى رابعة : واحُزْناه . فقالت : لا تكذب . قل : واقِلَّة

---

(١) بجهاتها الأربع وكل ما فيها .

حُزْناه . ولو كنت مَحْزوناً ما هناك العيشُ .

وعن جعفر بن سليمان قال : سمعتُ رابعة تقول لسفيان : إنما أنت أيام معدودة ، فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك ، ويُوشك إذا ذهب البعض أن يذهب الكلّ وأنت تعلم ، فاعمل .

وعن عبيس بن مرحوم العطار قال : حدثتنى عبدة بنت أبى شوال، وكانت من خيار إماءِ الله ، وكانت تخدم رابعة ، قالت : كانت رابعة تصلِّى الليل كله فإذا طلع الفجر هجعت فى مُصلاها هَجْعةً خفيفةً حتى يُسْفِرَ الفجر ، فكنت أسمعها تقول : إذا وثبت من مرقِدها ذلك وهى فزعة : يانفس كم تنامين؟ وإلى كم تقومين؟ يوشك أن تنامى نومة لا تقومين منها إلا لصرخةِ يوم النشور.

وذكر رياح القيسى قال : كنت اختلفت إلى شُميط أنا ورابعة ، فقالت مرة: تعال ياغلام ، وأخذت بيدى ، ودعت الله ، فإذا جرة خضراء مملوءة عسلاً أبيض ، فقالت : كل ، فهذا والله لم تحوه بطون النحل ففزعت من ذلك وقمنا وتركناه .

قال الذهبى فى سير أعلام النبلاء : قال أبو سعيد بن الأعرابى : أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة ، وحكى عنها سفيان وشُعبة ، وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها وقد تمثلته بهذا :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثنى وأبحت جسمى من أراد جلوس

فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت وإلى الإباحة بتمامه ، قلت : فهذا غلو ، وجهل ولعل من نسبها إلى ذلك مُباحى حلولى ليحتج بها على كفرة كاحتجاجهم بخبر : [**كنت سمعه الذى يسمع به**] (١)

---

(١) **صحيح** : رواه البخارى .

أبو حازم سلمة بن دينار الأعرج

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال : ما رأيت أحداً الحكمةُ إلى فيه أقربُ من أبى حازم .

وعن سفيان قال : قيل لأبى حازم ما مالُك ؟ قال : ثقتى بالله عز وجل ويأسى مما فى أيدى الناس .

وعن ثوابة بن رافع قال : قال أبو حازم : ما مضى من الدنيا فحُلْم وما بقى فأمانى .

وعن محمد مطرف قال : ثنا [*] أبو حازم قال : لا يُحْسِن عبد فيما بينه وبين الله إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد ، ولا يُعْوِر فيما بينه وبين الله عز وجل إلا أعورَ [1] فيما بينه وبين العباد ، ولمصانعة وجهٍ واحدٍ أيسرُ من مصانعة الوجوه كلّها ، إنك إذا صانعت هذا الوجه مالت الوجوه كلها إليك ، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنفتْك الوجوه [2] كلها .

وعن عمر بن سعيد بن حسين عن أبى حازم قال : إذا رأيت الله عز وجل يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره .

وعن محمد بن عبيد قال : أخبرنا بعض أهل الحجاز قال : قال أبو حازم : كلّ نعمة لا تقربّ من الله عز وجل فهى بليّة .

وعن أبى معشر قال : رأيت أبا حازم لم يقصّ فى المسجد ويبكى ويمسح

(*) معناها حدثنا . وهذا مصطلح يستخدمه علماء الحديث للإختصار .
(١) أعور : بدت عورته . يقال : عور الراعى الغنم ، عرضها للضياع والتلف .
(٢) أبغضتك ونظرت إليك كالمعترضة .

بدموعه وجهه . فقلت : يا أبا حازم لم تفعل هذا ؟ قال : بلغنى أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله تعالى .

وعن سفيان قال : قال أبو حازم : ينبغى للمؤمن أن يكون أشدّ حفظاً للسانه منه لموضع قدميه .

وعن سعيد بن عامر قال : قال أبو حازم نعمة الله فيما زوى [١] عنى من الدنيا أفضل من نعمته فيما أعطانى منها .

وقال أبو حازم : إن وُقِينا ما أُعطينا لم نبال ما فاتنا .

وقال ابن عيينة : قال أبو حازم : إن كان يُغنيك من الدنيا ما يكفيك فأدنى عيشٍ من الدنيا يكفيك ، وإن كان لا يُغنيك ما يكفيك فليس شئ يكفيك .

وعن عبد الجبار بن عبد العزيز بن أبى حازم قال : حدثنى أبى قال : بعث سليمان بن عبد الملك إلى أبى حازم فجاءه فقال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال : لأنكم أخربتم آخرتكم وعمرتم دنياكم فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب . قال : صدقت ، فكيف القدوم على الله عز وجل ؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ،وأما المسئ فكالآبق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله يا أبا حازم ؟ قال : اعرض نفسك على كتاب الله عز وجل فإنك تعلم مالك عند الله قال : يا أبا حازم وأنى أصيب ذلك ؟ قال : عند قوله : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [٢] فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟ قال : ﴿ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [٣]

---

(١) زوى الشيئ : أبعده .
(٢) سورة الانفطار الآية « ١٤ » .
(٣) سورة الأعراف الآية « ٥٦ » .

قال : ما تقول فيما نحن ؟ قال : أعفنى عن هذا . قال سليمان : نصيحة تلقيها . قال أبو حازم : إن أناساً أخذوا هذا الأمر عنوةً من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماعٍ من رأيهم فسفَكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعرى ما قالوا وما قيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ . قال أبو حازم ؟كذبت ، إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننُه للناس ولا يكتمونه . قال سليمان : اصحبنا يا أبا حازم تصب منا ونصب منك قال : أعوذ بالله من ذلك . قال : ولم ؟ قال : أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً فيذيقنى ضعف الحياة وضعف الممات . قال : فأشر على ، قال : اتق الله أن يراك حيث نهاك ، وأن يفقدك حيث أمرك . قال : يا أبا حازم ادع لنا بخير . قال : اللهم إن كان سليمان وليك فيسره للخير ، وإن كان عدوك فخذ إلى الخير بناصيته . فقـال : يا غلام هات مائة دينار . ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال: لا حاجة لى فيها إنى أخاف أن يكون لما سمعت من كلامى .

وعن محمد بن إسحاق الموصلى قال : قال أبو حازم : إن بضاعة الآخرة كاسدة فاستكثروا منها فى أوان كسادها فإنه لو جاء يوم نفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا إلى كثير .

وقال ابن أبى الحوارى : وسمعت مروان بن محمد يقول : قال أبو حازم : ويحك يا أعرجُ يدعى يوم القيامة بأهل خطيئةِ كذا وكذا فتقوم معهم ، ثم يُدعى بأهل خطيئة كذا وكذا فتقوم معهم .

وعن عبد الرحمن بن جرير قال : سمعت أبا حازم يقول : عند تصحيح الضمائر تُغفر الكبائر ، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أتته الفتوح .

وعن محمد بن مطرف قال : قال أبو حازم : ما فى الدنيا شئ يسرّك إلا

وقد ألزق به شئ يسوءك .

وعن سعيد بن عبد الرحمن عن أبى حازم قال : إن العبد ليعمل الحسنةَ تسرّه حين يعملها وما خلق الله من سيئة هى عليه أضرّ منها ، وإن العبد ليعمل السيئة ثم تسوءه حين يعملها ، وما خلق الله عز وجل من حسنة أنفع له منها ، وذلك أن العبد حين يعمل الحسنة يتجبّر فيها ويرى أن له فضلاً على غيره ، ولعل الله عز وجل يُحبطها ويُحبط معها عملاً كثيراً ، وإن العبد ليعمل السيئة تسوءه ولعل الله عز وجل يُحدث له فيها وجلاً فيلقى الله وإن خوفها لفى جوفه باقٍ .

وعن عون بن جرير قال : سمعت أبى يقول : كان أبو حازم يمرّ على الفاكهة فيقول : موعدُك الجنة .

وعن جُويرية بن أسماء قال : مر أبو حازم بجزّار فقال : يا أبا حازمٍ خذ من هذا اللحم فإنه سمين . قال: ليس معى درهم : قال أنظِرُك . قال : أنا أنظِر نفسى .

وعن الفضل قال : قال حازم المدينى : وجدت الدنيا شيئين : فشئ منها هو لى فلن أعجّله قبل أجلِه ولو طلبته بقوة السموات والأرض ، وشئ منها هو لغيرى فلم أنله فيما مضى ، ولا أرجوه فيما بقى ، ويُمنع الذى لى من غيرى كما يُمنع الذى لغيرى منى ، ففى أى هذين أفنى عمرى ؟ ووجدت ما أُعطيت من الدنيا شيئين فشئ يأتى أجله قبل أجلى فأُغلَب عليه ، وشئ يأتى أجلى قبل أجله فأموت وأخلّفه لمن بعدى ، ففى أى هذين أعصى ربى عز وجل ؟ .

وعن حفص بن ميسرة قال : قال أبو حازم : عجباً لقوم يعملون لدارٍ يرحلون عنها كل يوم مرحلة ، ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كل يوم مرحلة !.

وعن ابن عُيينة قال أبو حازم : إنى لأعظ وما أرى له موضعاً وما أُريد إلا نفسى . وقال لو أن أحدكم قيل له ضع ثوبك على هذا الهوف حتى يرمى لقال : ما كنتُ لأُخرق ثوبى ، وهو يخرق دينه . وحلف أبو حازم لجلسائه : لو وددت أن أحدكم يُبقى على دينه كما يُبقى على نعله .

وعن فضيل بن عياض قال : قال أبو حازم : اضْمنوا لى اثنين أضمن لكم الجنة : عملاً بما تكرهون إذا أحبّه الله تعالى ، وتركِ ما تحبون إذا كرهه الله عز وجل .

وعن يعقوب بن عبد الرحمن قال : سمعت أبا حازم يقول : يسيرَ الدنيا يشغل عن كثير من الآخرة . وقال : ما أحببت أن يكون معك فى الآخرة فقدّمه اليوم ، وما كرهت أن يكون معك فى الآخرة فاتركه اليوم .

وقال : كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرّك متى متّ . وقال : إنك لتجد الرجل يعمل بالمعاصى فإذا قيل له : أتحب أن تموت ؟ قال : ويقول : وكيف ؟ وعندى ما عندى . فيقال له : أفلا تترك ما تعمل من المعاصى ؟ فيقول : ما أريد تركه وما أحب أن أموت حتى أتركه .

وقال : شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة : لا أطوّل عليك . قيل : وما هما أبا حازم ؟ قال : تحمل ما تكره إذا أحبّه الله ، وتترك ما تحب إذا كرهه الله .

وعن محمد بن يحيى المازنى قال : قال أبو حازم : رضىَ الناس من العمل بالعلم ومن الفعل بالقول .

جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين

يكنى أبا عبد الله . أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق كان مغشولاً بالعبادة عن حبّ الرياسة .

وعن عمرو بن أبى المقدام قال : كنت إذا نظرت إلى جعفر بن محمد علمت أنه من سُلالة النبيين .

وعن مالك بن أنس قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثورى : ياسفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله عز وجل قال فى كتابه : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [(١)] وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال فى كتابه : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ ﴾ [(٢)] يعنى فى الدنيا ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴾ [(٣)] فى الآخرة ياسفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول [**لا حول ولا قوة إلا بالله**] فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة .

وعن أبى حازم قال : كنت عند جعفر بن محمد إذ جاءه آذنه فقال : سفيان الثورى بالباب . فقال : ائذن له . فدخل فقال جعفر : ياسفيان : إنك رجل يطلبك السلطان وأنا أتّقى السطان ، قم فاخرج غير مطرود . فقال

---

(١) سورة إبراهيم عليه السلام الآية « ٧ » .
(٢) سورة نوح عليه السلام الآيات من « ١٠ - ١٢ » .
(٣) سورة نوح عليه السلام الآية « ١٢ » .

سفيان : حدّثني حتى أسمع وأقوم . فقال جعفر : حدّثني أبى عن جدى أن رسول الله ﷺ قال : [**من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله ، ومن حزبه أمر فليقل : لا حول ولا قوة إلا بالله**] (١) .
فلما قام سفيان قال جعفر : خذها ياسفيان ثلاث وأىّ ثلاث .

وعن الهياج بن بسطام قال : كان جعفر بن محمد يُطعم حتى لا يبقى لعياله شئ .

وعن يحيى بن الفرات قال : قال جعفر بن محمد لسفيان الثورى لا يتم المعروف إلا بثلاثة : بتعجيله وتصغيره وستَرِه .

وسئل جعفر بن محمد لِمَ حرّم الله الربا ؟ قال : لئلا يتمانع الناس المعروف .

وعن بعض أصحاب جعفر الصادق قال : دخلت على جعفر وموسى بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فكان مما حفظت منها أنْ قال : يا بنى أقبل وصيتى واحفظ مقالتى فإنك إن حفظّتها تعش سعيداً وتمت حميداً ، يابنى إنه من قنع بما قسم الله له استغنى ، ومن مدّ عينه إلى ما فى يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسم الله عز وجل له اتهم الله تعالى فى قضائه ، ومن استصغر زلّة نفسه استعصم زلة غيره ، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه . يا بنى من كشف حجاب غيره انكشفت عورات بيته ، ومن سلّ سيف البغى قتل به . ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حُقّر ، ومن خالط العلماء وُقّر ، ومن دخل مداخل السوء اُتهم . يابنى قل الحق لك

(١) الحديث حسن : أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان .

وعليك . وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء فى قلوب الرجال ، يابنى إذا طلبت الجود فعليك بمعادِنه .

وعن أحمد بن عمرو بن المقدام الرازى قال : وقع الذباب على المنصور فذّبه عنه ، فعاد فذّبه حتى أضجره . فدخل جعفر بن محمد فقال له المنصور : يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله عز وجل الذباب ؟ قال : لِيُذِلّ به الجبابرة .

وعن الحسن بن سعيد اللخْمى عن جعفر بن محمد قال : من لم يغضب من الجفوة لم يشكر النعمة .

وعن الحرمازى قال : ان رجل من أهل السواد يلزم جعفر بن محمد ففقده فسأل عنه فقال له رجل : إنه نَبطى يريد أن يضع منه فقال جعفر : أصل الرجل عقله ، وحسنُه دينه ، وكرمه تقواه ، والناس فى آدم مستوون .

وعن سفيان الثورى قال : سمعت جعفر بن محمد الصادق يقول : عزت السلامة حتى لقد خفى مطلبها ، فإن تكن فى شئ فيوشك أن تكون فى الخمول ، فإن طُلبت فى الخمول ولم توجد فيوشك أن تكون فى التخلى ، وليس كالخمول ، فإن طُلبت فى التخلى ولم توجد فيوشك أن تكون فى الصمت وليس كالتخلى ، فإن طُلبت فى الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون فى كلام السلف الصالح ، والسعيدُ من وجد فى نفسه خلوة يشتغل بها .

وعن عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه ولم يحفظ على الدعاء وبعضه عن غيره قال : حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال : ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعباً ، قتلنى الله إن لم أقتله . فتغافل عنه الربيع لينساه . ثم أعاد ذكره للربيع وقال : أرسل إليه من يأتى به متعباً فتشاغل عنه . ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة فى جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل .

فلما أتاه قال له : يا أبا عبد الله اذكر الله فإنه قد أرسل إليك التى لا سِوى لها قال جعفر : لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم اعلم أبا جعفر حضوره . فلما دخل أوعده وقال : أىْ عدّو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد فى سلطانى وتبغيه الغوائل ؟ قتلنى الله إن لم أقتلك . فقال : يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى الشكر ، وإن أيوب ابتُلى فصبر ، وإن يوسف ظُلم فغفَر ، وأنت من ذلك السِّنْخ فقال له أبو جعفر : إلىّ وعندى ، أبا عبد الله ، البرئ الساحة . السليم الناحية ، القليل الغائلة ، جزاك الله من ذى رحمِ أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم .

ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه ثم قال : علىَّ بالمنجَفة [(١)] فأتى بُدهن فيه غالية [(٢)] فغفله بيده حتى خلتُ لحيته قاطرة [(٣)] . ثم قال : فى حفظ الله وفى كلاءته . ثم قال : ياربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته ، انصرف أبا عبد الله فى حفظ الله وفى كنفه ، فانصرف ولحقتُه فقلت له : إنى قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ، ورأيت بعد ذلك ما قدر رأيت ، فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت ؟ قال : قلت اللهم احرسْنى بعينك التى لا تنام ، واكنُفنى بركنك الذى لا يُرامّ واغفر لى بقُدرتك علىّ لا أهلك وأنت رجائى . اللهم إنك أكبر وأجلّ ممن أخاف وأحذر ، اللهم بك أدفع فى نحره وأستعيذ بك من شرّه .

وعن الليث بن سعد قال : حججت سنة ثلاث عشرة ومائة فأتيت مكة

---

(١) قيل : القفة أو الجراب أو الوعاء الواسع الأسفل والجواب .
(٢) الغالية : أخلاط من الطيب .
(٣) قطر الدمع والماء : وسال وسقط قطرة قطرة .

فلما أن صليت العصر رقيت أبا قُبيس [١] فإذا أنا برجل جالس وهو يدعو فقال : يارب يارب . حتى انقطع نفسه . ثم قال : ياربّاه . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يارب . حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا الله يا الله حتى انقطع نفسه . ثم قال : يا حيّ ياحيّ . حتى انقطع نفسه . ثم قال: يارحيم حتى انقطع نفسه. ثم قال : يا أرحم الراحمين . حتى انقطع نفسه . سمع مرات . ثم قال : اللهم إنى أشتهى من العنب فأطعمنيه . اللهم إن بُردىّ قد أخلقا قال الليث : فوالله ما استتمّ كلامه حتى نظرتُ إلى سلّة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذ عنب ، وبردين موضوعين ، فأراد أن يأكل فقلت : أنا شريكك ، فقال لى : تقدم وكلِ ولا تأخذ منه شيئاً . فتقدمت فأكلت شيئاً لم آكل مثله قطٌّ وإذا عنب لا عَجَم [٢] له فأكلت حتى شبعت ، والسلّة بحالها . ثم قال لى : خذ أحب البُردين إليك فقلت له : أما البُردين فأنا غنّى عنهما . فقال لى : توار عنى حتى ألبسهما . فتواريت عنه فارتدى أحدهما وائتزر الآخر . ثم أخذ البُردين اللذين كانا عليه فجعلهما على عاتقه فنزل فاتبعته حتى إذا كان بالمسعى لقيه رجل فقال : اكسنى كساك الله يا ابن رسول الله . فدفعهما إليه . فلحقتُ بالرجل فقلت له من هذا ؟ قال : جعفر قال : بن محمد . قال الليث : فطلبته لأسمع منه فلم أجده .

---

(١) أبو قبيس : جبل مشرف على مكة شرقاً .
(٢) العجم : النوى .

عطاء بن أبى رباح

واسم أبى رباح أسلم ، وكان عطاء من مولدّى الجند نشأ بمكة وهو مولى آل أبى ميسرة الفهرى . وكان عطاء يكنى أبا محمد .

عن أبى عبد الله يعنى أحمد بن حنبل قال : العلم خزائن يقسم الله لمن أحب ، ولو كان يُخصّ بالعلم أحدٌ لكان بيت النبى ﷺ أولى ، وكان عطاء بن أبى رباح حبشياً وكان يزيد بن أبى حبيب نوبياً أسود وكان الحسن مولى للأنصار وكان ابن سيرين مولى للأنصار .

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربى : كان عطاء بن أبى رباح عبداً أسود لامرأة من أهل مكة وكان أنفه كأنه باقلاّة (١) قال : وجاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين إلى عطاء هو وابناه فجلسوا إليه وهو يصلى فلما صلى انتفل إليهم فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج وقد حوّل قفاه إليهم . ثم قال سليمان لابنيه : قُوما فقاما فقال : يا ابنىّ لاتنيا فى طلب العلم فإنى لا أنسى ذلّنا بين يدى هذا العبد الأسود .

وعن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحداً يريد بهذا العلم وجه الله عز وجل غير هؤلاء الثلاثة عطاء وطاوس ومجاهد .

وعن ابن جريج قال : كان المسجد فراش عطاء بن أبى رباح عشرين سنة .

وعن عمر بن ذر قال : ما رأيت مثل عطاء قط وما رأيت على عطاء قميصاً ولا رأيت عليه ثوباً يساوى خمسة دراهم .

---

(١) البلاقاة : واحد الباقلاء والباقلى ، وهو الفول .

وعن اسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يطيل الصمت فإذا تكلم يخيل إلينا أنه يؤيد ، وعن عمرو بن سعيد عن أمه قالت : قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال : أتجمعون لى يا أهل مكة المسائل وفيكم ابن أبى رباح ؟ .

وعن عبد الله بن إبراهيم عن عمرو بن كيسان قال : أخبرنى أبى قال : أذكرهم فى زمان بنى أمية يأمرون فى الحاج صائحاً يصيح لا يفتى الناس إلا عطاء بن أبى رباح ، فإن لم يكن عطاء فعبد الله بن أبى نجيح .

وعن الأوزاعى قال : ما رأيت أحداً أخشع لله من عطاء ولا أطول حزناً من يحيى بن أبى كثير.

وعن يعلى بن عبيد قال : دخلنا على محمد بن سوقة فقال : أحدثكم بحديث لعله أن ينفعكم فإنه قد نفعنى ثم قال : قال لنا عطاء بن أبى رباح يا بنى أخى إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضوله ما عدا كتاب الله عز وجل أن تقرأه وتأمر بمعروف أو تنهى عن منكر أو تنطق بحاجتك فى معيشك التى لا بد لك منها . أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين ، عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ؟ أما يستحى أحدكم أن لو نشرَت عليه صحيفته التى أملّ [١] صدر نهاره فإن أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه .

وعن ابن جريج قال : كان عطاء بعدما كبر وضعف يقوم إلى الصلاة فيقرأ مائتى آية من البقرة وهو قائم ما يزول منه شئ ولا يتحرك .

---

(١) أمل الصحيفة ، أملاها .

وعن ابن عيينة قال : قلت لابن جريح : ما رأيت مصلّياً مثلك . قال لو رأيت عطاء .

وعن معاذ بن سعيد قال : كنا عند عطاء بن أبى رباح فتحدث رجل بحديث فاعترض له آخر فى حديثه فقال عطاء : سبحان الله ما هذه الأخلاق ما هذه الأخلاق ؟ إنى لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أنى لا أحسن منه شيئاً .

وعن عثمان بن الأسود قال : قلت لعطاء : الرجل يمرّ بالقوم فيقذفه بعضهم ، أيخبره ؟ قال لا المجالس بالأمانة .

وعن ابن أبى ليلى قال : حجّ عطاء سبعين حجة وعاش مائة سنة .

وهيب بن الورد بن أبى الورد

مولى بنى مخزوم ، يكنى أبا أمية ، وقيل أبا عثمان ، وكان اسمه عبد الوهاب فصغر فقيل وهيب .

عن سفيان بن عيينة عن وهيب بن الورد قال : بينا أنا واقف فى بطن الوادى إذا أنا برجل قد أخذ بمنكبى فقال : يا وهيب خف الله لقدرته عليك واستحى منه لقربه منك . قال : فالتفتّ فلم أر أحداً .

وعن أحمد بن عبيد بن ناصح قال : قال يوسف بن أسباط : عن القعقاع ابن عمارة ، عن وهيب المكى قال : يقول الله عز وجل : [وعزّتى وجلالى وعظمتى ما من عبد آثر هواى على هواه إلا أقللت همومه ، وجمعت عليه ضيعته ، ونزعت الفقر من قلبه ، وجعلت الغنى بين عينيه ، واتّجرت له من وراء كل تاجر ، وعزّتى وعظمتى وجلالى ما من عبد آثر هواه على هواى إلا كثرت همومه ، وفرقت عليه ضيعته ، ونزعت الغنى من قلبه ، وجعلت الفقر بين عينيه ثم لم أبالى فى أىّ أوديتها هلك] .

وقال عبد الرحمن العراقى : قال وهيب بن الورد خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لى ذنباً فيما بينى وبينه ، ولا وصلنى إذا قطعته ، ولا ستر على عورة ، ولا أمنته إذا غضب ، فالاشتغال بهؤلاء حمق كبير .

وكان سفيان الثورى إذا حدث الناس فى المسجد الحرام وفرغ قال : قوموا إلى الطبيب ، يعنى وهيباً .

وعن ابن المبارك قال : ما جلست إلى أحد كان أنفع لى مجالسة من وهيب كان لا يأكل من الفواكة ، وكان إذا انقضت السنة وذهبت الفواكة

يكشف عن بطنه وينظر إليها ويقول : يا وهيب ما أرى بك بأساً ، ما أرى تركك الفواكة ضرَّك شيئاً .

وعن محمد بن مزاحم عن وهيب بن الورد قال : وجدت العزلة اللسان .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب بن الورد كان يقال الحكمة عشرة أجزاء ، فتسعة منها في الصمت والعاشرة عزلة الناس .

قال : فعالجت نفسي على الصمت فلم أجدني أضبط كل ما أريد منه ، فرأيت أن هذه الأجزاء العشرة عزلة الناس .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال : قال وهيب : عجباً للعالم كيف تجيبه دواعي قلبه إلى ارتياح الضحك وقد علم أن له في القيامة روعات ووقفات وفزعات ؟ ثم غُشي عليه .

وعنه قال : كانوا يرون الرؤيا لوهيب أنه من أهل الجنة فإذا أخبر بها اشتد بكاؤه وقال : قد خشيت أن يكون هذا من الشيطان .

وعن عبد الرزاق قال : سمعت وهيب بن الورد يقول : من عد كلامه من عمله قلّ كلامه .

وعن محمد بن يزيد بن خنيس قال: قال وهيب بن الورد لو أن علماءنا ، عفا الله عنا وعنهم ، نصحوا لله في عباده فقالوا : يا عباد الله اسمعوا ما نخبركم عن نبيكم ﷺ ، وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا فاعملوا به ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفَسْلَةَ (١) كانوا قد نصحوا لله في عباده ، ولكنهم يأبون إلا أن

(١) المسترذلة الرديئة . والفسل من الرجال : الرذل .

يجروا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه .

وعن عبد الله بن المبارك قال : قيل لوهيب بن الورد أيجد طعم العبادة من يعصى الله ؟ قال : لا ولا من يهم بالمعصية .

وعن جرير بن حازم عن وهيب قال : بلغنى أن موسى عليه السلام قال : يارب أخبرنى عن آية رضاك عن عبدك فأوحى الله تعالى إليه إذا رأيتنى أهيئ له طاعتى وأصرفه عن معصيتى فذاك آية رضاي عنه .

وعن محمد بن يزيد قال : سمع وهيباً يقول : ضُرب لعلماء السوء مثل فقيل : إنما مثل عالم السوء كمثل الحجَر فى الساقية فلا هو يشرب الماء ولا هو يخلىّ الماء إلى الشجر فيحيا به .

وعنه عن وهيب قال : بلغنا أن عيسى عليه السلام مر هو ورجل من حوارييّه بلص فى قلعة له فلما رآها اللص ألقى الله فى قلبه التوبة . قال : فقال فى نفسه : هذا عيسى بن مريم عليه السلام روح الله وكلمته ، وهذا فلان حواريه ، ومن أنت ياشقى ؟ لصّ بنى إسرائيل ، قطعت الطريق وأخذت الأموال وسفكت الدماء . ثم هبط إليهما تائباً نادماً على ما كان منه .

فلما لحقهما قال لنفسه : تريد أن تمشى معهما ؟ لست لذلك بأهل ، امش خلفهما كما يمشى الخطّاء المذهب مثلك ، قال : فالتفت إليه الحوارى فعرفه فقال فى نفسه : انظر إلى هذا الخبيث الشقىّ ومشيه وراءنا . قال : فاطلّع الله على ما فى قلوبهما ، من ندامته وتوبته ومن ازدراء الحوارىّ إياه وتفضيله نفسه عليه .

قال فأوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم أن مُرِ الحوارىّ ولص بنى إسرائيل أن يأتنفا العمل جميعاً : أما اللص فقد غفرت له ما قد

وتوبته ، وأما الحوارى فقد حبط عمله لعجبه بنفسه وازدرائه هذا التوّاب .

قال وهيب : وبلغنا أن الخبيث إبليس تبدّى ليحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له : إنى أريد أن أنصحك قال : كذبت أنت لا تنصحنى ولكن أخبرنى عن بنى آدم . قال : هم عندنا ثلاث أصناف : أما صنفٌ منهم فهم أشدّ الأصناف علينا . نُقبل حتى نفتنه ونستمكن منه ثم يفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شئ أدركنا منه ، ثم نعود له فيعود فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا ، فنحن من ذلك فى عناء .

وأما الصنف الآخر فهم بين أيدينا بمنزلة الكرة فى أيدى صبيانكم نتلقفهم كيف شئنا . فقد كفونا أنفسهم .

وأما الصنف الآخر فهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شئ . فقال له يحيى : على ذاك هل قدرت منى على شئ ؟ قال : لا إلا مرة واحدة فإنك قدّمت طعاماً تأكله فلم أزل أشهيه إليك حتى أكلت أكثر مما تريد . فنمت تلك الليلة ولم تقم إلى الصلاة كما كنت تقوم إليها .

وقال : فقال له يحيى لا جرم لا شبعتُ من طعام أبداً حتى أموت ، فقال له الخبيث : لا جرم لا نصحتُ آدمياً بعدك .

وعن محمد بن يزيد قال: رأيت وهيب بن الورد صلّى ذات يوم العيد فلما. انصرف الناس جعلوا يمرّون به فنظر إليهم ثم زفر ثم قال : لئن كان هؤلاء القوم أصبحوا مستيقنين أنه قد تُقُبِّل منهم شهرهم هذا لكان ينبغى لهم أن يكونوا مشاغيل بأداء الشكر عمّا هم فيه ، وإن كانت الأخرى لقد كان ينبغى لهم أن يصبحوا أشغل وأشغل .

ثم قال : كثيراً ما يأتيني من يسألني من إخواني فيقول : يا أبا أمية ، ما بلغك عمّن طاف سبعاً بهذا البيت ما له من الأجر ؟ فأقول : يغفر الله لنا ولكم بل سلُوا عما أوجب الله تعالى من أداء الشكر في طواف هذا السبع ورزقه إياه حين حرم غيره . قال : فيقولون إنا نرجوا فيقول وهيب : فلا والله ما رجا عبد قط حتى يخاف . ثم يقول كيف تجترئ أن ترجو رضا من لا يخاف غضبه ؟ إنما كان الراجي خليل الرحمن إذ يخبرك الله عز وجل عنه قال : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ﴾ (١) ثم قال : ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ ﴾ (٢) .

وعن علي بن أبي بكر قال : اشتهى وهيب لبناً فجاءته خالته به من شاةٍ لآل عيسى بن موسى . قال : فسألها عنه فأخبرته فأبى أن يأكله فقالت له : كلْ . فأبى . فعاودته وقالت له : إني أرجو إن أكلته أن يغفر الله لك أي باتباع شهوتي . فقال : ما أحب أني أكلتـه وإن الله تعالى غفر لي . فقالت : لِمَ ؟ قال : إني أكره أن أنال مغفرته بمعصية .

عن عمرو بن محمد بن أبي رزين قال : وسمعت وهيباً يقول : إن العبد ليصمت فيجتمع له لبّه .

وسمعته يقول لا يكن همّ أحدكم في كثرة العمل . ولكن ليكن همّه في إحكامه وتحسينه . فإن العبد قد يصلّي وهو يعصي الله في صلاته ، وقد يصوم وهو يعصي الله في صيامه .

---

(١) سورة البقرة الآية « ١٢٧ » .

(٢) سورة الشعراء الآية « ٨٢ » .

وعن مؤمل قال : سمعت وهيباً يقول : لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك ؟ حلال أم حرام ؟ .

وعن محمد بن يزيد عن وهيب قال : بلغنا والله أعلم ، أن موسى عليه السلام قال : يارب أوصنى . قال : أوصيك بى . قالها ثلاثاً : كلّ ذلك يقول : أوصيك بى حتى قال فى الآخرة : أوصيك بى ألا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتى على ما سواها ، فمن لم يفعل ذلك لم أرحمه ولم أزكّه .

وعن ابن المبارك ، عن وهيب قال : اتق أن تسُبّ إبليس فى العلانية وأنت صديقه فى السر .

وعن أبى صالح الجدى قال : صليت إلى جنب وهيب العصر . فلما صلى جعل يقول : اللهم إن كنت نقصتُ منها شيئاً أو قصرّتُ فيها فاغفر لى .

قال : فكأنه قد أذنب ذنباً عظيماً يستغفر منه .

عروة بن الزبير بن العوام

أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما .

عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال : يا بنى سلُونى فلقد تركت حتى كدت أنسى وأنى لأسأل عن الحديث فيفتح لى حديث يومى .

وعن أبى الزناد . قال : اجتمع فى الحِجْر [١] قوم فقالوا : تمنّوا . فقال : عروة : أنا أتمنى أن يؤخذ عنى العِلْم .

وعن الزهرى قال : كان عروة يتألف الناس على حديثه .

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال : قال عروة بن الزبير : رُبّ كلمة ذُلٍّ احتملتها أورثتنى عزاً طويلاً .

وعنه عن أبيه قال : إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات ، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها عنده أخوات ، فإن الحسنة تدل على أختها ، وإن السيئة تدل على أختها .

وعنه قال : قال عروة لبنيه : يا بنّى تعلموا فإنكم إن تكونوا صغار قوم عسى أن تكونوا كبارهم ، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل .

وعن ابن شوذب قال : كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرُّطَب ثلَم حائطه فيدخل الناس فيأكلون ويحملون . وكان إذا دخله ردّد هذه الآية فيه حتى يخرج منه ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [٢] حتى يخرج .

---

(١) الحجر « بكسر فسكون » اسم الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربى .
(٢) سورة الكهف الآية « ٣٩ » .

وكان عروه يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً فى المصحف ، ويقوم به الليل ، فما تركه إلا ليلة قُطعت رجله ثم عاود من الليلة المقبلة .

وعن هشام بن عروة قال : خرج أبى إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت فى رجله الأكلة (١) فقال له الوليد : يا أبا عبد الله أرى لك قطعها . قال : فقُطعت وإنه لصائم فما تضوّر (٢) وجهه . قال : ودخل ابنٌ له أكبر ولده اصطبله فرفسته دابّة فقتلته فما سمع من أبى فى ذلك شئ . حتى قدم المدينة فقال : اللهم إنه (كان لى بنون أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد) وكان لى أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لى ثلاثة فلك الحمد . وأيم الله لئن أخذت فلقد أبقيت ولئن ابتليت طالما عافيت .

وعن مسلمة بن محارب قال وقعت فى رجل عروة الأكلة ، وقطعت ولم يدع تلك الليلة ورده وقطعت ولم يُمسكه أحد .

العباس بن مزيد قال : أخبرنى أبى قال : قال أبو عمرو الأوزاعى خرجت فى بطنه قدمه يعنى عروة بشرة (٣) فترامى به بعد ذلك إلى أن نُشرت ساقه فقال لما نُشرت : اللهم إنك تعلم أنى لم أمش بها إلى حرامٍ قطّ أو إلى سوءٍ قطّ .

وعن نافع بن ذؤيب قال : لما قدم عروة بن الزبير على الوليد بن عبد الملك فخرج برجله الأكلة فبعث إليه يعنى الوليد بالأطباء فأجمع رأيهم على أن لم ينشروها قتلته فقال شأنكم بها قالوا : نسقيك شيئاً لئلا تحس بما نصنع بك قال : لا . شأنكم بها قال فنشروها بالمنشار فما حرك عضواً من عضو

(١) الأكلة : بفتح الهمزة وكسر الكاف : داء فى العضو يأتكل منه .
(٢) تضور الرجل : تأوى من وجع الضرب أو الجوع .
(٣) البثرة : خراج صغير .

وصبر ، فأما رأى القدم بأيديهم دعا بها فقلبها فى يده ثم قال أما والذى حملنى عليك أنه ليعلم أنى ما مشيت بك إلى حرام قط أو قال معصية .

وعن هشام بن عروة أنا أباه كان يسرد الصوم .

وعن مالك بن أنس قال رأى عروة رجلاً يصلى فخفف فدعاه وقال أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة أنى لأسأل الله تبارك وتعالى فى صلاة حتى أسأله الملح .

وعن هشام عن أبيه قال : إذا جعل أحدكم الله عز وجل شيئاً فلا يجعل له ما يستحى أن يجعله لكريمه فإن الله تبارك وتعالى أكرم الكرماء وأحق من اختير له .

هشام قال : كان أبى لا يفطر ولقد مات يوم مات وهو صائم .

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق
رحمه الله تعالى

عن يحيى بن سعيد قال : ما أدركنا أحداً بالمدينة نفضله على القاسم بن محمد .

وعن أيوب قال : رأيت على القاسم رداء قد صبغ بشيءٍ من زعفران ويدع مائة ألفٍ لم يتلجلج فى نفسه شئ منها .

وعنه قال : ما رأيت رجلاً أفضل من القاسم ولقد ترك مائة ألف وهى له حلال .

وعن مالك أن عمر بن عبد العزيز قال : لو كان لى من الأمر شئ لوليت القاسم بن محمد الخلافة .

وعن أبى الزناد قال : ما رأيت أحداً أعلم بالسنّة من القاسم بن محمد ، وكان الرجل لا يُعدّ رجلاً حتى يعرف السُّنة .

وعن أيوب قال : سمعت القاسم يُسأل بمِنى فيقول لا أدرى ، لا أعلم . فلما أكثرو عليه قال : والله لا نعلم كلّ ما تسألونا عنه ، ولو علمنا ما كتمناكم ولا حَلَّ لنا أن نكتمكم .

وعن يحيى بن سعيد قال سمعت القاسم يقول: ما نعلم كلّ ما نُسأل عنه ولأن يعيش الرجل جاهلاً بعد أن يعرف حق الله تعالى عليه خيراً له من أن يقول ما لا يعلم .

وعن محمد بن إسحاق قال : جاء أعرابى إلى القاسم بن محمد فقال : أنت أعلم أم سالم ؟ قال : ذاك منزلُ سالم لم يزده عليها ، حتى قام الأعرابى .

قال محمد بن إسحاق : كره أن يقول هو أعلم منى فيكذب ، أو يقول أنا أعلم منه فيزكى نفسه .

وعن أبى الزناد عن أبيه قال : ما كان القاسم يجيب إلا فى الشئ الظاهر .

وعن سفيان قال : اجتمعوا إلى القاسم بن محمد فى صدقة قسّمها ، قال وهو يصلى : فجعلوا يتكلمون فقال ابنه : إنكم اجتمعتم إلى رجل والله ما نال منها درهماً ولا دانقاً . قال : فأوجز القاسم ثم قال : يابنىّ قل فيما علمت . قال سفيان : صدق ابنه ولكنه أراد تأديبه فى النطق وحفظه .

عابدتان بغداديتان

بلغني أنه كان ببغداد رجل بزّار له ثروة فبينما هو في حانوته أقبلت إليه صبية فالتمست منه شيئاً تشتريه . فبينا هي تحادثه كشفت وجهها في خلال ذلك . فتحير وقال : قد والله تحيّرت مما رأيت . فقالت : ما جئت لأشترى شيئاً إنما لى أيام أتردّد إلى السوق ليقع بقلبى رجلٌ أتزوجه ، وقد وقعت أنت بقلبى ولى مال ، فهل لك في التزوّج ؟ فقال لها : لى ابنة عم وهى زوجتى ، وقد عاهدتها ألا أغيرها ، ولى منها ولد . فقالت : قد رضيت أن تجئ إلىّ في الأسبوع نوبتين ، فرضى ، وقام معها فعقد ومضى إلى منزلها فدخل بها .

ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته : إن بعض أصدقائى قد سألنى أن أكون الليلة عنده ، ومضى فبات عندها . وكان يمضى كلّ يوم بعد الظهر إليها .

فبقى على هذا ثمانية أشهر ، فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجارية لها : إذا خرج فانظرى أين يمضى ؟ فتبعته الجارية فجاء إلى الدكان فلما جاءت الظهر قام وتبعته الجارية وهو لا يدرى ، إلى أن دخل بيت تلك المرأة . فجاءت الجارية إلى الجيران فسألتهم لمن هذه الدار ؟ فقالوا : لصبية قد تزوجت برجل تاجرٍ بنزار . فعادت إلى سيدتها فأخبرتها فقالت لها : إياك أن يعلم بهذا أحد . ولم تُظهر لزوجها شيئاً .

فأقام الرجل تمام السنة ثم مرض ومات وخلّف ثمانية آلاف دينار فعمدت المرأة التى هى ابنة عمه إلى ما يستحقه الولد من التركة وهو سبعة آلاف دينار فأفردتها وقسّمت الألف الباقية نصفين وتركت النصف في كيس وقالت الجارية : خذى هذا الكيس واذهبى إلى بيت المرأة وأعلميها أن الرجل مات وقد

خلّف ثمانمائة آلاف دينار ، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه ، وبقيت ألف فقسمتها بينى وبينك وهذا حقك . وسلّميه إليها .

فمضت الجارية فطرقت عليها الباب ودخلت وأخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته وأعلمتها لحال فبكت وفتحت صندوقها وأخرجت منه رقعة وقالت للجارية : عُودى إلى سيدتك وسلمى عليها عنى وأعلميها أن الرجل طلقّنى وكتب لى براءة ، وردى عليها هذا المال فأنى ما أستحق فى تركته شيئاً .

بشر بن الحارث الحافى

يكنى أبا نصر . ولد فى سنة خمسين ومائة .

عن أيوب العطار قال : قال لى بشر بن الحارث الحافى : أحدثك عن بُدُوّ أمرى ؟ بينا أنا أمشى رأيت قرطاساً على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى، فنزلت إلى النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهماً فيه خمسة دوانق . فاشتريت بأربعة دوانيق [1] مسكاً وبدانق ماء ورد ، وجعلت أتتبع اسم الله تعالى وأطيّبه . ثم رجعت إلى منزلى فنمت فأتانى آت فى منامى فقال : يابشر كما طيبّت اسمى لأطيّبن اسمك ، وكما طهرته لأطهرن قلبك .

وعن محمد بن بشار قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : أنا ، لله ، عشت إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلم دينى .

وعن الحسين بن محمد البغدادى قال : سمعت أبى يقول : زرت بشر بن الحارث فقعدت معه ملياً ، فما زادنى على كلمة قال : ما اتقّى الله من أحب الشهرة ، وعن أحمد بن نصر قال : كنا قعوداً قدّام بشر بن الحارث نفسيْن . قال : فجاء الثالث فقام فدخل .

وعن أحمد بن الفتح قال : سمعت بشراً يقول : بعث إلى عاصم بن على بأبى زكريا الصفّار فقال : يا أبا نصر إن أبا الحسن يقرأ عليك السلام ويقول : قد اشتد شوقى إليك حتى لقد كدتُ أن آتيك من غير إذن فعلمت كراهيتّك لمجئ الرجال ، فإن رأيت أن تأذن لى فآتيك لأسلّم عليك ، فلعل الله أن ينفعنى

(١) الدانق : « بكسر النون وفتحها » : سدس الدرهم ، ويجمع على دوانق ودوانيق .

برؤيتك . قال : فقلت له : قد فهمت رسالة الشيخ فأبلغْه السلام وقل له : لا تأتنى فإن فى مجيئك إلىّ شهرة علىّ وعليك .

وعن أبى حفص عمر بن موسى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : لقد شهرنى ربّى فى الدنيا فليته لا يفضحنى فى القيامة . ما أقبح بمثلى يُظنُّ فىّ ظَنٌّ وأنا على خلافه ، إنما ينبغى لى أن أكون أكثر ما يُظَنّ بى أنى أكره الموت وما يكره الموت إلا مُريب ، ولولا أنى مريب لأىّ شيئ أكره الموت ؟ .

وقال أحمد بن الصلت : سمعت بشر بن الحارث يقول : غنيمةَ المؤمن غفلة الناس عنه وإخفاء مكانه عنهم .

وعن أبو بكر محمد بن الفياض قال : سمعت زُريقاً الدلال يقول : سمعت بشر بن الحارث يقول : اللهم استرْ واجعل تحت السّتر ما تحبّ ، فربما سترت على ما تكره . قال : ثم التفت إلىّ فقال : يا أخى بادِر بادِر فإن ساعات الليل والنهار تُذهب الأعمار .

وعنِ محمد بن يوسف الجوهرى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول يوم ماتت أخته : إن العبد إذا قصّر فى طاعة الله سلبه الله من يؤنسه .

وعن محمد بن قدامة قال : لقى بشر بن الحارث رجل سكران فجعل يقبله ويقول : ياسيدى يا أبا نصر ، ولا يدفعه بشر عن نفسه . فلما ولىّ تغرغرت عينا بشر وقال : رجل أحبَّ رجلاً على خيرٍ توهمه ، لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدرى ما حاله .

وقال رجل : رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر . فقلت : يا أبا نصر لعلك تشتهى من هذا شيئاً ؟ قال : لا ولكن نظرت فى هذا : إذا كان يُطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه .

عن يحيى بن عثمان قال : كنا لبشر بن الحارث فى كل يومٍ رغيف قال :

وقال لى بشر : كان لى سنّور فكنت إذا وضعت طعامى بين يدىّ جاءت فعيناها فى عينى فآكل وأرمى لها . قال : فقلت : إليكِ عنى تأكلين قوتى .

وعن الفتح بن شخرف قال : قال عمر ابن أخت بشر : سمعت خالى بشراً يقول لأمى : جوفى وجعٌ وخَواصرى تضرب علىّ .

عبد الله بن خبيق قال : رجل لبشر : مالى أراك مغموماً ؟ قال : مالى لا أكون مغموماً وأنا رجل مطلوب .

وعن أبى الحسن أحمد بن محمد الزعفرانى قال : سمعت أبى يحكى عن بشر أنه قال : ربما رفعت يدى فى الدّعاء فأردّها أو قال : فأستلّها . أقول : إنما يفعل هذا من له عنده وجه .

وعن الفتح بن شحرف قال : كنت جالساً عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة ، فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه ، فقال : اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أتكلم ، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن أسكت ، اللهم إنك تعلم أنى أخاف أن تأخذنى فيما بين السكوت والكلام .

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قال : دخل بشر علىّ ليلة من الليالى فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار ،و بقى كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له : فى ماذا تفكّرت طول الليلة ؟ قال : تفكرت فى بشر النصرانى ، وبشر اليهودى ، وبشر المجوسى ، ونفسى واسمى بشر . فقلت : مالذى سبق منك خَصك ؟ فتفكرّت فى تفضّله علىّ وحمدته على أن جعلنى من خاصته وألبسنى لباس أحبائه .

وعن أحمد بن نصر قال : سمعت بشراً يقول : يا مازنى ليت لا يكون حظّى من الله هذا الذى يقول الناس بشرْ بشرْ ، ورأيت أشفار عينيه قد ذهبت من البكاء . وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : لو

علمت أن رضاه أن أشدّ في رجلي حجراً ثم ألقى نفسي في البحر ، لفعلت .

وعن عباس بن دُهقان قال : قلت لبشر بن الحارث : أحب أن أخلو معك . قال : إذا شئت ، فبكرت يوماً فرأيته قد دخل قبةً فصلّى فيها أربع ركعات لا أحسن أن أصلى مثلها ، فسمعته يقول في سجوده : اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذلّ أحب إلي من الشرف ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحبّ إليّ من الغنى ، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنى لا أوثر على حبّك شيئاً فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء . فلما سمعني قال : اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن هذا ههنا لم أتكلّم .

وقال أحمد بن حنبل : والله إن بين أظهُركم رجلاً ما هو عندى بدون عامر بن عبد الله ، يعني بشر بن الحارث .

وعن أحمد بن عبد الله بن خالد قال : سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع فقال : أنا ؟ أستغفر الله لا يحلّ لي أن أتكلمّ في مسألة في الورع ، أنا آكل من غلّة بغداد .

لو كان بشر بن الحارث صلَح أن يجيبك عنه ، فإنه كان لا يأكل من غلّة بغداد ولا من طعام السّواد ، يصلح أن يتكلم في الورع .

وعن أبِى بكر أحمد بن عبد الرحمن المروزى قال : سمعت بشراً يقول : إن الجوع يصفّي الفؤاد ويورث العلم الدقيق . وسمعت بشراً يقول : طوبى لمن ترك شهوةً حاضرةً لموعد غيْب لم يره .

وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : حادثوا الآمال بقُرْب الآجال .

وعن أبى بكر الباقلاّوى قال : سمعت أبى يقول : سمعت بشر بن الحارث ونحن معه بباب حرب ، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال : الموتى داخل السور

أكثر منهم خارج السور .

وعن أحمد بن الصلت قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : ليس من المودة أن تحب ما يُبغض حبيبك .

وعن إبراهيم الحربى قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : بحسبك أن أقواماً موتى تحيا القلوب بذكرهم وأن أقواماً أحياء تعمى الأبصار بالنظر إليهم .

وعن عمرو بن موسى الأحوْل قال : سمعت بشراً يقول : يكون الرجل مرائياً فى حياته ، مرائياً بعد موته . قيل : كيف يكون مرائياً بعد موته ؟ قال : يحب أن يكثر الناس على جنازته .

وعن الحسن بن عمرو قال : سمعت بشر بن الحارث يقول : الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد . ثم قال : ذاك يَركب ويَرجع ويراه الناس ، وهذا يعطى سراً لا يراه إلا الله عز وجل .

وسمعت بشراً يقول : ما أقبح أن يُطلب العالم فيقال : هو بباب الأمير

وعن أبى عبد الله الأسدى قال : قال لى بشرّ الحافى يوماً :

قطع الليالى مع الأيام فى خلق ... والنوم تحت رُواق الهمّ والقلق
أحرى وأعذر لى من أن يقال غداً ... إنى التسمت الغنى من كفّ مختلق
قالوا : قنعت بذا ، قلت : القنوع غنىً ... ليس الغنى كثرةَ الأموال والورق
رضيت بالله فى عسرى وفى يسرى ... فلست أسلك إلا أوضح الطرق

وتوفى رحمه الله عشية الأربعاء لعشر بقين من ربيع الأول ، وقيل لعشر خلون من المحرّم ، سنة سبع وعشرين ومائتين ، وقد بلغ من العمر خمساً وسبعين سنة ، وقيل سبعاً وسبعين .

عن يحيى بن عبد الحميد الحمانى قال : رأيت أبا نصر التمار وعلى بن المدينى فى جنازة بشر بن الحارث يصيحان : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة . وذلك أن بشراً أخرجت جنازته بعد صلاة الصبح ولم يُجعل فى القبر إلا فى الليل ، وكان نهاراً صائفاً ولم يستقرّ فى القبر إلى العتمة .

وعن الكندى قلا : رأيت بشر بن الحارث فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ فقال : غفر لى وأقعدنى على طيّار من لؤلؤة بيضاء وقال لى : سِرْ فى مُلْكى .

وقال ابن خزيمة : لما مات أحمد بن حنبل بتّ من ليلتى فرأيته فى النوم فقلت له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى وتوّجنى وألبسنى نعلين من ذهب ، وقال لى : يا أحمد هذا بقولك : القرآن كلامى . قلت : فما فعل بشرْ فقال لى : بخٍ بخٍ ، من مثْل بشر ؟ تركته بين يدى الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقْبِل عليه وهو يقول له : كُلْ يا مَن لم يأكل ، واشرب يا من لم يشرب ، وانعم يا من لم ينعم . رحمه الله ورضى عنه .

أحمد بن محمد بن حنبل
أبو عبد الله الشيبانى

جىء به من مرو حَمْلاً فولد فى ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة .

فأما نسبه فأخبرنا أبو منصور القزّاز قال : أنبأ أبو بكر بن ثابت ، قال : أنبأ أحمد بن عبد الله الحافظ : أنبأ أحمد بن جعفر بن حمدان قال : أنبأ عبد الله بن أحمد ، ثنا أبى أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان بن أدّبن أدَد بن الهميسع بن حمل بن النبت بن قيدار بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام .

وعن أبى بكر المروزى قال : قال لى أبو عفيف - وذكر أبا عبد الله أحمد بن حنبل - فقال : كان فى الكتّاب معنا وهو غُلَيِّم يُعْرَف فضله وكان الخليفة بالرقّة فيكتب الناس إلى منازلهم [(١)] ، فيبعث نساؤهم إلى المعلّم : ابعث إلينا بأحمد بن حنبل . ليكتب لهم جواب كُتبهم . فيبعثه . فكان يجئ إليهم مطأطئ الرأس فيكتب جواب كتبهم فربّما أملوا عليه الشئ من المنكر فلا يكتبه لهم .

وعن إدريس بن عبد الكريم قال : قال خلف : جاءنى أحمد بن حنبل يستمع حديث أبى عوانة فاجتهدتُ أن أرفعه فأبى وقال : لا أجلس إلا بين

(١) أى أن الناس الذين كانوا مع الخليفة بالرقة يكتبون الرسائل إلى ذويهم .

يديك أُمِرنا أن نتواضع لمن نتعلّم منه .

وعن أبى زرعة قال : كان أحمد بن حنبل يحفظ ألف ألف حديث . فقيل له : وما يُدريك ؟ قال : ذاكرته فأخذتُ عليه الأبواب .

وعن أبو جعفر بن أحمد بن محمد بن سليمان التُسْتَرىّ قال : قيل لأبى زُرعة من رأيت من المشايخ المحدثين أحفظ ؟ فقال : أحمد بن حنبل ، حزِرت كتبه اليوم الذى مات فيه فبلغت اثنى عشر حِمْلا ، وعِدْلاً [(١)] ما كان على ظهر كتاب منها حديث فلان ، ولا فى بطنه حديث فلان ، وكل ذلك كان يحفظه عن ظهر قلب .

وعن إبراهيم الحربى قال : رأيت أحمد بن حبنلٍ كأن الله قد جمع له علم الأوّلين والآخرين من كل صنف ، يقول ما شاء ويمسك ما شاء .

---

(١) العدل : نصف الحمل ، ويطلق أيضاً على الغرارة أى الجوالق .

الفضيل بن عياض التميمى

يكنى أبا على وُلد بخراسان بكورة أبيو رَدْ وقدم الكوفة وهو كبير فسمع بها الحديث ثم تعبّد وانتقل إلى مكة فمات بها .

عن إبراهيم بن أحمد الخزاعى قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : لو أن الدنيا كلها بحذافيرها جُعلت لى حلالاً لكنت أتقذّرها .

وعن أبى الفضل الخزاز قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : أصلح ما أكون أفقرُ ما أكون ، وإنى لأعصى الله فأعرف ذلك فى خُلق حمارى وخادمى.

وعن إسحاق بن إبراهيم قال : كانت قراءة الفضيل حزينة شهيّة بطيئة مترسّلة كأنه يخطب إنساناً ، وكان إذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة يردّدها .

وكان يُلقى له حصير بالليل فى مسجده فيصلى من أول الليل ساعة حتى تغلبه عينه فيُلقِى نفسه على الحصير فينام قليلاً ثم يقوم . فإذا غلبة النوم نام . ثم يقوم هكذا حتى يصبح .

قال : وسمعت الفضيل يقول : إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبّل كبّلتك خطيئتك .

وعن منصور بن عمار قال : تكلمت يوماً فى المسجد الحرام فذكرت شيئاً من صفة النار فرأيت الفضيل بن عياض صاح حتى غشى عليه فطرح نفسه .

وعن أبى إسحاق قال : قال الفضيل بن عياض : لو خُيّرت بين أن أعيش كلباً أو أموت كلباً ولا أرى يوم القيامة لاخترت أن أعيش كلباً أو أموتَ كلباً ولا أرى يوم القيامة .

وعن مهران بن عمرو الأسدى قال : سمعت الفضل بن عياض عشية عرفة بالموقف ، وقد حال بينه وبين الدعاء البكاء ، يقول : واسوأتاه ، وافضيحتاه ، وإن عفوت .

وعن أحمد بن سهل قال : قدم علينا سعد بن زنبور فأتيناه فحدثنا قال : كنا على باب الفضيل بن عياض فاستأذنا عليه فلم يؤذن لنا فقيل لنا إنه لا يخرج إليكم أو يسمع القرآن . قال : وكان معنا رجل مؤذن وكان صيّتاً [1] فقلنا له اقرأ ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① ﴾ [2] ورفع صوته ، فأشرف علينا الفضيل وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع ومعه خرقة ينشف بها الدموع من عينيه وأنشأ يقول :

بلغتُ الثمانين أو جُزتُها ... فماذا أُؤَمّل أو أنتظرْ ؟
أتى لى ثمانونَ من مولدى ... وبعد الثمانين ما يُنتظَرْ ؟
علتنى السنون فأبلْيننى ... .

قال ثم خنقته العبرة ، وكان معنا على بن خشرم فأتمه لنا فقال :

علتنى السنون فأبلْيننى ... فرقت عظامى وكلّ البصَرْ

وعن أبى جعفر الحذّاء قال سمعت الفضيل بن عياض يقول : أخذتُ بيد سفيان بن عيينة فى هذا الوادى فقلت له : إن كنت تظن أنه بقى على وجه الأرض شر منى ومنك فبئس ما تظن .

وعن على بن الحسن قال : بلغ فضيلاً أن جريراً يريد أن يأتيه قال : فأقفل الباب من خارج . قال : فجاء جرير فرأى الباب مقفلاً فرجع . قال علىّ :

---

(١) الصيت : الشديد الصوت .
(٢) سورة التكاثر الآية « ١ » .

فبلغنى ذلك . فأتيته فقلت له : جرير . فقال : ما يصنع بى ؟ يظهر لن محاسن كلامه وأظهر له محاسن كلامى . فلا يتزين لى ولا أتزين له خيرٌ له .

وعن الفيض بن إسحاق قال سمعت فضيلاً يقول : لو قيل لك يامرائى لغضبت ولشق عليك وتشكو فتقول : قال لى : يا مرائى عساه قال حقاً من حبك للدنيا تزينت للدنيا وتصنعت للدنيا . ثم قال : اتق ألاّ تكون مرائياً وأنت لا تشعر تصنّعت وتهيأتَ حتى عرفك الناس فقالوا هو رجل صالح فأكرموك وقضوا لك الحوائج ووسعّوا لك فى المجالس ، وإنما عرفوك بالله ولولا ذلك لهُنتَ عليهم .

قال وسمعت الفضيل يقول : تزيّنت لهم بالصوم فلم ترهم يرفعون بك بأساً . تزيّنت لهم بالقرآن فلم ترهم يرفعون بك رأساً ، تزيّنت لهم بشئ بعد شئ ، إنما هو لحبّ الدنيا .

وعن الحسين بن زياد قال : دخلت على فضيل يوماً فقال : عساك إن رأيت فى ذلك المسجد ، يعنى المسجد الحرام ، رجلاً شراً منك ، وإن كنت ترى أن فيه شراً منك فقد ابتُليت بعظيم .

وعن يونس بن محمد المكى قال : قال فضيل بن عياض لرجل : لأعلّمنك كلمة هى خير من الدنيا وما فيها : والله لئن علم الله منك إخراج الآدمين من قلبك حتى لا يكون فى قلبك مكان لغيره ؛ لم تسأله شيئاً إلا أعطاك .

وعن إبراهيم بن الأشعث قال : سمعت الفضيل بن عياض يقول : ما يؤمنك أن تكون بارزت الله بعمل مقتك عليه فأغلق دونك أبواب المغفرة وأنت تضحك كيف ترى تكون حالك ؟ .

وعن عبد الصمد بن يزيد قال : سمعت الفضيل يقول : أدركت أقواماً

يستحيون من الله فى سواد الليل من طول الهجعة ، إنما هو على الجنب فإذا تحرك قال : ليس هذا لكِ قومى خذى حظك من الآخرة .

وعن محمد بن حسان المسنى قال : شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة . فتكلم الفضيل فقال : كنتم معشر العلماء سُرُج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظَلَمَةً وكنتم نجوماً يُهتدى بكم فصرتم حيرة ، ثم لا يستحى أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة ، ثم يسند ظهره يقول : حدثنا فلان عن فلان . فقال سفيان : لئن كنا لسنا بصالحين فإنا نحبّهم .

وعن بشر بن الحارث قال : قال الفضيل بن عياض : لأن أطلب الدنيا بطبل ومزمار أحبُّ إلىّ من أن أطلبها بالعبادة .

وعن الفضل بن الربيع قال : حج أمير المؤمنين الرشيد فأتانى فخرجت مسرعاً فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك . فقال : ويحك قدْ حَكَّ فى نفسى شئ [1] فانظر إلى رجلاً أسأله . فقلت هاهنا سفيان بن عيينة . فقال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال من ذا ؟ فقلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك . فقال له : خذ لما جئناك له رحمك الله .

فحدثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم فقال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى عنى صاحبك شيئاً ، انظر لى رجلاً أسأله . فقلت له : ها هنا عبد الرازق بن همام . قال : امض بنا إليه . فأتيناه فقرعت الباب فقال : من هذا ؟ قلت : أجب أمير المؤمنين . فخرج مسرعاً فقال : يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلىّ أتيتك . قال : خذ لما جئناك له .

---

(١) يقال : حك فى صدرى شئ . أى عمل وأثر .

فحادثه ساعة ثم قال له : عليك دين ؟ قال : نعم ، قال : أبا عباس اقض دينه فلما خرجنا قال : ما أغنى صاحبك شيئاً انظر لى رجلاً أسأله . قلت : هاهنا الفضيل بن عياض . قال امض بنا إليه . فأتيناه فإذا هو قائم يصلى يتلو آية من القرآن يرددها . فقال : اقرع الباب . فقرعت الباب فقال : من هذا . فقلت : أجب أمير المؤمنين . فقال : ما لى ولأمير المؤمنين ؟ فقلت : سبحان الله أما عليك طاعة ؟ أليس قد ورد عن النبى ﷺ أنه قال : [**ليس للمؤمن أن يُذل نفسه**] (١) ، فنزل ففتح الباب ثم ارتقى إلى الغرفة فأطفأ المصباح ثم التجأ إلى زاوية من زوايا البيت . فدخلنا فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كفٌّ هارون قبلى إليه فقال : يالها من كف ما ألينها إن نجت غداً من عذاب الله عز وجل فقلت فى نفسى : ليكلمنه الليلة بكلام نقى من قلب تقى . فقال له : خذ لما جئناك له - رحمك الله - فقال : إن عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة دعا سالم بنِ عبد الله ، ومحمد بن كعب القرظى ورجاء بن حيوة فقال لهم : إنى قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علىَّ . فعدَّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة . فقال له سالم بن عبد الله : إن أردت النجاة غداً من عذاب الله فصُم عن الدنيا وليكن إفطارك من الموت . وقال له محمد بن كعب القرظى: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم عندك ولداً فوقر أباك وأكرم أخاك وتحنن على ولدك .

وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة غداً من عذابِ الله عز وجل فأحب المسلمين ما تُحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك ثم مُت إذا شئت .

وإنى أقول لك إنى أخاف عليك أشدّ الخوف يوم تزل فيه الأقدام فهل

(١) **صحيح** : رواه أحمد والترمذى وصححه الألبانى .

معك رحمك الله من يشير عليك بمثل هذا ؟ .

فبكى هارون بكاءً شديداً حتى غُشى عليه فقلت له ارفق بأمير المؤمنين فقال : يا بن أم الربعى تقتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ، ثم أفاق فقال له : زدنى رحمك الله فقال :

يا أمير المؤمنين بلغنى أن غلاماً لعمر بن عبد العزيز شكا إليه فكتب إليه عمر : يا أخى أذكّرك طول سهر أهل النار فى النار مع خلود الأبد وإياك أن يُنصَرف بك من عند الله فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء . قال فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم على عمر بن عبد العزيز فقال له : ما أقدمك ؟ قال : خلعتَ قلبى بكتابك . لا أعود إلى ولاية أبداً حتى ألقى الله عز وجل .

قال : فبكى هارون بكاءً شديداً ثم قال له زدنى رحمك الله . فقال يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى ﷺ جاء إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أمّرنى على إمارة فقال له النبى ﷺ [**إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فان استطعت أن لا تكون أميراً فافعل**] [1] .

فبكى هارون بكاء شديداً وقال له زدنى رحمك الله فقال: ياحسن الوجه أنت الذى يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة ، فإن استطعت أن تقى هذا الوجه من النار فافعل ، وإياك أن تصبح وتُمسى وفى قلبك غشّ لأحد من رعيتك فإن النبى ﷺ قال : [**من أصبح لهم غاشاً لم يُرحْ رائحة الجنة**] [2] .

---

(١) **حديث صحيح** : فعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « **إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرضعة وبئس الفاطمة** » أخرجه البخارى والنسائى. وقال أبو ذر: يارسول الله ألا تستعملنى ؟ فضرب بيده على منكبى ثم قال : « **يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها** » أخرجه مسلم وأبو داود .

(٢) **حديث صحيح** : أخرجه البخارى فى الباب الثامن من كتاب الأحكام ومسلم فى الإمارة ٦ / ٩ .

فبكى هارون وقال له عليك دينْ ؟ قال : نعم دين لربى يحاسبنى عليه ، فالويل لى إن سألنى ، والويل لى إن ناقشنى ، والويل لى إن لم أُلهم حجّتى قال : إنما أعنى دين العباد . قال : إن ربى لم يأمرنى بهذا ، أمر ربى أن أوحدّه وأطيع أوامره ، فقال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨) ﴾ [١] .

فقال له هذه ألف دينار خذها فأنفقها على عيالك وتقوَّ بها على عبادتك فقال : سبحان الله أنا أدلّك على طريق النجاة وأنت تكافئنى بمثل هذا ؟ سلمك الله ووفقك .

ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فلما صرنا على الباب قال هارون: أبا عباس إذا دللتنى على رجل فدلّنى على مثل هذا ، هذا سيد المسلمين .

فدخلت عليه امرأة من نسائه فقالت : يا هذا قد ترى ما نحن فيه من ضيق الحال فلو قبلت هذا المال فتفرجنا به فقال لها : مثلى ومثلكم كمثل قومٍ كان لهم بعير يأكلون من كسبه فلما كبر نحروه فأكلوا لحمه ، فلما سمع هارون هذا الكلام قال : ندخل فعسى أن يقبل المال فلما علم الفضيل خرج فجلس فى السطح على باب الغرفة ، فجاء هارون فجلس إلى جنبه يكلمه فلا يجيبه فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء فقالت : يا هذا قد آذيت الشيخ منذ الليلة فانصرف رحمك الله .

---

(١) سورة الذاريات الآيات « ٥٦ – ٥٨ » .

أبو مسلم الخولانى
واسمه عبد الله بن ثوب

طرحه الأسود العَنسى المتنبى باليمن فى النـار فلم تضـره فكان يشبَّه بالخليل عليه السلام .

عن شُرَحبيل بن مسلم الخوْلانى قال : تنبأ الأسود بن قيس العنسى باليمن فأرسل إلى أبى مسلم فقال له : أتشهد أن محمداً رسـول الله ؟ قال : نعم ، قال : فتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ . قال : نعم ، قال فتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمـع ، قال : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم . قال : فتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع .

قال : فأمر بنارٍ عظيمة فأُجِّجت وطُرِح فيها أبو مسلم فلم تَضره ، فقال له أهل مملكته : إن تركت هذا فى بلادك أفسدها عليك . فأمره بالرحيل فقدم المدينة وقـد قُبض رسـول الله ﷺ واستُخلف أبو بكر . فقـام إلى ساريةٍ من سـوارى المسجد يصلى فبصر به عمر بن الخطاب ، فقال : من أين الرجل ؟ قـال : من اليمن ، قال : فما فعل عدو الله بصاحبنا الذى حرقه بالنار فلم تضره ؟ قال : ذاك عبد الله بن ثوب . قال : نشدتك بالله عز وجل أنت هو ؟ قال : اللهم نعم . قال : فقبّل ما بين عينيه . ثم جاءَ به حتى أجلسه بينه وبين أبى بكر وقال : الحمد لله الذى لم يُمِتْنِى حتى أرانى فى أُمة محمد ﷺ من فُعِل به كما فُعِل بإبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

عن علقمة بن مَرثد قال : انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين منهم أبو مسلم الخولانى ، فإنه لم يكن يُجالس أحداً يتكلّم فى شيءٍ من أمر الدنيا إلا تحول عنه . فدخل ذات يوم المسجد فنظر إلى نفرٍ قد اجتمعوا فرَجا أن يكونوا على ذكر الله تعالى ، فجلس إليهم وإذ بعضهم يقول : قدِم غلامى فأصاب كذا وكذا . وقال آخر : جهزتُ غلامى .

فنظر إليهم وقال : سبحان الله أتدرون ما مَثَلى ومَثَلُكم ؟ كمثَل رجلٍ أصابه مطر غزيرٌ وابل فالتفت فإذا هو بمصراعين عظيمين فقال : لو دخلتُ هذا البيت حتى يذهب هذا المطر . فدخل فإذا البيت لا سقف له ، جلستُ إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذِكْرٍ وخَير فإذا أنتم أصحاب دُنيا .

قال : وقال له قائل حين كَبِرَ ورقّ [١] لو قَصرتَ عن بعض ما تصنع . فقال : أرأيتم لو أرسلتم الخيل فى الحلبة ألستم تقولون لفارسها دَعْها وارفُق بها حتى إذا رأيتم الغاية لم تستبْقُوا منها شيئاً ؟ قالوا : بلى ، قال : فإني قد أبصرت الغاية وإن لكل ساعةٍ غايةً ، وغايةُ كلّ ساعةِ الموتُ ، فسابقٌ ومسبوقٌ .

وعن أبو بكر بن أبى مريم قال : حدثّنى عطية بن قيس أن ناساً من أهل دمشق أتوا أبا مسلم الخولانى فى منزله وهو غازٍ بأرض الروم ، فوجدوه قد احتفر فى فُسْطاطه جَوْبة [٢] ووضع فى الجَوبة نطْعاً [٣] وأفرغ فيه ماءً يَتَصلّق فيه [٤] وهو صائم ، فقالوا له : ما يحملك على الصيام وأنت مسافر وقد رُخِّص لك فى الفطر فى السفر ؟ ، فقال : لو حضَر قتالٌ لأفطرتُ وتقويت

---

(١) ضعف جسمه .
(٢) الجوبة : الحفرة .
(٣) بساطاً من جلد .
(٤) يتقلب ويتمرغ ، ليجد من البرودة ما يخفف عنه شدة الحر .

للقتال ، وإن الخيل لا تجرى إلى الغايات وهى بُدَّنٌ [١] وإنما تجـرى وهى ضُمَّر ، إنّ بين أيدينا أياماً لها نعمل .

عن شُرَحبيل بن مسلم أن رجلين أتيا أبا مسلم الخولانى فى منزله فقال بعض أهله : هو فى المسجد . فأتياه فوجداه يركع فانتظرا انصرافه وأحصيا رُكوعه ، فأحصى أحدها أنه ركع ثلثمائة ، والآخر أربعمائة قبل أن ينصرف فقالا له : يا أبا مسلم كنا قاعدين خلفك ننتظرك . فقال أما إنى لو علمت مكانكما لانصرفت إليكما ، وما كان لكما أن تحفظا على صلاتى ، فأُقسم لكما إن كثرة السجود خيرٌ ليوم القيامة .

وعن حُميد قال : قال أبو مسلم الخولانى : ما عملتُ عملاً أبالى من رآه إلا أن يخلو الرجل بأهله أو يَقضِى حاجة غائط .

وعن محمد بن زياد عن أبى مسلم أنه كان إذا غزا أرض الروم فمروّا بنهرٍ قال : أجيزوا بسم الله . قال : ويمر بين أيديهم . قال : فيمرون بالنهر الغّمرِ ، فربّما لم يبلغ من الدواب إلا إلى الرُكَب ، أو بعض ذلك ، أو قريباً من ذ ك ، فإذا جازوا قال للناس : هل ذهب لكم من شئ ؟ من ذهب له شئٌ فأنا له ضامنٌ . قال فألقى بعضهم مخلاةً عمداً فلما جازوا قال الرجل : مخلاتى وقعت فى النهر قال له : اتبعنى ، فإذا المخلاة تعلّقت ببعض أعواد النهر .

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : قالت امرأة أبى مسلم ، يعنى الخولانى : يا أبا مسلم ليس لنا دقيق . قال : عندك شئ ؟ قالت درهم بِعْنا به غَزْلاً . قال : ابغينيه وهاتى الجراب . فدخل السوق فوقف على رجل يبيع

---

(١) سمينة : مفردها بادن وبادنة .

الطعام . فوقف عليه سائل فقال : يا أبا مسلم تصدق عليّ . فهرب منه فأتى حانوتاً آخر فتبعه السائل فقال : يا أبا مسلم . فهرب منه . فأتى آخر فتبعه السائل فقال : تصدق عليّ . فلما أضجره أعطاه الدرهم . ثم عمد إلى الجراب فملأه نجارة النجارين مع التراب ثم أقبل إلى باب منزله فنقر الباب فملأه وقلبه مرعوبٌ من أهله ، فلما فتحت الباب رمى بالجراب وذهب . فلما فتحته إذا هى بدقيق حُوَّارَى ، فعجنت وخبزت . فلما ذهب من الليل الهوِىُّ (١) جاء أبو مسلم فنقر الباب فلما دخل وضعت بين يديه خِواناً وأرغفة . فقال : من أين لكم هذا ؟ قالت له يا أبا مسلم من الدقيق الذى جئت به . فجعل يأكل و يبكى .

وعن عثمان بن عطاء ، عن أبيه قال : كان أبو مسلم الخولانى إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبَّر على باب منزله فتُكبِّر امرأته فإذا كان فى صحن داره كبَّر فتجيبه امرأته ، فإذا بلغ إلى باب بيته كبَّر فتجيبه امرأة فانصرف ذات ليلة فكبر عن باب داره فلم يجبه أحد . فلما كان فى الصحن كبَّر فلم يجبه أحد . فلما كان فى باب بيته كبَّر فلم يَجبْه أحد . وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه . قال : فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسةُ مُنكسة تنكت بعودٍ معها . فقال لها مالك ؟ فقالت : أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته فأخدمنا (٢) وأعطاك . فقال : اللهم من أفسد على امرأتى فأعم بصره . قال : وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت : زوجك له منزلة من معاوية فلو قُلتِ له يسأل معاوية أن يخدمه ويعطيه عِشْتُم .

---

(١) يقال : مضى هوى من الليل « على وزن غنى وقد تضم الهاء » : أى ساعة .
(٢) جعل لنا خادماً .

قال : فبينما تلك المرأة جالسة فى بيتها إذا أنكرت بصرها فقالت : ما لسراجكم طفِئَ ؟ قالوا : لا فعرفت ذنبها . فأقبلت إلى أبى مسلم تبكى وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها يرد عليها بصرها . قال : فرحمها أبو مسلم فدعا الله - عز وجل - لها فرد عليها بصرها .

وعن الحسن قال : قال أبو مسلم الخولانى - وكان ذا أمثال - أرأيتم نفساً إذا أكرمتها وودعتها ونعمتها ذمتنى غداً عند الله وإن أنا أهنتها وأنصبتُها وأعملتُها مدحتنى عند الله غداً ؟ قالوا : من تيك يا أبا مسلم ؟ قال : تيك والله نفسى .

عن شُرَحبيل بن مسلم ، عن أبى مسلم الخولانى ، أنه كان إذا وقف على خربة قال : ياخربة أين أهلك ؟ ذهبوا وبقيت أعمالهم ، وانقطعت الشهوة ، وبقيت الخطيئة ، ابن آدم ! ترك الخطيئة أهون من طلب التوبة .

أبو بكر بن أبى الأسود قال : قال أبو مسلم الخولانى : ما طلبت شيئاً من الدنيا قطّ فوُلِّى لى ، حتى لقد ركبت مرةً حماراً فلم يمش فنزلت عنه وركبه غيرى فعَدا . قال : فأويت فى منامى كأن قائلاً يقول لى : لا يُحزنك ما زُوِىَ عنك من الدنيا وإنما يفعل ذلك بأوليائه وأحبّائه وأهل طاعته . قال : فُسُرِّىَ عنّى .

وعن شُرَحبيل بن مسلم ، عن عُمير بن سيف ، أنه سمع أبا مُسلم الخولانى يقول : لأن يُولد لى مولودٌ يُحسن الله عز وجل نباته حتى إذا استوى على شبابه وكان أعجب ما يكون إلىّ ، قبضه منى ، أحبُّ [1] إلىّ من

(١) خبر المبتدأ الذى هو المصدر المؤول فى « لأن يولد » .

أن يكون لى الدنيا وما فيها .

عن عثمان بن أبى العاتكة قال : كان أمر أبى مسلم الخولانى أن علق سوطاً فى مسجده ويقول : أنا أولى بالسوط من الدواب ، فإذا دخلته فترة مشق ساقه [1] سوطاً أو سوطين . وكان يقول : لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندى مستزاد ، ولو رأيت النار عياناً ما كان عندى مستزاد .

وعن بلال بن كعب قال : ربما قال الصبيان لأبى مسلم الخولانى ادع الله أن يحبس علينا هذا الطائر . فيدعو الله عز وجل فيحبسه فيأخذوه بأيديهم .

---

(١) ضربها مسرعاً فى ذلك . وهى تعنى سرعة الضرب والطعن والأكل والكتابة وبابه نصر .

الضحاك بن مزاحم الهلالى
يكنى أبا القاسم

حملت به أمه سنتين ، وكان يعلم ولا يأخذ أجراً . أصله من الكوفة ثم أقام ببلخ .

وعن قبيصة بن قيس العنبرى قال : كان الضحاك بن مُزَاحم إذا أمسى بكى فيقال له : ما يبكيك ؟ فيقول : لا أدرى ما صعد اليوم من عملى .

توفى الضحاك سنة ثنتين . وقيل سنة خمس ومائة .

عطاء بن أبى مسلم

فى اسم أبيه قولان : أحدهما مَيسرة والثانى عبد الله . وفى كنية عطاء قولان : أحدهما أبو عثمان ، والثانى أيوب وأصله من بلخ ، وكان من أهل العلم والصلاح .

عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : كنا نُغادى عطاء الخراسانى فكان يُحيى الليل كله صلاةً فإذا ذهب من الليل ثلثه أو نصفه نادانا وهو فى فسطاطه يسمعنا : يا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، يا يزيد بن يزيد ، يا هشام بن الغاز ، يا فلان بن فلان ، قوموا فتوضَّؤا وصلّوا فإن قيام هذا الليل وصيام هذا النهار أيسر من شُرب الصديد ومقطعات الحديد ، الوحىَ الوحىَ [1] النّجاء النجاءَ ، ثم يُقبل على صلاته .

وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنى عمى يزيد بن يزيد بن جابر ، عن عطاء الخراسانى أنه كان يقول : إنى لا أُوصيكم بدنياكم ، أنتم بها مستوصون ، وأنتم عليها حِراص ، وإنما أوصيكم بآخرتكم فخذوا من دار الفناء لدار البقاء ، واجعلوا الدنيا كشيءٍ فارقتموه ، فوالله لتفارقُنَّها ، واجعلوا الموت كشيءٍ ذقتموه ، فوالله لتذوقنّه ، واجعلوا الآخرة كشيءٍ نزلتموه ، فوالله لتنزلُنّها ، وهى دار الناس كلهم ليس من الناس أحدٌ يخرج لسفر إلا أخذ له أُهبته ، فمن أخذ لسفره الذى يُصله اغتبط ، ومن خرج إلى سفرٍ لم يأخذ له أهبته ندم فإذا ضحىَ لم يجد ظلاً ، وإذا ظمىء لم يجد

(١) يقال ذلك فى الاستعجال ، أى البدار البدار . والوحى : العجلة .

ماءً يتروى به ، وإنما سفر الدنيا منقطع ، وأكْيس الناس من قام بتجهّز لسفرٍ لا ينقطع .

وعن يزيد بن سمرة أنه سمع عطاء الخراسانى يقول : مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام .

وعن الأوزاعى قال : حدثنى عطاءٌ الخراسانى قال : ما من عبدٍ يسجُد لله سجدة فى بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت .

عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : إن أوثق عملى فى نفسى نشرى للعلم .

وعن عمر بن أبى خليفة قال : سمعت عطاءً الخراسانى ، وصلّى معنا المغرب فأخذ بيدى حين انصرفنا ، فقال : ترى هذه الساعة ما بين المغرب والعشاء ؟ فإنها ساعة الغفلة وهى صلاة الأوابين .

إبراهيم بن أدهم
يكنى أبا إسحاق

عن يونس بن سليمان البلخى قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف وكان أبوه كثير المال والخدم، فخرج إبراهيم يوماً فى الصيد مع الغلمان والخدم والجنائب [(١)] والبُزَاة . فبينما إبراهيم فى ذلك وهو على فرسه يركُضه [(٢)] ، إذ هو بصوت من فوقه : يا إبراهيم ما هذا العبث ؟ ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) ﴾ [(٣)] إتق الله وعليك بالزاد ليوم الفاقة .

قال : فنزل عن دابّته ورفض الدنيا وأخذ فى عمل الآخرة .

وعن بشير بن المنذر قال : كنت إذا رأيت إبراهيم بن أدهم كأنه ليس فيه روح لو نفخته الريح لوقع قد اسود متدّرع بعبَاء .

وعن إبراهيم بن بشار قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : ما كانت لى مُؤنة قط على أصحابى ولا على غيرهم إلا فى شئ واحد . فقلت أى شيء يا أبا إسحق ؟ فقال : ما كنت أُحسن أُكْرِى نفسى [(٤)] فى الحصّادين ، فيحتاجون إلى أن يكرونى ، ويأخذون لى الأَجرة ، فهذه كانت مؤنتى عليهم .

قال ابن بشار ومضيت مع إبراهيم بن أدهم إلى مدينة يقال لها طرابلس ومعى رغيفان ما لنا شيء غيرهما وإذا سائل يسأل ، فقال لى : ادفع إليه ما معك فلتبّثت [(٥)] فقال لى : ما لك ؟ . أعطه . فأعطيته وأنا متعجب من فعله

---

(١) مفردها جنيبة وهى الدابة ترسلها إلى جنبك .
(٢) يحمله على الركض ويستحثه برجليه .
(٣) المؤمنون الآية « ١١٥ » .
(٤) أكرى نفسه : أجرها ، من الأجرة .
(٥) تلكأت وتمهلت .

فقال لى : يا أبا إسحاق إنك تلقى غداً ما لم تلقه قط ، واعلم أنك تلقى ما أسلفت ولا تلقى ما خلّفت . فمهد لنفسك فإنك لا تدرى متى يفجؤُك أمر ربك . قال : فأبكانى كلامه وهوّن علىّ الدنيا . فلما نظر إلىّ أبكى ، قال : هكذا فكُن .

قال ابن بشار : وخرجت أنا وإبراهيم بن أدهم ، وأبو يوسف الغسُولى ، وأبو عبد الله السنجارى ، نريد الأسكندرية فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن فقعدنا نستريح وكان مع أبى يوسف كُسيْراتٌ يابسات . فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله عز وجل ، فقمت أسعى أتناول ماءً لإبراهيم فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء رُكبتيه . فقال بكفّيه فى الماء [1] فملأها ثم قال : بسم الله . وشرب الماء ثم قال : الحمد لله ، ثم ملأ كفيه وقال : بسم الله ، وشرب الماء ، ثم قال : الحمد لله . ثم إنه خرج من النهر فمدَّ رجليه ثم قال : يا أبا يوسف لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدُونا عليه بالسيوف أيام الحياة . فقلت يا أبا إسحاق طلب القوم الراحة والنّعيم فأخطأوا الطريق المستقيم . فتبسم وقال : من أين لك هذا الكلام ؟ .

قال ابن بشار : مررنا مع إبراهيم بن أدهم بمقْبَرَة فتقدم إلى قبر فوضع يده عليه ثم قال : رحمك الله يا فلان . ثم تقدم إلى أخر فقال مثل ذلك . فعل ذلك بسبعة من القبور ثم قام قائماً بين تلك القبور فنادى يا فلان يا فلان ، بأعلى صوته ، لقد مِتم وخلّفتمونا ونحن بكم سريعاً لاحقون ، ثم بكى وغرق فى فكره ثم رجع بعد ساعة فأقبل إلينا بوجهه ، ودموعه تنحذر كاللؤلؤ الرطب وقال : إخوتى ، عليكم بالمبادرة والجدّ والاجتهاد ، سارعوا وسابقوا فإن نعلاً فقدت أُختها سريعة اللحاق بها .

---

(١) أى جمع بينهما وغرف بهما من الماء . والقول هنا بمعنى الإشارة والحركة .

وعن شقيق بن إبراهيم قال : بينا نحن ذات يوم عند إبراهيم بن أدهم إذ مرّ به رجل فقال إبراهيم : أليس هذا فـلان ؟ فقيل نعم . فقال لرجل : أدركه فقل له : قال لك إبراهيم : لِمَ لَمْ تُسَلِّمْ ؟ فقال له . فقال : والله إن امرأتى وضعت وليس عندى شىء فخرجت شبه المجنـون . قال : فرجعت إلى إبراهيم فقلت له : فقال : إنا لله ، كيف غفلنا عن صاحبنا حتى نزل به هذا الأمر ؟ وقال : يا فلان إيت صاحب البستان فاستسلف منه دينارين ، فادخل السوق فاشتر له ما يصلح بدينار ، وادفع الدينار الآخر إليه .

فدخلت السوق فأوقَرْت [(١)] بدينار من كل شيءٍ وتوجهت إليه فدققت الباب فقالت امرأته : من هذا ؟ قلت : أنا ، أردت فُلاناً . قالت : ليس هو ههنا قلت : فمُرى بفتح الباب وتنحىْ قال : ففتحت الباب فأدخلت ما على البعير وألقيته فى صحن الدار وناولتُها الدنيار ، فقال : على يدىْ من بعث هذا ؟ فقلت : قولى على يد أخيك إبراهيم بن أدهم . فقالت : اللهم لا تنس هذا اليوم لإبراهيم .

قال شقيق : وقلت لإبراهيم : يا إبراهيم تركت خراسان . فقال : ما تهنّيت بالعيش إلا فى بلاد الشام ، أفرُّ بدينى من شاهقٍ إلى شاهق ، ومن جبل إلى جبل ، فمن يرانى يقول هو مُوَسْوَس ، ومن يرانى يقول : هو جمال . ثم قال لى : ياشقيق لم ينبل عندنا من نبُل بالحج والجهاد إنما نبُل من كان يعقل ما يدخل جوفه ، يعنى الرغيفين من حِلّه . يا شقيق ماذا أنعم الله على الفقراء ؟ لا يسألهم يوم القيامة لا عن زكاة ولا عن حج ولا عن جهاد ولا عن صلة رحم ، إنما يسأل هؤلاء المساكين ، يعنى الأغنياء .

---

(١) أوقر الدابة : حملها ثقلاً ، أكثر ما يستعمل الوقر فى حمل البغل والحمار والوسق فى حمل البعير . يقال أوقرت الناقة أى كثر حملها .

وعن أحمد بن داود قال: مر يزيد بإبراهيم بن أدهم وهو ينظر كرماً . فقال: ناولنا من هذا العنب . قال : ما أذن لى صاحبه . قال : فقلب السوط . فجعل يقنع رأسه . فطأطأ إبراهيم رأسه وقال : اضرب رأساً طالما عصى الله عز وجل فأعجز الرجل عنه .

وعن بن بكار قال : كنا جلوساً بالمَصيصة وعندنا إبراهيم بن أدهم ، فقدم رجل من خراسان فقال : أيكم إبراهيم بن أدهم ؟ فقال القوم : هذا . قال : إن إخوتك بعثونى إليك فما سمع ذكر إخوته قام فأخذ بيديه فنحاه . فقال : ما جاء بك فقال : أنا مملوكك ، معى فرس وبغلة وعشرة آلاف درهم بعث بها إليك إخوتك . فقال : إن كنت صادقاً فأنت حرٌ ، وما معك لك ، اذهب فلا تخبر أحداً ، فذهب .

وعن يحيى بن الكُدَير بن أسود الكلابى من أهل عسقلان [1] قال : كان إبراهيم بن أدهم أجيراً فى بستانٍ لى سنةً ، ابتذله [2] فيما يُبتذل الأجير . فزارنى لى فى بستان فقلت لإبراهيم : ايتنا برمّانٍ حُلو . فجاء برمّان لم نحمده . فقلت له : أنت فى هذه البستان منذ سنة لا تعرف موضع الجيد الحلو من الحامض ؟ قال : فأىّ موضع هو من البستان ؟ فوصفتُه له فأنكرت أمره ، وإذا رجل قد أقبل على نجيب [3] يسأل عن إبراهيم بن أدهم . فأُخبر بمكانه عندى . فنزل إليه فرأيته قد قبل يديه وعظّمه فقال له إبراهيم : ما جاء بك ؟

---

(١) مدينة واقعة على ساحل فلسطين جنوباً ، اشتهرت فى الحروب الصليبية . خربها السلطان بيبرس سنة ١٢٤٧ م .
(٢) استخدمه وأشغله .
(٣) الدابة الأصيلة النفيسة فى نوعها .

فقال : مات بعض مواليك فجئتك بميراثه ثلاثين ألف درهم . فقال : ما لكم وأتباعى ؟ فقال الرجل : قد تعنّيت من بلْخ فأقبلها منى . فقال للرجل : ابسُط إزراك وصُبّ عليه ما معك . فـفعل . فقال إبراهيم : اقسمه ثلاثة أقسام . فقسمه . فقال : ثُلث لك لعَنَائك من بلخ إلى ها هنا وثُلث اقسمه على المساكين ببلخ ، وثلث أنت يا يحيى اقسمه فى مساكين أهل عسقلان .

وعن أبو سليمان الدّارانى قال : صلّى إبراهيم بن أدهم خمس عشرة صلاة بوضوء واحد .

عن مخلد بن الحسين قال : ما انتبهتُ من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم يذكر الله فأعتم ثم أتعزّى بهذه الآية ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [1] .

وعن عبد الملك بن سعد الدمشقى قال : سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : أعربنا الكلام فما نلحن ، ولحنا فى الأعمال فما نُعرب .

وعن عبد الله بن الفرج العابد قال : اطلعت على إبراهيم بن أدهم بالشام فى بستان وهو نائم وعند رأسه أفعى فى فيها طاقة نرجس تَذُبّ عنه .

وعن موسى بن طريف قال : ركب إبراهيم بن أدهم البحر فأخذتهم ريح عاصف فأشرفوا على الهلكة فلفّ إبراهيم رأسه فى عباءةٍ ونام . فقالوا له : ما ترى ما نحن فيه من الشدة ؟ فقال : ليس ذا شدّة . قالوا : ما الشدة ؟ قال : الحاجة إلى النّاس . ثم قال : اللهم أريتنا قُدرتك فأرنا عفوك . فصار البحر كأنه قدح زيتٍ .

---

(١) سورة المائدة الآية « ٤٥ » .

وعن خلف بن تميم قال : كنت عند أبى رجاءٍ الهروىّ فى مسجده ، فأتى رجل على فرس فنزل فسلَّم عليه وودّعه . فأخبرنى أبو رجاء عنه أنه كان مع إبراهيم بن أدهم فى سفينةٍ فى غُزاة فى البحر ، فعصفت عليهم الريح وأشرفوا على الغرق فسمعوا فى البحر هاتفاً يهتف بأعلى صوته : تخافون وفيكم إبراهيم ؟ .

أبـو يعقـوب الزيـات

قال الجنيد بن محمد : دققت على أبى يعقوب الزيات بابه فى جماعة من أصحابنا ، فقال : ما كان لكم شغل فى الله يشغلكم عن المجىء إلىّ ؟ قال الجنيدُ فقلت له : إذا كان مجيئنـا إليك من شُغلِنا به لم ننقطع عنه ففتح الباب .

وقال يوماً لبعض المريدين : أتحفظ القرآن ؟ فقال : لا . فقال : واغوثاه ، بالله مريدٌ لا يحفظ القرآن كأترنجةٍ لا ريح لها فبم يتنعم ؟ فبم يترنمْ ؟ فبم يناجى ربه ؟ .

الجنيد بن محمد بن الجنيد

أبو القاسم الخزاز القواريرى ، كان أبوه يبيع الزّجاج وكان هو خزّازاً وأصله من نهاوند إلا أن مولده ومنشأه ببغداد .

عن جعفر الخلدى قال الجنيد ذات يومٍ : ما أخرج الله إلى الأرض علماً وجعل للخلق إليه سبيلاً إلا وقد جعل لى فيه حظاً ونصيباً .

قال الخلدى : وبلغنى عن الجنيد أنه كان فى سوقه ، وكان وِرْده فى كل يوم ثلاثمائة ركعة وثلاثين ألف تسبيحة .

وعنه قال : لم نر فى شيوخنا من اجتمع له علم وحال غير أبى القاسم الجنيد ، ولا أكثرهم كان يكون له علم كثير ولا يكون له حال ، وآخر كان يكون له حال كثير وعلم يسير ، والجنيد كانت له حال خطيرة وعلم غزير فإذا رأيت حاله رجّحته على علمه ، وإذا رأيت علمه رجّحته على حاله .

وعن أبى محمد المرتعش قال : قال الجنيد : كنتُ بين يدى سرى السقطى ألعب ، وأنا ابن سبع سنين ، وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى : يا غلام ما الشكر ؟ فقلت : ألاَّ تعصى الله بنعمه . فقال لى : أخشى أن يكون حظك من الله لسانك ، قال الجنيد فلا أزال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرىّ لى .

قال السلمى وسمعت جدى إسماعيل بن نجيد يقول: كان الجُنيد يجىء كل يوم إلى السوق فيفتح حانُوته فيدخله ويسبل الستر ويصلى أربعمائة ركعة . ثم يرجع إلى بيته .

وعن أحمد بن عبد الحميد السامرى قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : معاشر الفقراء إنما عُرفتم بالله وتُكرمون له ، فإذا خلوتم به فانظروا كيف تكونون معه ؟ .

وعن أبى الطيب بن الفرحان قال : سمعت الجنيد يقول : علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه .

وعن حامد بن إبراهيم قال : قال الجنيد بن محمد : الطريق إلى الله مسدود على خلق الله عز وجل ، إلا على المقتفين آثار رسول الله ﷺ ، والتابعين لسنّته ، كما قال الله عز وجل : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١) .

وعن أبى محمد الحريرى قال : سمعت الجنيد يقول : لقد مشى رجالٌ باليقين على الماء ، ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً .

وعن أبى بكر محمد بن أحمد قال : سمعت الجنيد يقول : فتح كلِّ باب وكلِّ علم نفيس بذلُ المجهود .

وعن أحمد بن عطاء قال : قال الجنيد : لولا أنه يروى أنه يكون فى آخر الزمان زعيم القوم أرذلهم ما تكلمّت عليكم .

وعن أبى القاسم المطرز قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : أضرُّ ما على أهل الديانات الدعاوى .

وعن أبى بكر المفيد قال : سمعت الجنيد يقول : احذر أن تكون ثناء منشوراً وعيباً مستوراً .

---

(١) سورة الأحزاب الآية « ٢١ » .

وعن العباس بن عبد الله قال : سمعت الجنيد بن محمد يقول : المروءة احتمال زُلَلِ الأخوان .

وسأله رجل : كيف الطريق إلى الله ؟ فقال : توبةٌ تحلّ الإصرار ، وخوف يُزيل العرّة ورجاء مُزعج (١) إلى طريق الخيرات ، ومراقبة الله فى خواطر القلوب .

وقال أبو الحسن : سمعت الجنيد يقول : ليس يتّسع علىّ ما يرد علىّ من العالم ، لأنى قد أصّلت أصلاً ، وهو أن الدار دار غمّ وهمّ وبلاء وفتنة وأن العالم كله شر ، ومن حُكمه أن يتلقانى بكل ما أكره ، فإن تلقانى بما أحبّ فهو فضل وإلا فالأصل الأول .

وعن جعفر بن القاسم ، قال : سمعت الجنيد يقول : كان يعارضنى فى بعض أوقاتى أن أجعل نفسى كيوسف ، وأكون أنا كيعقوب فأحزن على ما فقدت من نفسى كما حزن يعقوب على فقد يوسف فمكثت مدةً أعمل على حسب ذلك .

وقال أبو محمد الحريرى : كنت واقفاً على رأس الجنيد فى وقت وفاته ، وكان يوم جمعة وهو يقرأ القرآن فقلت : يا أبا القاسم ارفق بنفسك . فقال : يا أبا محمد ما رأيت أحداً أحوْج إليه منى فى هذا الوقت ، وهو ذا تُطوى صحيفتى .

وعنه قال : حضرت عند الجنيد قبل وفاته بساعتين ، فلم يزل باكياً وساجداً ، فقلت له : يا أبا القاسم قد بلغ بك ما أرى من الجهد . فقال :

---

(١) صف مزعج : ومعناه يقلقه ويقلعه من مكانه .

يا أبا محمد أحوْج ما كنت إليه هذه الساعة . فلم يزل باكياً وساجداً حتى فارق الدنيا .

وعن فارس بن محمد قال : كان أبو القاسم الجنيد كثير الصلاة ثم رأيناه في وقت موته وهو يدرس ويقدّم إليه الوسادة فيسجد عليها فقيل له : ألا روّحت عن نفسك ؟ فقال : طريق وصلت به إلى الله لا أقطعه .

ولقد لقى الجنيد خلقاً من العلماء ودرس الفقه على أبي ثور ، وكان يُفتى في حلقته بحضرته وهو ابن عشرين سنة ، وصحب جماعة من العباد .

وتوفى يوم السبت فى شوال سنة ثمانٍ وتسعين ومائتين . وقيل سبع وتسعين ، وغسله أبو محمد الحريرى ، وصلى عليه ولده ، وحرزوا الجمع الذى صلى عليه فكانوا نحو ستين ألفاً .

عبد الله بن المبارك

يكنى أبا عبد الرحمن كان أبوه تركياً عند رجل من التجار من بنى حنظلة وكانت أمه تركية خُوارزمية . ولد سنة ثمانى عشرة ومائة ، وقيل تسع عشرة .

عن الحسن قال : كانت أم ابن المبارك تركية ، وكان الشّبه لهم بيّناً فيه ، وكان ربما خلع قميصه فلا أرى على صدره وجسده كثير شعرٍ : وأخبرنى غير واحد من أهله أنه ما دخل الحمّام قطّ .

قال : وكانت دار ابن المبارك بمروَ كبيرة صحن الدار نحو خمسين ذراعاً فى خمسين ذراعاً ، فكنتَ لا تحب أن ترى فى داره صاحب علم أو صاحب عبادة أو رجُلاً له مروءة وقدر بمرو إلا رأيته فى داره ، يجتمعون فى كل يوم خلقاً يتذاكرون حتى إذا خرج ابن المبارك انضموا إليه . فلما صار ابن المبارك بالكوفة نزل فى دار صغيرة وكان يخرج إلى الصلاة ثم يرجع إلى منزله لا يكاد يخرج منه ولا يأتيه كثير أحد . فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش هاهنا مع الذى كنت فيه بمرو ؟ فقال : إنما فررت من مرو من الذى تراك تحبه ، وأحببت هاهنا للذى أراك تكرهه لى ، فكنت بمرو لا يكون أمر إلا أتونى فيه ولا مسألة إلا قالوا : اسألوا ابن المبارك ، وأنا هاهنا فى عافية من ذلك .

قال : وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية [1] والناس يشربون منها ، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزَحموه ودفعوه فلما خرج قال لى : ما العيش إلا هكذا . يعنى حيث لم نُعْرف ولم نُوقَر .

---

(١) السقاية : موضع السقى ، أو ما يبنى لجمع الماء .

قال : وبينا هو بالكوفة يقرأُ عليه كتاب المناسك . انتهى إلى حديث وفيه : قال عبد الله وبه نأخذ . فقال : من كتب هذا من قولى ؟ قلت : الكاتب الذى كتبه [١] . فلم يزل يحكه بيده حتى دَرَسَ . ثم قال : ومن أنا حتى يُكتب قولى ؟ .

قال الحسن وكنّا على باب سفيان بن عُيينة يوماً وأصحاب الحديث وهم يرون أن عنده بعض هؤلاء الكبار يحدّثه . فقال رجل : أعيانى أن أرى رجلاً يسوّى بين الناس فى علمه . فقال له آخر : هذا عبد الله ابن المبارك . قال : نعم هات غيره ، أتعرف غيره ؟ .

فلما قدمتُ الكوفة ذكرت لابن المبارك قول الرجل وأنه فلان ولم أُعلمه أنهم سمّوه . فقال : أفلا قالوا الفضيل بن عياض ؟ .

قال الحسن : ورأيت فى منزل ابن المبارك حماماً طيارة .

فقال ابن المبارك : قد كنا ننتفع بفِرَاخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم قلت : ولم ذلك ؟ قال : اختلطت بها حمامٌ غيرُها فتزاوجَت بها فنحن نكره أن ننتفع بشىء من فراخها من أجل ذلك .

قال الحسن : وصحبت ابن المبارك من خراسان إلى بغداد فما رأيته أكل وحده .

قال : وزوّج النضر بن محمد وَلَدَه دَعِىَ ابن المبارك . فلما جاء قام ابن المبارك ليخدم الناس فأبى النضر أن يدعه وحلف عليه حتى جلس .

وعن عُبيد بن جناد قال : قال عطاء بن مسلم : يا عُبيد رأيت عبد الله بن

---

(١) أى أن ناسخ الكتاب هو الذى كتب ذلك .

المبارك ؟ قلت : نعم قال : ما رأيت مثله ولا يُرى مثله .

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال : ما رأت عيناى مثل سفيان ولا أقدّم على عبد الله بن المبارك أحداً .

وعن عبد الرحمن بن عبيد الله قال كنا عند الفضيل فنعى إليه ابن المبارك فقال : رحمه الله أما إنه ما خلّف بعده مثله .

وعن عبد الرحمن بن مهدى قال : ما رأت عيناى أنصح لهذه الأمة من عبد الله بن المبارك .

نعيم بن حماد قال : كان عبد الله بن المبارك يُكثر الجلوس فى بيته فقيل له : ألا تستوحش ؟ فقال : كيف أستوحش وأنا مع النبى ﷺ ؟ (*) .

وعن شقيق بن إبراهيم قال: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا لم تجلس معنا ؟ قال : أذهب أجلس مع الصحابة والتابعين . قلنا له : ومن أين الصحابة والتابعون ؟ قال : أذهب أنظر فى عملى فأدرك آثارهم وأعمالهم ، ما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس ، فإذا كانت سنة مائتين فالبعد من كثير من الناس أقربُ إلى الله ، وفِرّ من الناس كفرارك من أسد ، وتمسّك بدينك يسلم لك .

وعن الحسين بن الحسن المروزى قال : قال عبد الله بن المبارك : كن محبّاً للخمول كراهية الشهرة ولا تُظهر من نفسك أنك تُحبّ الخمول فترفع نفسك فإن دعواك الزهد من نفسك هو خروجك من الزهد لأنك تجرّ إلى نفسك الثناء والمدحة .

وعن أشعث بن شُعبة المصيصىّ قال : قدم هارون الرشيد الرّقة فانجفل

(*) يقصد : مع أحادث رسول الله ﷺ .

الناس خلف عبد الله بن المبارك وتقطعت النعال وارتفعت الغبرة وأشرفت أم ولد أمير المؤمنين من برج من قصر الخشب فلمـا رأت الناس قالت : ما هـذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان قدم الرّقة يقال له عبد الله بن المبارك . فقالت : هذا والله المُلْك لا مُلْك هارون الذى لا يجمع الناس إلا بشرطٍ وأعوان .

وعن سويد بن سعيد قال: رأيت عبد الله بن المبارك بمكّة أتى زمزم فاستقى منها ثم استقبل الكعبة فقال : اللهم إن ابن أبى الموالى حدّثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر عن النبى ﷺ أنه قال : [**ماءُ زمزم لما شُرب له**] (١) وهذا أشربه لعطش القيامة . ثم شربه .

وعن نعيم بن حماد قال : كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق فكأنه بقرة منحورة ، من البكاء ، لا يجترئ أحد منا أن يدنو منه أو يسأله عن شيء .

قال سفيان : إنى لأشتهى من عمرى كله أن أكون سنة واحدة مثل عبد الله بن المبارك فما أقدر أن أكون ولا ثلاثة أيام .

وعن عمران بن موسى الطرسُوسى قال : جاء رجل فسأل سُفيان الثورى عن مسألة ، فقال له من أين أنت ؟ قال : من أهل المشرق . قال : أوليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟ قال : عبد الله بن المبارك . قال : وهو أعلم أهل المشرق ؟ قال : نعم وأهل المغرب .

قال ابن عُيينة : نظرت فى أمر الصحابة وأمر ابن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبى ﷺ وغزوهم معه .

وعن حِبّان بن موسى قال : عوتب ابن المبارك فيما يقرى من المال فى

---

(١) **صحيح** : أخرجه ابن ماجه ، وأحمد ، وصححه الألبانى .

البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك . فقال : إني أعرف مكان قوم لهم فضلٍ وصدق طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب ، فاحتاجوا ، فإن تركناهم ضاع علمهم وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة أفضل من بثّ العلم .

وعن عبد الله بن ضُريس قال: قيل لعبد الله بن المبارك: يا أبا عبد الرحمن إلى متى تكتب هذا الحديث ؟ فقال : لعل الكلمة التي أنتفع بها ما كتبتها بعد .

وعن الحسين بن الحسن المروزي قال : سمعت ابن المبارك يقول : أهلُ الدنيا خرجوا من الدنيا قبل أن يتطعموا أطيب ما فيها . قيل له : وما أطيب وما فيها ؟ قال : المعرفة بالله عز وجل .

وعن قطن بن سعيد قال : ما أفطر ابن المبارك ولا رُئي نائماً قط .

وعن عليّ بن الحسن بن شقيق قال : سمعت ابن المبارك يقول : لأن أُرُدَّ دِرهماً من شِبهة أحبّ إلي من أن أتصدق بمائة ألف ومائة ألف ، حتى بلغ ستمائة ألف .

وعن عبد الله بن خُبَيق قال : قيل لابن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبّر على الأغنياء .

وعن عيَّاش بن عبد الله قال : قال عبد الله بن المبارك : لو أن رجلاً أبقى مائة شيء ولم يبق شيئاً واحداً لم يكن من المتقين ، ولو تورّع عن مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد لم يكن ورعاً ومن كان فيه خلَّة [1] من الجهل كان من الجاهلين . أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام : ﴿ إِنَّ ابْنِي

(١) الخلة « بفتح الخاء وضمها » الخصلة .

مِنْ أَهْلِي ﴾ [١] فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [٢] .

وعن عليّ بن الحسن قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : لا يقع موقع الكسب على العيال شيءٌ ، ولا الجهاد فى سبيل الله عز وجل .

وعن عبد الله بن عمر السرخَسّى قال : قال لى ابن المبارك : ما أعيانى شيءٌ كما أعيانى أنى لا أجد أخاً فى الله عز وجل .

وعن سليمان بن داود قال : سألت ابن المبارك من الناس ؟ قال : العلماء قلت فمن الملوك ؟ قال : الزهاد . قلت : فمن الغوغاء ؟ قال : خزيمة وأصحابه . قلت : فمن السِّفلة [٣] ؟ قال : الذين يعشيون بدينهم .

وعن فُضيل بن عياض قال: سئل ابن المبارك : مَن الناس؟ قال : العلماء . قال : فمن الملوك؟ قال : الزهاد . قال : فمن السفِلة ؟ قال : الذى يأكل بدينه .

وعن أحمد بن جميل المروزى قال : قيل لعبد الله بن المبارك : إن إسماعيل بن عُلّية قد ولِىَ الصدقات . فكتب إليه ابن المبارك :

يا جاعلَ العلم له بازياً ... يصطاد أموال المساكين
إحتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلةٍ تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعد ما ... كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك فى سردها ... عن ابن عون وابن سيرين ؟
أين رواياتك والقول فى ... لزوم أبواب السّلاطين ؟
إن قلت أُكرهت فماذا كذا ... زال حِمار العلم فى الطين

---

(١) سورة هود الآية « ٤٥ » .
(٢) سورة هود الآية « ٤٦ » .
(٣) سفلة القوم « بفتح فكسر ، أو بكسر فسكون » : سقاطهم وغوغاؤهم .

فلما قرأ الكتاب بكى واستعفى .

وعن محمد بن عليّ بن الحسن بن شقيق قال : سمعت أبى يقول : كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون : نصحبك يا أبا عبد الرحمن فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم . فيأخذ نفقاتهم فيجعلها فى صندوق ويقفل عليها ثم يكترى لهم ويخرجهم من مرو إلى بغداد ، فلا يزال يُنفق عليهم ويطعمهم أطيب الطعام وأطيب الحلواء . ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زىّ وأكمل مُرُوءة ، حتى يصلو إلى مدينة الرسول ﷺ ، فإذا صاروا إلى المدينة قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من المدينة ، من طُرفها ؟ فيقول : كذا ، ثم يخرجهم إلى مكة فإذا وصلوا إلى مكة فقضوا حوائجهم قال لكل رجل منهم : ما أمرك عيالك أن تشترى لهم من متاع مكة ؟ فيقول : كذا وكذا . فيشترى لهم ويخرجهم من مكة . فلا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو فإذا وصلوا إلى مرو جَصَّص أبوابهم ودُورهم . فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كلّ رجل منهم صُرّته بعد أن كتب عليها اسمه .

قال أبى : أخبرنى خادمه أنه عمل آخرة سفرةٍ سافرها دعوة فقدّم إلى الناس خمسة وعشرين خواناً فالوذجاً .

قال : وبلغنا أنه قال للفضيل بن عياض : لولاك وأصحابك ما أتجرت .

قال أبى : وكان ينفق على الفقراء فى كل سنة مائة ألف درهم .

وعن محمد بن عيسى قال : كان عبد الله بن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس ، وكان ينزل الرّقة فى خان ، فكان شاب يختلف إليه ويقوم بحوائجه

ويسمع منه الحديث . قال : فقدم عبد الله الرَّقة مرةً فلم ير ذلك الشاب وكان مستعجلاً ، فخرج في النفير[١] فلما قفل من غزوته ورجع إلى الرّقة سأل عن الشاب فقالوا : إنه محبوس لدين ركبه . فقال عبد الله : وكم مبلغ دينه ؟ قالوا عشرة ألف درهم فلم يزل يستقصي حتى دُلّ على صاحب المال فدَعا به ليلاً ووزن له عشرة آلاف درهم وحلّفه أن لا يخبر أحداً ما دام عبد الله حياً . وقال : إذا أصبحت فأخرج الرجل من الحبس .

وأدلج عبد الله [٢] وأُخرج الفتى من الحبس ، وقيل له : عبد الله ابن المبارك كان هاهنا وكان يذكرك ، وقد خرج . فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاثٍ من الرّقة ، فقال : يافتى أين كنت ؟ لم أراك في الخان ؟ قال : نعم يا أبا عبد الرحمن كنت محبوساً بدين . قال : وكيف كان سبب خلاصك ؟ قال : جاء رجل وقضى ديني ولم أعلم به حتى أُخرجت من الحبس . فقال له عبد الله : يا فتى أحمد الله على ما وفقك لك من قضاء دينك . فلم يخبر ذلك الرجل أحداً إلا بعد موت عبد الله .

وعن سلمة بن سليمان قال : جاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله أن يقضي ديناً عليه . فكتب إلى وكيل له . فلما ورد عليه الكتاب قال له الوكيل : كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك ؟ قال : سبعمائة درهم . فكتب إلى عبد الله : إن هذا الرجل سألك أن تقضي سبعمائة درهم . فكتبت له بسبعة آلاف ، وقد فنيت الغلات . فكتب إليه عبد الله : إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضاً قد فنى فأجر له ما سبق به قلمي .

وعن معاذ بن خالد قال : تعرفت إلى إسماعيل بن عياش بعبد الله [٣] بن

(١) النفير : القوم الذين ينفرون إلى الجهاد .
(٢) سار ليلاً .
(٣) أي بوساطة عبد الله .

المبارك فقال إسماعيل بن عيّاش : ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك ولا أعلم أن الله خلق خصلة من خِصال الخير إلا وقد جعلها فى عبد الله بن المبارك ، وقد حدّثنى أصحابى أنهم صحبوه من مصر إلى مكة فكان يُطعمهم الخبيص ، وهو الدهر (١) صائم .

عن عبد الله بن حبيق قال : قال رجل لابن المبارك : أوصنى . فقال : اعرف قدرك .

وعن سعيد بن يعقوب الطالقانى قال : قال رجل لابن المبارك : هل بقى من ينصح ؟ قال فقال : وهل تعرف من يقبل ؟ .

وعن عبدة بن سليمان قال : كنا فى سرية مع عبد الله بن المبارك فى بلاد الروم فصادفنا العدو فلما التقى الصفّان خرج رجل من العدو فدعا إلى البِراز . فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله ، ثم آخر فقتله . ثم دعا إلى البِراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله . فازدحم عليه الناس وكنت فيمن ازدحم عليه فإذا هو ملثّم وجهه بكمّه فأخذت بطرف كُمّه فمددته فإذا هو عبد الله بن المبارك فقال : وأنت يا أبا عمرو ممن يشنّع (٢) علينا .

وعن أبو وهب قال : مرّ ابن المبارك برجل أعمى فقال : أسألك أن تدعوا الله أن يرد بصرى . قال : فدعا الله فردّ عليه بصره . وأنا أنظر .

وعن الحسن بن عرفة قال : قال لى ابن المبارك : استعرت قلماً بأرض الشام فذهب على أن أرده إلى صاحبه فلما قدمت مروْ نظرت فإذا هو معى ، فرجعت يا أبا علىّ إلى أرض الشام حتى رددتُه على صاحبه .

وعن شريح بن مسلمة قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : كاد

---

(١) الدهر : أى طوال الدهر .

(٢) شنع عليه : كثر عليه الشناعة ، وهى القبح .

الأدب يكون ثُلثي الدِّين .

وعن أبو بكر بن عبد الله بن حسن قال : قال ابن المبارك : طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا .

وعن أحمد بن الزِّبْرقان قال : سمعت عبد الله بن المبارك يقول : إن الصالحين فيما مضيِ كانت أنفسهم تُواتيهم على الخير عفواً وإن أنفسنا لا تكاد تُواتينا إلا على كرهٍ فينبغى لنا أن نُكرِهها .

عن القاسم بن محمد قال : كنا نسافر مع ابن المبارك فكثيراً ما كان يخطر ببالى فأقول فى نفسى : بأىّ شىءٍ فُضِّل هذا الرجل علينا حتى اشتهر فى الناس هذه الشهرة ؟ إن كان يصلى إنا لنصلى ، ولئن كان يصوم إنا لنصوم ، وإن كان يغزو فإنا لنغزو ، وإن كان يحج إنا لنحج .

قال : فكنا فى بعض مسيرنا فى طريق الشام ليلةً نتعشىَّ فى بيت إذا طفئ السراج فقام بعضنا فأخذ السراج وخرج يستصبح (١) فمكث هنية ثم جاء بالسراج فنظرت إلى وجه ابن المبارك ولحيته قد ابتلَّت من الدموع ، فقلت فى نفسى : بهذه الخشية فَضَّل هذا الرجل علينا ، ولعله حين فقد السراج فصار إلى الظلمة ذكر القيامة .

قال المروزىّ : وسمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال : ما رفع الله ابن المبارك إلا بخبيئة كانت له .

قال المروزىّ : وأُخبِرت عن داود بن رشيد قال : كان ابن المبارك عند أبى الأحوص فجاء رسول فلان الهاشمىّ بعض الولاة فقال : يقرئك السلام ويقول : يا أبا الأحوص هذا شهر رمضان وقد وسعنا على عيالنا وهذه ألف درهم

(١) استصبح : أوقد المصباح واستضاء . والمراد خرج يبحث عما يوقد به المصباح .

توسع بها عليهم فى هذا الشهر . قال أبو الأحوص : فعل الله به وفعل به . وقال : قل له يدعها عنده حتى إذا احتجنا إليها بعثنا فأخذناها .

قال : وانسلّ ابن المبارك إلى منزله فجاء بألف فقال : يا أبا الأحوص هذه الألف تُنفقها فإنى لا آمن أن يكون قد بلغ أهلك فيخاصمونك ، وهذه من وجهٍ أرجو أن تكون أطيب فَقبلها .

وعن الحسن بن الربيع قال : سمعت ابن المبارك حين حضرته الوفاة وأقبل نُصير يقول له : يا أبا عبد الرحمن ، قلِ لا إله إلا الله . فقال له : يا نُصير قد ترى شدة الكلام علىّ فإذا سمعتنى قُلتُها فلا تردها علىّ حتى تسمعنى قد أحدثت بعدها كلاماً ، فإنما كانوا يستحبّون أن يكون آخر كلام العبد ذلك .

وعن محمد بن فضل بن عياض قال : رأيت عبد الله بن المبارك فى المنام فقلت. أىّ الأعمال وجدت أفضل ؟ قال : الأمر الذى كنت فيه . قلت : الرّباطُ والجهاد ؟ قال : نعم . قلت : فأىّ شىءٍ صنع بك ربك ؟ قال : غفر لى مغفرة ما بعدها مغفرة وكلّمتنى امرأة من أهل الجنة أو امرأة من الحُور العين .

ابنة أم حسام الأسدية

عن سفيان الثورى قال : دخلت عليّ بنت حسان الأسدية وفى جبهتها مثل رُكبة العنْز من أثر السجود . فقلت لها : يابنة أم حسان ألا تأتين عبد الله بن شهاب بن عبد الله ؟ فلو رفعت إليه رقعة فلعله أن يعطيك من زكاة ماله ما تُغيّرين به بعض الحاجة التى أراها بك . فدعت بمعجرَ [١] فاعتجرت به وقالت : يا سفيان قد كان لك فى قلبى رجحان كثير فقد أذهب الله برجحانك من قلبى ، ياسفيان ، تأمرنى أن أسأل الدنيا من لا يملكها ؟ .

قال سفيان : وكان إذا جنّ عليها الليل [٢] دخلت محراباً لها وأغلقت عليها ثم نادت : إلهى خلا كلّ حبيب بحبيبه ، وأنا خالية بك يامحبوب ، فما كان من سُخْن يسخّن من عصاك إلا جهنم ، ولا عذاب إلا النهار .

قال سفيان : فدخلت عليها بعد ثلاث فإذا الجوع قد أثر فى وجهها فقلت لها : يا بنت أم حسان إنك لن تؤتى أكثر مما أُوتى موسى والخضر عليهما السلام ، إذْ أتيا أهل قريةٍ استطعما أهلها .

فقالت : يا سفيان قل الحمد لله . فقلت : الحمد لله . فقالت : اعترفت له بالشكر ؟ قلت : نعم . قالت : وجب عليك من معرفة الشكر شكر وبمعرفة الشكرين شكر لا ينقضى أبداً .

---

(١) المعجر بالكسر ما تشد به المرأة على رأسها يقال اعتجرت المرأة والاعتجار أيضاً لف العصابة على الرأس
(٢) جن عليه الليل وجنه الليل ، يجنه بالصم جنوناً وأجنه مثله والمعنى فى الكل : ستره .

قال سفيان : فَقَصُر ، والله علمي وفهٌ لسانى فولَّيت أُريـد الخـروج : فقالت : ياسفيان كفى بالمرء جهلاً أن يُعجب بعلمه ، وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله، اعلم أنه لن تنقى القلوب من الردى حتى تكون الهموم كلها فى الله هماً واحداً .

الخاتمـــة

اعلم يا مسكين أنك على القرب لا محالة مرتحل وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ، وأكـثـر من ذكـر الموت فـإنك لا تكون في ضـيق من أمـرك ومعيشتك فتذكر الموت إلا اتسع ذلك عليك ، ولا تكون في سرور من أمرك وغبطة فتذكر الموت إلا ضيق ذلك عليك ، فإن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون شديداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً فكم من مستقبل يوماً لا يستكلمه ومنتظر غداً لا يبلغه ، ولو نظرتم إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : ثـــلاث أضحكتني حتى أبكتني « طالب دنيا والموت يطلبه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أأرضى ربه أم أسخطه وغافل ليس بمغفـول عنه » وتفكر وتأمل فيما ستصير إليه ، فلعلك تنطق كما نطق عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال : « قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم ترى ما صنعت بهم الديدان ؟ محت الألوان وعفرت الوجوه وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء ، ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء ؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء ؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية قد سالت الحدق على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً ، قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة إلى المضائق ثم راح ينادى يا ساكن القبر غداً ما الذى غرك من الدنيا ؟ أين دارك الفيحاء ؟ وأين رقاق ثيابك ؟ » ليت شعرى ، كيف ستصبر على خشونة

الثرى وبأى خديك يبدأ البلى ؟ ثم يأتى **الحسن البصرى** ينادى « المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم إنكم أصبحتم فى أجل منقوص والعمل محفوظ والموت والله فى رقابكم والنار بين أيديكم فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة لقد فضح الموت فلم يترك لذى لب فرحاً وإن أمراً هذا الموت آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وإن أمراً هذا الموت أوله لحقيق أن يخاف آخره إنك والله أن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنوك حتى تلحقك المخاوف ، وينكشف للإنسان بالموت ما لم يكن مكشوفاً له فى الحياة والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها وعند ذلك يقال له ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [(١)] فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته – نعوذ بالله منه – فإن الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد

---

(١) سورة الإسراء الآية « ١٤ » .

لها وكما قالوا من لم يردعه ذكر الموت والقبور والآخرة فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع . ويكفى أن تنظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ولا ترى عليها ربوة يختفى الإنسان ورائها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها يساقون إليه زمراً ، فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الأولى والرادفة ، هى النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة . قال رسول الله ﷺ : [**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد**] [1] وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾ [2] فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمست الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبيناهم كذلك إذا دارت السماء من فوق رءوسهم وانشقت مع غلظها والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها ، فيا هيبة ليوم تنشق فيه السماء فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذن حتى قالت أم المؤمنين عائشة واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال النبى ﷺ شغل الناس عن ذلك بهم ﴿ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [3] فأعظم

(١) **صحيح** : متفق عليه .
(٢) سورة إبراهيم الآية « ٤٨ » .
(٣) سورة عبس الآية « ٣٧ » .

بيـوم تنكشف فيـه العـورات يؤمن فيـه مع ذلك النظر والالتفـات . كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوهم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم . قـال أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قـال رسـول الله ﷺ : [**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفاً مشاة ، وصنفاً ركباناً ، وصنفاً على وجوههم** ، فقال رجل يارسول الله وكيف يمشون على وجوهمم ؟ **قال** : **الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم**] [١] وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال يا نبى الله كيف يحشر الكافـر على وجهـه ؟ قال : [**أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**] . فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامـة لمخالفته قياس ما فى الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عاريـاً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة ، وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة .

وما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدراً خمسين ألف سنة لا يأكلون فيـه أكله ولا يشـربون فيـه شربه حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحتـرقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً فى طلب من يكرم على مولاه ليشفع فى حقهم فقال كل نبى : نفسى نفسى وقال كل واحد : قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً . فتأمل فى طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخلف عليك

---

(١) رواه الترمذى وحسنه .

انتصار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر والمؤمن له شأن آخر يوم القيامة . قال رسول الله ﷺ : [**والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا**] ثم توهم نفسك وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى الله تعالى يسألك شفاهاً فيقول لك : ألم أنعم عليك بالشباب ؟ ففيما إذا أبليته ؟ ألم أمهل لك فى العمر ؟ فماذا عملت فيما علمت ؟ فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك . قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال : [**أتدرون مم أضحك** ؟ قلنا الله ورسوله أعلم **قال : من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال : يقول بلى قال فيقول فإنى لا أجيز على نفسى إلا شاهداً منى فيقول كفى بنفسك عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال : فيختم على فيّه ويقال لأركانه انطقى قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه : بُعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل**] (١) .

فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء . إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول فى النجوى فقال : قال رسول الله ﷺ : [**يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إنى سترتها عليك فى الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم**] (٢) ثم تفكر فى عظم حيائك إذا

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم .
(٢) **صحيح** : رواه مسلم .

ذكرك بذنوبك شفاهاً إذ يقول يا عبدى أما استحييت منى فبارزتنى بالقبيح واستحييت من خلقى فأظهرت لهم الجميل ؟ أكنت أُهون عليك من سائر عبادى ؟ أستخففت بنظرى إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيرى ؟ ألم أنعم عليك ؟ فيقول : بلى فيقول : ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فيقول : بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة .

ثم يا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع الفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾ [١] فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له :

---

(١) سورة مريم الآيات « ٧١ ، ٧٢ » .

﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَـزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) ﴾ [(١)] فاسكنوا داراً يوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم ، الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت أقادمهم إلى النواصى واسودت وجوهم من ظلمة المعاصى ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾ [(٢)] ويقـال لهـم : ﴿ قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) ﴾ [(٣)] ولو أخرجتم لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا فى جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار تحيط بهم من كل جانب . قال رسول الله ﷺ : [**إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه**] [(٤)] وقـال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : [**لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من تكون طعامه؟**] [(٥)] وقال النبى ﷺ : [**يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك**] [(٦)] فسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العـذاب الأليم ، قال أبـو هريـرة: قال رسول الله ﷺ : [**ينادى مناد : يا أهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم**

---

(١) سورة الدخان الآية « ٤٩ » .
(٢) سورة الزخرف الآية « ٧٧ » .
(٣) سورة المؤمنون الآية « ١٠٨ » .
(٤) **صحيح** : متفق عليه .
(٥) **صحيح** : رواه الترمذى والنسائى وأحمد وغيرهم ، وصححه الألبانى
(٦) **صحيح** : رواه مسلم .

أن تنعموا فلا تيأسوا أبداً] [١] ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٢] فشمر عن ساعد الجد وإذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة وإن استطعت شهرة زائفة كاذبة على حساب دينك ثم احذر أن توالى أو تحب من كفر بالله حتى وإن كان مشهوراً وذلك لأن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله ، واحرص على طاعة ربك والبعد عن كل ما يغضبه سبحانه وتعالى .

ونسأل الله الإخلاص فى القول والعمل ونثنى عليه سبحانه بما هو أهله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه
سعيد عبد العظيم
من ربيع الأول ١٤١٩
يــوليــــو ١٩٩٨

---

(١) **صحيح** : رواه مسلم .
(٢) سورة الأعراف الآية « ٤٣ » .

الفهرس

رقم الصفحة